كتاب شهري محكم يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
يتناول نشر الدراسات والأبحاث التي
تخدم الإسلام في كافة المجالات

الإسلام والنظام العالمي الجديد

د. حامد بن أحمد الرفاعي
الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي
عضو وسكرتير اللجنة العليا للحوار مع الفاتيكان

الطبعة الثالثة

السنة السادسة عشرة
العدد ١٤٦ عام ١٤١٩هـ

الطبعة الثالثة

مزيدة ومنقحة

عام ١٤١٩هـ

مراجعة

الأستاذ محمد الأسعد

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله﴾
[قرآن كريم]

الإهـــــداء

* إلى الإنسان .

* إلى الأمة الإسلامية .

* إلى المجتمع الدولي .

المؤلــف

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا ورسولنا المصطفى محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه.. أما بعد:

فإنني **(أولاً)** أحمد الله تعالى لأخي المفضال الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي اهتمامه الكريم بموضوع كتاب «الإسلام والنظام العالمي الجديد» وتفضله بإصدار توجيهه المقدر لطبعه «طبعة ثالثة» فلمعاليه وافر الشكر وخالص التقدير، سائلاً المولى عز وجل أن يجعل ذلك في موازين حسناته وخالص أعماله.

ويطيب لي **(ثانياً)** أن أنوه عن بالغ امنياتي وشكري وخالص تقديري لأصحاب الجلالة والفخامة، ولأصحاب السمو والسماحة، ولأصحاب المعالي والسعادة الذين شرفوني بما تفضلوا به من ثناء على الكتاب وموضوعاته وتشجيعهم الكريم لي، والشكر والتقدير لمن طلب بأن أتوسع ببعض فصول هذا الكتاب وإصدارها في كتب مستقلة مثل فصل «الإسلام والحضارات» وفصل «المملكة العربية السعودية والنهج الحضاري»، والتي هي موضوع اهتمامي أيضاً راجياً العلي القدير أن يعينني على تحقيق هذه الرغبة المشتركة قريباً إن شاء الله.

ويسعدني **(ثالثاً)** أن أعبر عن خالص تقديري وشكري لكل من أهدى إلي ملاحظته حول الكتاب والتي كان معظمها يدور حول عنوان الكتاب، والسؤال الذي طالما سمعته من عدد من المثقفين هو «هل هناك نظام عالمي جديد يستحق أن يكتب عنه كتاب..؟ ومن هؤلاء المتسائلين معالي وزير خارجية بلد عربي مرموق تربطني به صداقة قديمة ضمني وإياه لقاء مع دولة الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام للجامعة العربية أثناء انعقاد الدورة الخامسة والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية، وفي سياق الحديث عن موضوع الكتاب بادرني معالي الوزير قائلاً: «هل يوجد نظام عالمي جديد يستحق الذكر»، قلت لمعالي الوزير: «لايمكننا أن ننكر وجود نظام عالمي أخذاً بالتطور وفي كل يوم نفاجأ بالجديد عن قيمه وآلياته، ولكن الأمر الذي

لانختلف عليه ولايختلف معنا حوله كل عاقل ومنصف في العالم هو أن النظام العالمي للأسف يتطور ويتشكل باتجاه الأسوأ مما يجعله يتناقض ويتصادم مع كرامة الإنسان وسلامة البيئة ولايلبي تطلعات الأجيال البشرية والمجتمعات الدولية إلى تعايش بشري آمن يحقق العدل والرخاء والسلام للجميع، والكتاب جاء محاولة لفضح هذه الحقيقة عن طبيعة وتوجهات النظام العالمي الجديد التي تتصادم مع كرامة الإنسان وحقوق الإنسان ويكرس أسباب فساد البيئة وفساد العلاقة الدولية وليقدم بالمقابل القيم والمبادئ والمفاهيم والتصورات الإسلامية القادرة على تحقيق نظام عالمي عادل يكفل للإنسان كرامته وأمنه وحقوقه ويحافظ على سلامة البيئة ويحقق للمجتمعات الدولية والأجيال البشرية تطلعها ورغبتها في تعايش عادل وأمن يوفر للجميع الرخاء والسلام، فقال معالي الوزير إن كان هذا هو موضوع الكتاب ومهمته؟ فهذا أمر لا بأس به بل هو مطلوب وواجب.

ولايفوتني (**رابعاً**) أن أشيد بسلسلة «دعوة الحق» التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي والدور الكبير والفعال التي تساهم به في تجلية الكثير من المفاهيم والرؤى الإسلامية مما كان له الأثر الكبير في ترشيد وتسديد المفاهيم الفكرية والثقافية والحضارية، وإنهاء قسط كبير من حالات الاضطراب الفكري والثقافي الذي تعاني منه غالب الساحات العربية والإسلامية والعالمية، وما الإقبال على طلب كتاب «الإسلام والنظام العالمي الجديد» وغيره من إصدارات «دعوة الحق» والإلحاح على ترجمته إلى لغات أجنبية إلاّ دليل على أهمية هذه السلسلة في بلورة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر وإشارة واضحة إلى رغبة المثقف المسلم في التعرف على القيم والمبادئ الإسلامية بين يدي المفاعلة المتنامية في ميادين الحوار الثقافي العالمي، من أجل بعث نظام عالمي عادل يحقق الأمن والرخاء والسلام لمجتمعات بشرية متعايشة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

المؤلــف

جدة في: ١٤١٨/١١/٢٦هـ

١٩٩٨/٣/٢٤م

مقدمة الطبعة الثانية

بيالغ السعادة والسرور نقدم للمكتبة العربية وللقاريء العربي المسلم.. وللقراء كافة.. ولجميع المهتمين بـ(النظام العالمي الجديد) الطبعة الثانية من كتاب: «الإسلام والنظام العالمي الجديد» لمؤلفه الدكتور حامد بن أحمد الرفاعي بعد أن نفذت نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب القيم بشكل ملحوظ، وإننا إذ نحمد الله سبحانه على اهتمام جماهير القراء البالغ بموضوع هذا الكتاب، فإننا نشعر بالغبطة لما قدمناه معلنين أن شريعة الإسلام العظيم دستور متكامل ومفصل، وأنها نظام متلائم مع الفطرة التي فطر الله عليها الناس أجمعين، ولعل الجهد الذي بذله الأخ المؤلف -جزاه الله خيراً- في طرح تفاصيل الدستور الإسلامي سهّل على القاريء معرفة المعنى الذي ينطوي عليه مصطلح «النظام الإسلامي» في مقابل مايسمى بـ«النظام العالمي» كما ساهم في تعريف المهتمين بالنظم والدساتير والقوانين الدولية مايمكن أن يقدمه الإسلام وشريعته السمحاء لإنقاذ البشرية الغارقة في أتون هذه الحياة.. مرتبكة إزاء عقدها التي استحكمت بكثير من المجتمعات البشرية التي جنحت نحو المادّة مبتعدة عن عالم الروح والإيمان، وإننا لا نخفي على القاريء الكريم أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ساهم في إزالة الغبش عن الإسلام، كما ساهم في الدفاع عن شريعتنا السمحاء إزاء افتراءات أعداء هذا الدين عليه، إضافة إلا ما أوضحه المؤلف بشكل مفصل ومؤكد من أن الإسلام بما اشتمل عليه من تشريعات خاصة وعامة قابل

للتطبيق في هذا العصر. . وفي كل عصر، ومن هنا اكتسب الكتاب قيمته الكبرى، فقد كان ضرورة فكرية وثقافية ودعوية، وإننا إذ نحمد الله القدير الذي يسّر إعداده وطباعته في طبعة جديدة مزيدة ومنقحة وموثقة لنعد القاريء الكريم أن نقدم له كل مايفيده في دنياه وأخراه شاكرين للأخ المؤلف ولسائر إخواننا المفكرين والكتاب جهدهم المبذول من أجل صياغة حياة إسلامية للأجيال بخاصة. . وللأمة بعامة، داعين المولى أن يهدينا إلى سبيل الرشاد في كل مانقدمه للقراء الأعزاء والله ولي الأمر التوفيق.

دعوة الحق

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم . . وبعد:

يأتي هذا الكتاب «أولاً» في وقت يعاني فيه المجتمع الدولي كثيراً من اضطراب واختلال الموازين والمعايير في التعايش والتعاون من أجل إقامة مجتمع بشري يسوده الأمن والاستقرار والعدل والرفاه والسلام، فعدد كبير من المجتمعات الدولية اليوم تعاني من تراجع في مقومات أمنها أو انعدام هذه المقومات أو غياب عوامل الاستقرار فيها، فحياة الناس في خطر شديد، حيث عبثية القتل والإبادة أصبحت مألوفة، والمجاعات البشرية الجماعية تحاصر الكثير من المجتمعات، ومعدلات ارتفاع الجريمة بازدياد مطرد في كل مكان، والعبث في البيئة وإفسادها اتسعت وتفاقمت مخاطره على الإنسان والحيوان والنبات. . فالكل في خطر والكل مهدد في أصل وجوده واستمرارية بقائه. . والكل يصرخ ويئن ويبحث عن مخرج للسلامة والنجاة. . والعقلاء والحكماء والمصلحون لدى كل أمة وملة وطائفة ودين ومذهب وثقافة. . تتعالى أصواتهم وصيحاتهم محذرين من مخاطر استمرار الحال وتمادي مظالمه واعتداءاته على مقومات الحياة الإنسانية وأصل وجودها واستمرارها، وانتهاكاته لحقوق الإنسان وآدميته وكرامته، ومطالبين بإعادة النظر في نظم الحياة

الإقليمية والدولية، بما يخدم التوازنية بين مقومات الإنسان الذاتية المادية منها والروحية، وإعادة التوازنية إلى منهج سير الإنسان في الأرض. . . ومنهج علاقته مع غيره. . ومنهج علاقاته مع الخلائق من دونه «حيوانية ونباتية». . ومنهج علاقاته مع المسخرات من أجله في البر والبحر والجو. . وذلك كله بما يخدم في النهاية التوازنية المتكاملة للمنهج الإنساني المطلوب لإقامة نظام عالمي عادل يحقق التعايش الإنساني للمجتمعات الدولية على أساس من الأمن والاستقرار والكفاية والرفاه والعدل والسلام، ونحن المسلمين جزء من هذا العالم، وركاب سفينته وشركاء مصيره وأمنه واستقراره، ونحن إلى جانب ذلك حملة أمانة تبليغ الهدي الرباني للناس جميعاً، وقد بوئنا مواقع الوسطية بينهم، وشرفنا بمهمة الشهود الحضاري عليهم. . لا بامتيازنا القومي أو العرقي أو اللوني عليهم. . ولكن بصفتنا مبلغين لمنهج الاستخلاف الرباني في الأرض. . منهج الإسلام دين الناس جميعاً كما بشر به الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

ويأتي هذا الكتاب «ثانياً» استجابة للاضطلاع بمهمة الشهود الحضاري، والمشاركة الحضارية، والتصحيح والترشيد الحضاري. . ليقدم شيئاً من رؤية الإسلام الحضارية. . وبعضاً من آفاق منهج الإسلام الحضاري. . ومقتطفات من قيم ومباديء وتعاليم الإسلام الحضارية. . وتصورنا للمعادلة الحضارية الإسلامية. . وليقدم تخوفنا وحذرنا من أن تصاب الحضارة المادية العملاقة اليوم في الغرب ما أصاب أختها في الشرق. . فتكون الخسارة البشرية مضاعفة ومؤلمة لأن الحضارة بشقها المادي بنظرنا نحن المسلمين إرث بشري، تستخلف الأجيال على

سيادته ومقاليد أمره.. فمنهم من يحسن التعامل مع هذا الإرث ويؤتمن عليه ومنهم من يسيء التعامل معه ويخون أمانته.. ومن واجب الناس بل من حقهم أن يَرْعَوْا إرثهم ويحموه من عبث العابثين وفساد المفسدين.. كما وعليهم أن يحرصوا على ثماره ألا تنتكس وصروحه ألّا تنهار..

ويأتي هذا الكتاب «ثالثاً»، ثمرة لتداولات طويلة ومحاورات مضنية، وجهود متواصلة بذلت من قبل، وجهود استجدت، وندوات ومؤتمرات إقليمية ودولية عقدت.. وحوارات ثقافية وفكرية ودينية أجريت مع جهات مختلفة في العالم شاركت فيها مع كل من دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي ومعالي الدكتور عبدالله بن عمر نصيف، ومعالي الشيخ عبدالله بن بيّه، ومعالي الأستاذ كامل الشريف وغيرهم، وهنا لابد من التنويه بأن دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي الفقيه والمفكر الإسلامي الكبير ورئيس وزراء سوريا في الستينات وعضو وفد كبار علماء المملكة العربية السعودية للتعريف بحقوق الإنسان في الإسلام[1] والمستشار حالياً في الديوان الملكي السعودي.. كان له سبق تاريخي فقهي وفكري وثقافي حول فكرة النظام العالمي الجديد على أساس مفاهيم الإسلام وقيم الإسلام وتعاليمه وله بحوث ومقالات في ذلك، بل إنه قدم ذلك في بحث قيم ألقاه في اجتماع لهيئة الأمم المتحدة عام

(١) إنطلق هذا الوفد عام ١٩٧٤م من الرياض بدعوة رسمية من مجلس الوزراء الأوروبي في ستراسبورغ ومن الجمهورية الفرنسية ومن الفاتيكان ومن مجلس الكنائس العالمي.. وأصدر الوفد في ختام جولته كتاباً تحت عنوان «ندوات علمية في الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في جنيف والمجلس الأوروبي في ستراسبورغ.. حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان».. وترجم بالإنجليزية والفرنسية.

١٩٨٥م، وهو لايزال دائم الاهتمام والتفكير يكتب ويحاضر حول هذا الموضوع حتى كان التعاون مع دولته عبر رابطة العالم الإسلامي حيث قمنا بنشاط عالمي مشترك ساهم فيه كل من معالي الدكتور عبدالله بن عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي سابقاً ونائب رئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية والداعية والخبير العالمي والمفكر الإسلامي المعروف وكان لمعاليه محاضرات قيمة حول هذا الموضوع في أكثر من مكان في العالم أصدرتها رابطة العالم الإسلامي في كتيّب. . ومعالي الشيخ عبدالله بن بيّة الفقيه العلامة والمفكر والخبير السياسي ومن أبرز كبار علماء موريتانيا وممن تولى مقاليد عدة وزارات سابقاً في موريتانيا والأستاذ حالياً في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

ويأتي هذا الكتاب «رابعاً» . . والأمل يحدونا في تحقيق الهدف الذي كان من أجله وأن يكون توقيته مناسباً بما يحقق حاجة الزمان ومتطلبات المكان وأن يكون خالصاً لوجه الله تعالى بها يحقق مراده سبحانه ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ (١٠٤ - آل عمران).

المؤلـــف

جدة - الثلاثاء ٢٦/محرم/١٤١٥هـ

٥/يوليو/١٩٩٤م

كلمة..

دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي

تمهيد لابد منه أولاً :

- التعريف بالإسلام -

«وذلك حول»

«ثوابت رسالة القرآن والإسلام»

«العالمية، الحيوية، الإنسانية»

«لأمم متعـارفة ومتضـامنة»

«على الأمر بكل ماعرف خيره، واستنكار كل ماعرف شره»

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد هتف لي البارحة مساء الأربعاء في ٦/ ٧/ ١٩٩٤م الأخ العزيز عليّ الدكتور حامد الرفاعي الأستاذ في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وأنبأني بأنه سيدفع إلى المطبعة يوم السبت القادم ماقد أعده لكتاب تحت عنوان: «الإسلام . . والنظام العالمي الجديد»، ودعاني لمساهمة عاجلة في تقديم كتابه، وقرأ عليَّ في الهاتف «مقدمة كتابه»، فسرني جداً ذلك الخبر، وسررت خاصة بمقدمته التي أعطتني «رؤية واضحة» لموضوعه القيم. . . وقد ساءني جداً، وأنا في ضيق من الوقت، أن أعتذر إليه، خاصة وأن «موضوع كتابه» قد شغلني منذ ما دعت إليه «منظمة الأمم المتحدة» عام ١٩٧٤م- في جلسة عامة خاصة بالموضوع- وأعلنت فيها

بالإجماع: «أن النظامين السائدين العالميين اليوم، من رأس مالية واشتراكية، لا يصلحان لإقامة السلام في الأرض، وأنّه لابد من «نظام جديد» يقوم على: مباديء تتعايش في ظلها الأنظمة والأديان بسلام في الأرض. . . وقد أخذت منذ ذلك التاريخ، وفي مؤتمرات عدة في الشرق والغرب، أدعو لذلك بكل قوة، وعلى ضوء المباديء التي حددتها «منظمة اليونسكو» في عام ١٩٧٧م، بناءً على طلب «الهيئات العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٥م»، تلك «المباديء» التي حصرتها «منظمة اليونسكو» في ثلاثة، هي: «وحدة البشرية وحقهم جميعاً بالحياة الكريمة، ووجوب التخطيط للتنمية الاقتصادية بما يحقق مصلحة الجميع، وعدالة التوزيع»، وقلت في جميع محاضراتي: «إن الإسلام- بثوابته العالمية الإنسانية- هو وحده ذلك النظام، وأنه: دعوة عالمية إنسانية إلى التعارف فيما بين مختلف الأمم والشعوب والأوطان والأديان، وإيجاب للتضامن فيما بينهم على: «الأمر بكل ماعرف خيره، واستنكار كل ماعرف شره». . . وذلك من أجل حياة طيبة للجميع لا استثناء فيها، ومن أجل السلام في الأرض وعدم الإفساد فيها».

ويسرني الآن ، واستجابة لرغبة أخينا الكريم الدكتور حامد الرفاعي، أن أقدم لكتابه «الإسلام والنظام العالمي الجديد» ماقد انتهت إليه محاضراتي في موضوعه، وذلك في خلاصة ضمن/ ١١/ فقرة تالية، وتحت عنوان كلمتي أعلاه، آملاً أن يجد فيها مايستجيب لرغبته إن شاء الله. . .

١- مضى على «المجتمعات البشرية الأولى» قبل الإسلام حين من الدهر، لم يكن لكل منها من «كيان محدد ومصالح في الأرض» حينذاك،

غير «كيان الأسرة الواحدة ومصالحها الخاصة بها، وبأرضها التي تعيش عليها»:

- سواء «ضاق» نطاق هذه الأسرة في «التبعية لأب واحد حي»، وذلك منذ «الأسرة الأولى الصغيرة» لأبي البشرية الأول آدم عليه السلام.

- أو «اتسع» نطاقها لتشمل أسراً متعددة تحت اسم «القبيلة أو العشيرة» الواحدة التي ترجع في أصولها البعيدة أيضاً إلى جد أعلى..

- أو «اتسع أيضاً» نطاق هذه القبائل المتعددة والراجعة إلى جد أعلى جميعاً، لتؤلف من مجموعها «شعباً أو أمة» ضمن «وطنها الكبير الواحد» الخاص بها أيضاً تحت اسم «الدولة».

٢- هذا، ولقد قضت رحمة الخالق سبحانه وتعالى منذ خلق الإنسان على الأرض أن يمده بمن يرشده في حياته من أنبياء ورسل: «في مختلف مراحل مجتمعاته»:

- من «مجتمع الأسرة الصغيرة»...

- إلى «مجتمعاته الكبرى» بعد ذلك في «العشيرة، أو الشعب، أو الأمة».

وذلك «ليعمر كل مجتمع منهم» أرضه الخاصة به، «وليسوس مجتمعه» بالحق والعدل والإحسان، وهو مما قد أمر به الله سبحانه وتعالى جميع رسله فقال: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ (النحل آية ٩٠) وقال في ذلك أيضاً: ﴿**وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ - فاطر/ ٢٥/ »... كما قال أيضاً: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**﴾ (المائدة٤٨)...

٣- وكان كل ذلك في ظل «عزلة المجتمعات البشرية عن

بعضها». . . وفي ظل «حياة أسرة ذوي القربى» فقط، وفي مختلف مراحلها السابقة. . . وهكذا فقد تعددت «الرسالات السماوية» قبل الإسلام، وكانت كلها «رسالات قومية» أولاً. . . وهي خاصة بمن قد نزلت عليهم تلك الرسالات من الأسر دون غيرهم، وذلك لتعالج فيهم «أموراً حيوية خاصة واقليمية» ذات طابع خاص بكل منهم، كما جهر بذلك القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿**وآتينا موسى الكتاب، وجعلناه هدى لبني إسرائيل**﴾(الإسراء/ ٣). . . وكذلك قال السيد المسيح، وقد سألته امرأة كنعانية عربية شفاء ابنتها «المجنونة جداً» كما جاء ذلك في الفصل الخامس عشر من «إنجيل متّى» فأجابها قائلاً: (إنني لم أرسل إلاّ إلى خراف بني إسرائيل الضالة. . . وأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب!!!. . . فقالت: نعم ياسيدي، فالكلاب أيضاً تأكل مما يسقط من مائدة أربابها. . . وحينئذ استجاب يسوع وقال لها: ليكن لك ماتريدين، فشفيت ابنتها من تلك الساعة). . . كما جاء كل ذلك في الفقرات (٢٢-٢٨) من ذلك الفصل والإنجيل، والعهدة في نصه كما هو على راويه. . . خاصة ولم أجد مثل هذا النص في الأناجيل الثلاثة الأخرى. . .

٤- غير أن هذه الأمم منذ أن خرجت من عزلتها في الأرض، واحتكت بالأمم الأخرى. . . لم تلبث أديانها «القومية المختلفة» أن تعصب أهلوها كل منهم لما لديه، مما جعله غير قابل للتعايش السلمي مع الآخرين وعقائدهم. . . وخاصة قبل ظهور الإسلام بعصر تقريباً، حيث اشتدت العصبيات الدينية واشتعلت أحقادها فيما بين اليهودية والنصرانية في الشرق الأوسط. . . وذلك بعد أن كانت قد تنصرت

الدولة الرومانية في مطلع القرن الرابع الميلادي في عهد الامبراطور قسطنطين . . . حيث لم يأت القرن السابع الذي ظهر الإسلام في أوائله، إلا وكان اضطهاد الدولة الرومانية النصرانية لليهود في فلسطين على أشده، وذلك لما كان قد سبق من اليهود من اضطهاد للمسيح نفسه أولاً، ثم ماكان من الحكم عليه بالقتل بالصلب قبل خمسة قرون «في أبشع ماعرفه تاريخ الأديان من صور التعصب والاضطهاد، فضلاً عن شيوع القتل بالصلب وبالتحريق بالنار»!!

٥- وهذا ماكان قد دعا فريقاً من اليهود في «نجران» اليمن، وبتشجيع من يهود فلسطين المضطهدين فيها من قبل النصرانية للانتقام وذلك بأن قام ملك اليمن المتهود «ذونواس» في مطالع القرن السادس الميلادي بتحريق كنيستهم على أصحابها أولاً، ثم بتحريق آلاف النصارى في اليمن، وذلك في واد معروف ومشهور أيضاً حتى اليوم في جزيرة العرب، وقد جمعوهم فيه وحرقوهم على مشهد عظيم من الناس في أول «محرقة جماعية مشهودة» ومعروفة في تاريخ الأديان، كما هو ثابت في تاريخ كل من اليهود والنصارى . . . وخاصة فيما كان سجله الإسلام بعد ذلك أيضاً في وحي القرآن الكريم في «سورة البروج» بقوله: ﴿**والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والأرض. والله على كل شيء شهيد. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات. ثم لم يتوبوا. فلهم عذاب جهنم. ولهم عذاب الحريق**﴾.

ولم تلبث إثر ذلك أن تحركت الدولة الرومانية عملاق الغرب حينذاك مع حليفتها دولة الحبشة النصرانية وانتصرتا لنصارى «نجران». . . كما لم تلبث بعد ذلك أيضاً ان انتصرت ليهود اليمن دولة فارس عملاق الشرق حينذاك. . . وقد حدثت هذه المحرقة التاريخية كما جاء في كتاب «الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية» لمؤلفه بطريرك أنطاكية وسائر المشرق. . . «أغناطيوس يعقوب الثالث» في تشرين الثاني- نوفمبر- عام ٥٢٣ من القرن السادس بعد الميلاد. . . وقد انتشرت هذه الوثائق تباعاً في «المجلة البطريكية» بدمشق قبل نشرها في كتاب مستقل عام ١٩٦٦ . . . وقد صدرت هذه المجلة أيام رئاستي للحكومة السورية عام ١٩٦٢ ، وصدر العدد الأول منها بكلمة مني تحت عنوان: «العرب والسيد المسيح» بناء على طلب من البطريرك. .

٦- وهكذا، فإن هذه «المحرقة البشرية الجماعية الكبرى» في نجران، وذلك قبل ظهور الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي، قد أنتجت «حرباً عالمية دينية» فيما بين «عملاقي الشرق والغرب»، وفي قلب العالم القديم الذي يطلق عليه اليوم اسم «الشرق الأوسط»، وفي ملتقى القارات الثلاث، وتعطلت فيه طرق التجارة العالمية فيما بين الروم في الغرب، وبين العالم في أقصى الشرق، وفقد في هذا القلب من العالم وملتقاه الأمن الذي أقلق حينئذ الجميع، وذلك:

- في اليمن أولاً في «نجران» بالحرب فيما بين الحبشة حليفة الدولة الرومانية، وبين اليمن.

- ثم فيما بين الحبشة وبين «مكة» في الحجاز في عام «حرب الفيل» التي قد سجلها القرآن الكريم في «سورة الفيل» وهو العام الذي ولد فيه

رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ، وذلك حين أرادت الحبشة تهديم «كعبة العرب» ومعبدهم في مكة بعد ما تضامن العرب غير اليهود ضد غزو الحبشة لليمن.

- وأخيراً فيما بين الدولة الرومانية والدولة الفارسية على أرض فلسطين في مطالع القرن السابع الميلادي وأوائل ظهور الإسلام، حيث انتصرت فارس أولاً على الروم، ثم انتصرت عليها الدولة الرومانية في بضع سنين كما سجلها وحي القرآن الكريم أيضاً في «سورة الروم» حيث يقول الله تعالى: ﴿**غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**﴾ (الروم: ١/ ٢/ ٣/ ٤)... وكذلك كان...

وأخيراً الطريق إلى السلام في «ثوابت رسالة القرآن والإسلام»

٧- غير أن هذه الحروب، أو الحرب العالمية الكبرى حينذاك، والتي قد استمرت أكثر من قرن بعد تلك «المحرقة الكبرى في نجران» لم تتوقف نهائياً في المنطقة، إلا بعد ظهور الإسلام وسيادة «ثوابت دعوته إلى السلام» بين جميع شعوبها وأديانها، وذلك ضمن «ثوابته العالمية الإنسانية الجديدة الواضحة». كما أشار إليها القرآن الكريم أولاً في رسالته إلى الناس أجمعين حين قال: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس، وبينات من الهدى والفرقان**﴾ (البقرة/ ١٨٥)... وحين حدّد بعد ذلك في بيناته «ثوابت الرؤية الواضحة»... ومن خلال «الإيمان

بالله رب العالمين الذي كرّم الناس أجمعين». . . وذلك عملاً بصريح القرآن نفسه حين قال: ﴿**يا أيها الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ (الأنفال/ ٢٤). . . وحين قال أيضاً: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾ (النحل/ ٩٧). . فما هي هذه «الثوابت العالمية الإنسانية الجديدة الواضحة»؟.

٨- وها نحن الآن نقوم باستعراض تلك الثوابت في ثلاث فقرات كلية «شاملة» إن شاء الله، ومقتبسة كلها من «القرآن الكريم والسنة النبوية»، ومما يتناول صميم «الحياة» و«حقيقة الإيمان» و«يعالج عزلة الشعوب وأحقاد الأديان لأول مرة في التاريخ، وذلك بالدعوة بصريح القرآن إلى التعارف فيما بين جميع الناس من أمم وشعوب وأديان على أساسين جديدين في الحياة من أجل السلام في الأرض، وهما: لا إكراه في الدين. . . ووجوب التعارف والتعاون بينهم جميعاً على عدم الإفساد في الأرض، «وعلى الأمر بكل ماعرف خيره، واستنكار كل ماعرف شره». . . مؤملين أن تكون هذه الفقرات الثلاث معبرة اليوم بأوجز تعبير عن «الرؤية الشاملة الواضحة» لثوابت رسالة القرآن والإسلام «الجديدة فيما بين الأمم والأديان» من أجل «حياة طيبة للجميع من غير استثناء»، والتي يجب أن تقوم عليها «الدعوة لدى جميع دعاة الأمم من غير خلاف»، وذلك في «الثوابت الثلاثة التالية» بعون الله. . . وأن «كل مايناقضها ليس من الإسلام بشيء». . . وهي:

أولاً: إن «الإسلام» هو «نقلة من قومية الأديان المتناحرة»، إلى «عالمية الإسلام لأمم متعارفة في حياتها. . . ومتعاونة على الأمر بكل ما قد عرف خيره، وعلى استنكار كل ماقد عرف شره». . . و«مسؤولة في آن واحد مسؤولية فردية وجماعية عن عمارة الأرض بالحق وبالعدل

والإحسان، وعدم الإفساد فيها». . . وذلك من أجل «حياة طيبة للجميع» على اختلاف الأعراق والأجناس والأوطان والأديان «لا استثناء فيها». . . وأنهم : «كلهم مسؤولون عن ذلك مسؤولية لا مناص منها». . . وأن : «كل من عمل خيراً يراه، وان كل من عمل شراً يراه».

وثانياً : إنه «دعوة إيمانية» بالله خالق السموات والأرض «لا إكراه فيها». . . مع «البر فوق ذلك بمن يخالفنا في الدين، مالم يقاتلنا في الدين، أو يخرجنا من ديارنا». . . وعلى الأساس في كل ذلك: «أن الخلق كلهم عيال الله , , , وأن أحبهم إليه أنفعهم لعياله». . .

وثالثاً : إن «الخطاب» في هذه الدعوة «إنما هو للعقل». . . وأن «الحوار» فيها «إنما هو بالعلم»، وبالتي هي أحسن، وبقولنا: «قولوا للناس حسناً». . . و«بلغة الحياة» متعارفين ومتعاونين على «الخير». . . وذلك من أجل «تحقيق أطيب آمالنا . . . ومعالجة جميع الآمنا». . .

٩- وأخيراً، وعملاً بهذه «الثوابت الجديدة كلها في تاريخ الأديان». . . ووفقاً لما جاء في «صحيفة المدينة» التي وضعها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، وهي أول دستور عالمي مخطوط في العالم وفي الإسلام. . . وذلك فيما بين «جميع الأمم والشعوب والأوطان»، على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وأديانهم. . . فقد جاء في تلك الصحيفة كل ما يؤكد تلك الثوابت الثلاثة أعلاه، وذلك بالنص الصريح على: «أن المسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبع أهل يثرب ولحق بهم وجاهد معهم (من يهود وقد عددهم في تسع قبائل) أنهم أمة واحدة دون الناس: لليهود دينهم، ولنا ديننا، ولهم المناصرة والمساواة بالمسلمين (في حالة عدوان الدولة الرومانية على يهود المدينة)، وأن عليهم المناصرة». . .

١٠- هذا، وكما قد حمى رسول الله ﷺ اليهود في «مدينة يثرب» من الدولة الرومانية النصرانية... لم يلبث حينما وصل الإسلام إلى اليمن المنكوبة بمحرقة «نجران» اليهودية، أن أعطى الحماية فوراً لنصاراها من يهودها بناءً على تلك «الثوابت» أيضاً... وبذلك فقد تمت للإسلام «عالميته وإنسانيته»، حيث عاشت الأديان الثلاثة وغيرها في ظل دعوته في سلام دائم... وذلك بعد تلك «المحرقة الرهيبة» العالمية التاريخية، والحروب الدينية التي استمرت أكثر من قرن فيما بين عملاقي الغرب والشرق حينذاك...

١١- وهكذا... وبذلك كله، فقد امتازت «رسالة القرآن والإسلام» بأن حققت في الواقع الثابت والتاريخ المعروف بأنها هي وحدها «رسالة الحياة الطيبة والسلام للإنسان»... وبأنها: «بثوابتها العالمية الإنسانية هذه» هي «النظام العالمي الإنساني الجديد المنشود من أجل السلام في الأرض»، والذي قد جاء الإسلام بها قبل أربعة عشر قرناً، وفي «ظروف مضطربة أعظم الاضطراب» قد وجدت فيه فقط علاجها: «ليظهره- الله- على الدين كله» وقد كان... «وكفى بالله شهيداً»... وإننا به لمؤمنون، لمثل هذا فليعمل العاملون المصلحون، والدعاة المسلمون، وليعلنوا خطاب الله سبحانه وتعالى للناس أجمعين، في رسالة القرآن الكريم، حيث قال: ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور. وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾ (الحديد/ ٩).

محمد معروف الدواليبي

جدة/ الخميس/ ٢٨/ محرم/ ١٤١٥هـ

الموافق ٧/ ٧/ ١٩٩٤م

كلمة..
معالي الدكتور: عبدالله بن عمر نصيف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

إن المتأمل في أوضاع العالم المعاصر يدرك دون عناء أن هناك أمراً غير طبيعي يسود المجتمعات البشرية اليوم، سمته غياب الوازع الديني والمعيار الخلقي في التعاملات البشرية في كل المجالات، مما أدى إلى اختلال الموازين والمعايير وظهور مباديء ومفاهيم جديدة ظاهرها تصحيح الأوضاع لإيجاد نظام عالمي جديد يحقق السعادة والرفاه والعدل والمساواة لبني البشر، وباطنها تكريس الأوضاع لتظل فكرة التمييز بين الناس واحتكار الحكومات والمؤسسات في العالم الغربي لمقدرات الشعوب الفقيرة وممارسة نوع جديد من الاستعمار الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وتأكيد المنهج العلماني (اللاديني) لتسيير الدول والمجتمعات وتوجيه السياسات الداخلية للدول الغنية والفقيرة على حد سواء.

ومن المعلوم أن الدول الصناعية الكبرى يهمها في المقام الأول استمرار محافظتها على مكانتها الاقتصادية وقوتها العسكرية وسيطرتها على الأوضاع في العالم دون اهتمام يذكر بمشكلاتها الداخلية المتفاقمة من وجود ظلم اجتماعي وانتشار مريع للجرائم والأمراض النفسية والمخدرات وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية التي تنخر في جسم

المجتمع الغربي، طالما أنها لا تمنعها من ممارسة الهيمنة على العالم الآخر والسيطرة على مقدراته، وعلى هذا فإن هذه الدول تسعى للتنسيق والتعاون بينها و إيجاد التكتلات مثل الاتحاد الأوروبي والاتفاق بين حلف الأطلسي ودول الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وغيرها في مشروع المشاركة من أجل السلام، بالإضافة إلى الاتفاقات الاقتصادية والتعاون في جميع المجالات بين هذه الدول جميعها من أجل المحافظة على قوتها ومكانتها في أسلوب جديد لا يستخدم الاحتلال العسكري للدول المستضعفة لتنفيذ أغراضه وتحقيق رغباته، وإنما يبتكر الوسائل من أجل إبقاء مصالحه في الأولويات. وبالمقابل فإن دول العالم الثالث أو دول الجنوب ومن أهمها الدول الإسلامية والعالم الإسلامي ككل تعاني من التخلف والفقر والجهل والمرض والديون الخارجية والمشكلات السياسية والاجتماعية والصراع على السلطة وأوهام الديمقراطية وفق النمط الغربي بالتعددية الحزبية والانتخابات البرلمانية وغير ذلك مما يزيدها اضطراباً وانشغالاً عن واقعها ومشكلاتها الملحة ويجعلها أكثر اعتماداً على المساعدات والديون الخارجية التي تزيد من معاناتها بدلاً من أن تجلب لها السعادة والاستقرار.

في ظل هذه الأوضاع السائدة تطلع العالم إلى النظام العالمي الجديد الذي ظهرت الدعوة إليه على لسان بعض الزعماء أو تنادت به وسائل الإعلام وبشرت بأنه سيصبح الوضع الصحيح الذي سيؤول إليه حال البشرية بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وسقوط الشيوعية العالمية وأن العالم مقبل على حقبة من التغيير الإيجابي في أوضاع العالم المعاصر وبداية لانتهاء أحزان الناس وتحقيق الأمن والاستقرار والمساواة لبني البشر ولكن وبعد مضي عدة سنوات لم يتحقق خلالها أي تغيير جذري في المفاهيم

والأسس التي يمكن أن يبنى عليها مثل هذا الأمل الكبير الذي يحدو كل إنسان في عالم اليوم المليء بالمآسي والكوارث والأحزان التي أصبحت النفس البشرية معها ليس لها قيمة أو احترام.

ولما كان المسلمون أصحاب رسالة سماوية خالدة ومستخلفين في هذه الأرض لإعمارها وفق السنن الربانية والسعي لتحقيق السعادة للناس باختلاف فئاتهم وأعراقهم وألوانهم وأديانهم وتعريفهم بالمنهج الحق الذي يحقق لهم ذلك... مطالبين بتقديم مالديهم من مباديء وأسس ووسائل تعين على حل المشكلات وتصحيح المسار وخلق جو من التعاون والتفاهم على أساس من المساواة والتعايش الذي يطلبه الإسلام في قوله تعالى: ﴿**يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[1] وفي قول الرسول الكريم ﷺ «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» وغير ذلك من الآيات والأحاديث وأفعال وأقوال الرسول الكريم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين مما غفل عنه المسلمون في عصور غفلتهم وتنكبهم الطريق المستقيم بما عاد عليهم من الضنك والمعاناة التي لا تخفى على أحد وهذا يستوجب تذكيرهم وتشجيعهم والأخذ بأيديهم إلى الطريق الوحيد المؤدي إلى خلاص المسلمين من أوضاعهم المتردية ومن ثم مد يد العون للآخرين وتقديم النظام العالمي الذي فيه نجاة العالم من كارثة محققة ومصير مظلم لا يعلم مداه إلا الله.

وهذا الكتاب الذي أعده الأخ الصديق الدكتور: حامد بن أحمد الرفاعي هو حصيلة خبرة واحتكاك واتصال بالمهتمين بالدعوة الإسلامية

---

(١) الحجرات آية: ١٣.

وسبل تطوير أداء أعمالها من ناحية، وبالراغبين في التعاون لإصلاح أوضاع العالم المضطربة من غير المسلمين من ناحية أخرى، سيكون بإذن الله معيناً على وضع استراتيجية للإصلاح في العالم الإسلامي وتقديم البديل الإسلامي لحل مشكلات العالم المعاصر ومشجعاً للعلماء والمفكرين للإدلاء بآرائهم ومقترحاتهم في هذا الصدد لإثراء النقاش وتبادل الآراء والأفكار، وأسأل الله التوفيق والسداد للجميع وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالله بن عمر نصيف

٢٩/ محرم/ ١٤١٥هـ

٨/ يوليو/ ١٩٩٤م

كلمة..
معالي الشيخ عبدالله بن بيّه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه. . وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران/ ١٤٠) اليوم: في اللغة العربية يعني بياض نهار يوم واحد. كما يقول الخليل بن أحمد، ويقول المالكية إن اليوم يعني ليلة ونهارها ولكن اليوم أيضاً يعني الحقبة الزمنية التي قد تطول وقد تقصر، ويعني مايحدث في هذه الحقبة، ويعني الأحداث الجسيمة، فيوم كل أمة هو حقبة انتصارها بالنسبة لأمة أخرى. لسنا بصدد بحث لغوي ولكن بصدد تقرير حقيقة كونية هي أن التداول بين الأمم والحضارات المختلفة في القيادة التاريخية هو سنة من سنن الله تعالى في خلقه إبتلاءً واختباراً لحكمة بالغة إلى أمد مسمى وأجل مكتوب ﴿لكل أمة أجل﴾(يونس/ ٤٩). . و﴿لكل أجل كتاب﴾ (الرعد/ ٣٨). . والإنسان ليس مطالباً باستكناه حقائق هذه السنن والبحث عن مغزاها فحسب ولكنه مطالب بالتعامل معها والاستفادة من فحواها يتنافس على الخير ويسابق إلى الأفضل، والأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى القيام بالوظيفتين، وظيفة التدبر والتفكير في هذه السنن، ووظيفة التعامل الجاد

معها في ميادين السباق في هذه الحياة لوضع هذه الأمة في مقدمة الساعين إلى مراتب الشرف والكمال. وقد استوقفت هذه الحاجة الملحة التي تصل إلى الضرورة بعض النخبة من المفكرين الإسلاميين فحاولوا تحليل هذه السنن على أرض الواقع في الأوضاع العالمية التي نعيش فيها والتي تقودها حضارة هي «الأخيرة» بالنسبة لنا، كيف تم ذلك. . ؟ وما هي المنهجية للتعامل معه ميدانياً. . ؟ تلك بعض الأسئلة التي هي في الحقيقة متعددة ولكنها في جوهرها تحوم حول سؤال واحد، لماذا هم في المقدمة ونحن في المؤخرة في ركب الحياة. . ؟ إن أخانا الفاضل المفكر الإسلامي فضيلة الدكتور/ حامد بن أحمد الرفاعي الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي وعضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد، كانت هذه الأسئلة شغله الشاغل في العقدين الأخيرين فكان لي الشرف بأن حضرته يحاضر عنها ويناضل في سبيل تحقيق مفاهيمها وتدقيقها على أسس عملية بعيدة عن الانفعال منتهجاً مسلك التعقل والاعتدال، فقد حاضر عنها في مدريد بأسبانيا في الحوار الإسلامي المسيحي، وكذلك في لقاءات الحوار في روما وفي اللقاء العاشر لاتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا في ديسمبر ١٩٩٢م وهو الآن يصوغها في كتاب «الإسلام. . والنظام العالمي الجديد» يحلل السنن بوعي تحليلاً علمياً، وكيف لا وهو أستاذ الكيمياء في جامعة الملك عبدالعزيز إلا أنه يضم إلى البعد العلمي والصرامة التي تمليها نتائج المختبر تجربة طويلة في العمل الإسلامي، الذي انضم إليه منذ نعومة أظفاره أوصلته إلى قناعات يمكن أن نطلق عليها «الواقعية البراغماتية» التي تحافظ على الأساسي ولا تحفل بالكثير من المظهر الأيدلوجي المتباهي، أراد من خلال هذه البحوث أن يعترف

«بالنظام العالمي» وأن يعرف عليه المهتمين في القضايا المعاصرة وأن يشير إلى نواقص هذا الوضع من خلال عرض المثال الإسلامي وأن يقول للقاريء في النهاية لا تيأس فإنه يوجد نموذج إسلامي عاقل في العالم المعاصر في المملكة العربية السعودية التي أسست على دعوة إسلامية لو انضمت إليه نماذج أخرى لتكاملت الأمة ولوصلت إلى مرحلة الشراكة في هذا العالم الذي قد لا يكون كله شراً، وأحسب ان فضيلة الدكتور العزيز قد قال بعض مايريد أن يقول، وكتابه دعوة إلى أبناء الصحوة والدعوة، -الذي نحسبه في مقدمتهم- ولا نزكيه على الله، ولا أن يعالجوا قضايا هذا العصر الملحة الذي وصفها بحق بأنها لا ترضي أحداً، وأن القضايا البشرية أصبحت تهم الإنسانية بكاملها، وأنه يوجد خلل في التوازن يدعو كل الديانات والحضارات للتعاون على إصلاحه، والكتاب دعوة لأبناء الأمة الإسلامية ولعقلاء البشرية جميعاً للتفكير في مستقبل الإنسانية، فعسى أن يجيب من سمع ويستجيب من دُعي، ونسأل الله تعالى لكتابه الثواب في الآخرة، ولمؤلفه مزيداً من الانتاج والتوفيق في سبيل الدعوة وعلى طريق الصحوة.

عبدالله بن بيّه

جدة- الأربعاء ٢٧/ محرم/ ١٤١٥هـ

٦/ يوليو/ ١٩٩٤م

تمهيـد :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا و إمامنا وحبيبنا رسول الله وبعد . .

فإن هذا الكتاب يشتمل على ستة فصول تناولت موضوعاته على النحو التالي :

الفصل الأول :

الواقع السياسي للمجتمع الدولي..

تحدثت فيه عن منهجية لغة البطش العالمي والسباق المحموم في ميادين انتاج أسلحة الدمار الشامل . . على حساب مقومات النماء الحضاري للشعوب ومستقبل أجيالها ، ثم تحدثت عن ظاهرة عودة شيء من الوعي لبعض صناع الدمار بعد أن تمردت عليهم تكنولوجيا الرعب النووي . . حيث بدأت تظهر لغة البحث عن بدائل آمنة والأطروحات الاستراتيجية اللازمة لذلك . . ثم تحدثت متسائلاً عن موقع الأمة الإسلامية في عملية التصحيح التي لابد أن تبدأ بتصحيح الذات أولاً على أساس الإسلام وقيم الإسلام ثم تقديم النموذج للناس ليكون موضع اقتداء واقتفاء . . وطرحت بين يدي ذلك مشروعاً ثقافياً بخطوط عريضة مطروحة للحوار والتأمل .

الفصل الثاني :

واقع الأمة الإسلامية وأهداف الدعوة وميادينها..

في هذا الفصل أشرت إشارة موجزة جداً إلى انطلاق الهدى الإسلامي من مكة المكرمة، وإلى اتساع خيرية هذا الهدى الرباني والحضارة الإسلامية المتميزة. . مع الإشارة إلى حدوث خلل وتراجع خيرية العطاء الإسلامي مبيناً بعض أسباب الخلل وعناصره. . ثم استعرضت منهج التصحيح والعلاج متحدثاً عن الدعوة الإسلامية وأهدافها ومبادئها الإقليمية والعالمية. . ثم تحدثت عن ثوابت الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها ووسائلها، وختمت بتوصيات عامة.

الفصل الثالث :

ملامح وخطوط عريضة في استراتيجية الدعوة الإسلامية

تحدثت عن مهمة الأمة الإسلامية في الشهود الحضاري العالمي، ثم قدمت كلمة مختصرة في المنهج الاستراتيجي عبر الساحات الداخلية والعربية والإسلامية والعالمية، وتحدثت عن خطوط عريضة في نظريتنا الاجتماعية، ونظريتنا السياسية، ونظريتنا الجهادية ونظريتنا الأمنية العالمية.

الفصل الرابع :

الإسلام.. والنظام العالمي..

تحت هذا المبحث الذي اتخذ عنواناً للكتاب، تحدثت فيه عن قدم فكرة النظام العالمي عند الناس، وأشرت إشارة مختصرة إلى نشوء منظمة عصبة الأمم التي انتهت إلى هيئة الأمم المتحدة بتكامل مؤسساتها، ثم استعرضت المحاولات التي جرت في الأمم المتحدة لإعادة النظر في بنية ومنهجية النظام العالمي ودور منظمة اليونسكو في ذلك، والتي انتهت كلها بدون نتيجة تجاه هذا الأمر، ثم أشرت إلى تجدد طرح موضوع النظام العالمي أثناء حرب الخليج وتفاعلات هذا الطرح على نطاق واسع، وتعرضت لرؤيتنا الإسلامية حول مفهوم النظام العالمي في الإسلام وكذلك مرتكزات النظام العالمي وضوابطه ومعاييره المطلوبة.

الفصل الخامس:

الإسلام.. والحضارات..

في هذا البحث تحدثت عن عالمية الإسلام ومنهج الاستخلاف الرباني في الأرض وتحدثت عن توازن منهج الإسلام القائم على الإيمان والعلم والعمل، ثم أشرت إلى أثر اختلال هذا التوازن على مسيرة الحضارات في الماضي والحاضر وقدمت شهادات تاريخية قرآنية وشهادات معاصرة معتمداً على أقوال للرئيس جورباتشوف رئيس الاتحاد السوفييتي

سابقاً، وللرئيس ريتشارد نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية . . ثم أقمت محاجة علمية عبر مثال لمفاعلة كيميائية وأخرى لمفاعلة حضارية حيث طرحت معادلة حضارية عناصرها «الإنسان، الأرض، المنهج» مع مناقشة مطولة لذلك، وختمت بتقديم رؤية إسلامية حضارية، ورغبتنا المخلصة نحن المسلمين بالحرص على سلامة وارتقاء الإرث الحضاري الإنساني.

الفصل السادس:

المملكة العربية السعودية .. والنهج الحضاري..

جعلت هذا البحث خاتمة للكتاب وذلك بالتحدث عن واقع ميداني حضاري معاصر. يؤكد صدق القيم الإسلامية وكفاءتها على المعاصرة الحضارية وقدراتها على تلبية متطلبات ومستجداتها الإبداع الحضاري عبر الزمان والمكان. . ليكون حديثنا عن القيم الحضارية الإسلامية حديثاً منطلقاً من مواقع ميدانية حية، لا نوعاً من التغني بأمجاد حضارية تاريخية فحسب، ولا حديثاً نظرياً عن قيم مجردة تفتقر إلى واقع ميداني يمثلها ويؤكد جدارتها وفاعليتها.

المؤلـــف

جدة / الأربعاء / ٢٧ / محرم / ١٤١٥هـ

٦ / يوليو / ١٩٩٤م

الفصل الأول :

- الواقع السياسي للمجتمع الدولي.
- مشروع التكامل الثقافي.
- مشروع هيئة حكماء المسلمين .
- تأصيل العلاقة مع مواقع العمل الإسلامي .

الفصل الأول :

الواقع السياسى للمجتمع الدولي

لقد كان من فعل الحربين العالميتين الاولى والثانية وما تميزتا به من نهج قهرى فى معركة الصراع على السيادة والسيطرة على قدرات العالم والتحكم بموازين القوى فيه . . أن توجه المجتمع الدولي وجهة أمعن فيها بلغة البطش والفتك . . وأسرف فى توفير أدواتها ووسائلها . . مسخرا كل إمكاناته، وقدراته الإبداعية لانتاج أفتكها وأقدرها على التدمير والتخريب . وقد كان له ذلك . . وتحولت الأرض إلى عبوة كبيرة محشوة بمخزون هائل من مادة الفناء المرعب . فضلا عما يعمر فضاءها من مخزون عالي الكفاءة لوسائل الرصد والتحكم . . مما جعل مصير الإنسانية وتراثها الحضارى . . رهينة ضغطة زر يحيلها من بعد قاعا صفصفا . . وهكذا أخذت الأرض وأجواؤها نصيبا موفورا من أسباب الفناء الجماعى الذى لا يبقى ولا يذر . . وهكذا دب الرعب والقلق فى نفوس رواد تكنولوجيا الموت — بما صنعت أيديهم وبمخزون أحقادهم وذلك على حساب مقومات النماء الحضاري لشعوبهم ومستقبل أجيالهم، وأجيال الإنسانية الشقية بصنيعهم فتنادوا حذرين للحد من انتشار راجمات حمم الموت والدمار . . وللحد من معدلات انتاجها، وقد أيقن الجميع بعموم بلواها وشمولية خرابها ودمارها . . وقد اختصرت

التكنولوجيا نفسها الزمان والمكان. . فتقاربت أطراف الأرض وطويت مسافاتها مما جعل ذراع بطشها وحمم حرائقها تدرك الجميع على السواء، وبكل يسر وسهولة.

وهذا — بتقديرنا — مبعث التحولات الاستراتيجية على ساحات التأثير العالمى. . تحولات تقوم على منهجية البحث عن بدائل آمنة لتحقيق طموحات التفوق والسيادة والغلبة فى حلبة الصراع الدولي. . بعد أن شب عن الطوق المولود النووي ومنتجات الرعب فى محاضنه. . ونحسب أن البدائل عند الجميع تتجه نحو استراتيجية التفوق البشري، واستراتيجية التفوق الاقتصادي. . وقد بدأت ظواهر الاهتمام والاعتناء بمقوماتها الأساسية وهى:

١— العنصر البشري ومحاولات النهوض به وفك قيوده وإطلاق مقوماته الفطرية اجتماعيا وسياسيا بعد أن أهمل إلى حد كبير وفق منهجية استراتيجية التفوق النووي.

٢— العنصر الاقتصادي والتركيز على تعددية موارده وتوسيع مساحات تعامله واستقراره.

٣— توسعة وتكثيف ميادين الغزو الثقافى على حساب الغزو العسكرى الذى أثبت سلبياته بكل اتجاه.

ومن أبرز المؤشرات العملية بين يدي هذه التحولات الاستراتيجية:

● اتفاقات الحد من سباق التسلح النووي وضبط معدلات انتاجه.

● اتفاقات الرقابة النووية المشتركة وبوادر التعامل الميداني مع مضامينها.

● التعاون فى مجال التكنولوجيا الخيرة والدخول فى ميادين تبادل خبراتها.

● تهدئة بؤر التوتر العالمي.. ونزع فتيل نقاط تماسها الساخنة.

● محاولات بعث أجواء التعايش والتقارب الايدلوجي والسياسي على مستويات مختلفة.

أجل إن القوى العالمية اليوم تتحرك باتجاه استراتيجية التفوق البشرى لكياناتها الجماعية ، استراتيجية قوامها التكامل الثقافي والتكامل الاقتصادي.. وهذا لا سبيل لتحقيقه الا بتوسيع مصادره وتوحيد قدراته وفاعلياته فى إطار التركيز على منهجية العمل الجماعي وتأصيل تعاونياته وتقعيد علاقاته الدستورية والسياسية على مختلف المستويات الإقليمية والقارية والعالمية. فلا عجب بعد: أن نرى اليوم ولادة لكيانات سياسية موسعة على حساب كيانات مبعثرة أو كيانات حجمت من قبل مكانتها التاريخية المرموقة، نتيجة لمقاصد سادة الحربين الكبريين وامتداداتها الساخنة والباردة على الساحات العالمية. وهذا يفسر ما نلمسه من منهجية جادة لتجاوز التقسيمات السياسية التقليدية والقفز من فوق فواصلها التاريخية لإقامة أشكال وصيغ لكيانات جماعية بين جهات مختلفة على أكثر من ساحة من ساحات الامتداد العالمى. وما ذلك إلا بقصد تحقيق تكامل ثقافي واقتصادي وسياسي، يكسبها تفوقا بشريا يعزز إمكاناتها الكفائية الذاتية ويؤمن لها قدرات متفوقة فى حركة التدافع مع الآخرين فى إطار صراع موازنات التعامل الدولي القائمة على أساس معركة إثبات الذات وتحقيق الطموحات العالمية، أجل إن استراتيجية التفوق البشري القائمة على منهجية التكامل الجماعي لفعاليات القوى

العالمية أصبحت اليوم الملاذ الحصين لتحقيق أمنها واستقرارها ، ومن ثم تحقيق طموحاتها العالمية فى السيادة والغلبة بعد أن تأكد لديها فشل وتدهور استراتيجية التفوق النووي فى تحقيق هذه الطموحات.

وبعد فإن ما تقدم يؤكد أمرا لا لبس معه ولا غموض، فأى كيان سياسى لن يستطيع المحافظة على وجوده.. وتأكيد سيادته فضلا عن تحقيق مصالحه وطموحاته الحاضرة والمستقبلة إلا عبر منهجية العمل مع من تجمعه معهم مقومات وخصائص التكامل الجغرافي والاجتماعي والسياسى وغيرها على جميع المستويات الإقليمية والقارية والعالمية.. وكذلك عبر منهجية العمل الجماعي الانساني وفق مبدأ الاستخلاف العام لعمارة الأرض. ففي إطار حركة المفاعلة والتدافع بين مختلف اتجاهات ومذاهب الاستخلاف والعمارة فى الأرض تتهيأ للإنسانية عامة أسباب الخيرية والصلاح وتتراجع أسباب المفسدة والخراب. فالتدافع الإنسانى سنة من سنن الله تعالى فى خلقه اقتضتها حكمته ومشيئته لعموم فضله على العالمين. ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾[1].

والآن وفى ضوء كل ما تقدم وامتثالا لمهمة شرف التكليف الربانى ﴿**لتكونوا شهداء على الناس**﴾[2] فما عسانا فاعلين نحن المسلمين؟ وما هو موقفنا مما يجرى من حولنا؟ وكيف نتعامل مع توجهاته العالمية؟ بل ما هى استراتيجيتنا الموازية إن لم تكن المتفوقة؟ وما هى مقوماتها؟ وكيف نستطيع تحقيقها والسير بها فى خضم التصارع والتدافع الاستراتيجي العالمي؟ هذه أسئلة وأخرى غيرها تطرح نفسها فى ميادين العمل الجاد

---

(١) البقرة/ ٢٥١ .

(٢) البقرة/ ١٤٣ .

أمام الرغبة المخلصة لأجيال أمتنا فى تصحيح حاضرها والارتقاء بمستقبلها، أسئلة ضاغطة وملحة تفرزها المعاناة الصعبة من واقعنا الاستثنائى نسبة لواقعنا التاريخى. . ونسبة لأصالة رسالتنا الحضارية أسئلة تفجر معانيها وطاقة البحث عن إجاباتها. . الواقع الضاغط لطبيعة نهج المجتمعات الدولية من حولنا. . وتسارع تحركاتها باتجاه تغييب هويتنا ووأد مواقع الخيرية من حاضرنا، وإجهاض بشائر الجدية فى صناعة مستقبلنا. . أجل أسئلة موضوعية تدفع بها رغبة جادة لأجيال أمتنا فى تحقيق ذاتها وإعادة مجدها واستئناف واجبها الحضارى فى تسديد وترشيد مسيرة الإنسانية من حولها.

وأمام هذه الأسئلة الموضوعية الجادة. . النابضة بحيوية صحوة أجيال أمتنا لابد من تفاعل موضوعي مسؤول وجاد نتلمس به الإجابات المكافئة لحيوية هذه الأسئلة وعظم مسؤوليتها أمام الله تعالى. . ومن ثم أمام حق الأجيال علينا فى حاضرنا ومستقبلنا. . ونحسب أن أول الخطوات الجادة والموضوعية فى تلمس هذه الأجابات. . هى التزام الجرأة والشجاعة مع الموضوعية والتجرد فى تحديد أسباب الاستقصاء الحضاري فى مسيرة أمتنا. .

واستجابة لهذه المعانى نقول وبالله تعالى نستعين وعليه نتوكل وبه نستعصم من كل زلل وزيغ: ان ما أصاب ويصيب أجيال أمتنا من تعثر واستعصاء فى استئناف مسيرتها وحيوية عطائها الحضاري مرده لأمرين اثنين أساسيين:

أولهما: خارجي يتعلق بموقف جهات عالمية من تراثنا الحضاري ونموذجيتنا السياسية التاريخية. . الموقف المتسم بالجحود والنكران

ومحاولة طمس معالمنا ومسخ فضائلنا الحضارية، بل الحؤول دون تجدد قيامها وعودة صيغها الإنسانية الخيرة.

وثانيهما: داخلى ذاتى، يتعلق بالواقع المتردي ثقافيا وسياسيا لغالب الكفاءة العربية والإسلامية.

أما ما يتعلق بالعامل الأول والذي مداره ومآله المكر والكيد والعمل الجاد دون تجدد انبعاث الفعالية الإسلامية ودون استئناف مهمتها الحضارية العالمية، نحسب أنه ما ينبغى أن نشغل أنفسنا ونبذل أكثر مما بذل من وقت وجهد فى إثباته وفضح حقيقته، لأن القضية بالنسبة للمسلمين على الأقل محسومة أدلتها تاريخيا بقصص القرآن الكريم ومؤكدة بتحذير الله تعالى لرسول الإنسانية صلوات الله وسلامه عليه بقوله الجامع المانع ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾[1] ولكن الجانب من هذا الأمر والذي لايزال بحاجة الى كثير من بذل الجهد والوقت.. هو الفهم الميدانى الدقيق لأبعاد هذا الموقف والاحاطة الموضوعية بوسائله وأساليبه المعاصرة فى المكر والكيد.. الفهم والإحاطة بالقدر الذي يخدم استكمال دراستنا عن الواقع الإنسانى وطبيعة مناهجه الميدانية بما يحقق تكامل فهمنا وتصوراتنا وينمي قدراتنا ومهارتنا فى التعامل مع مكرهم وكيدهم. والتفوق عليه ورده فى نحور أصحابه ورواده. وفق معاييرنا وثوابتنا الأخلاقية فى إطار قوله تعالى: ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾[2].

أجل إن المؤمن ليمكر ويكيد ولكن بمعايير خيّرة يحكمها العدل والإنصاف.. والبعد عن الجور والاعتداء.. أي أن المكر من حيث هو لا

---

(١) البقرة آية ١٢٠.
(٢) الأنفال آية ٣٠.

يقلقنا كثيرا. . إلا بقدر غياب فهمنا لطبيعته وبقدر غياب قدراتنا ومهاراتنا فى استيعاب وتفادي مكائده، وبكلمة أخرى فإن الذى يقلقنا ويقض مضاجعنا هو غياب الاستعداد والتهيؤ لبعث الاستراتيجية الإسلامية القادرة على التصدي لكل مايراد بنا . .

وعن العمل الثانى . . وهو الأهم والاخطر. . على مسيرتنا وما تلاقيه من تعثر واستعصاء والذى يتعلق بالواقع المتردى — ثقافيا وسياسيا — لغالب أمتنا العربية والاسلامية . . هذا الواقع الذى لايزال يقف حائلا دون تحولها من الغثائية الواهنة الى الثقلية الحضارية المنشودة رغم الرغبة الجادة والجهود المخلصة المبذولة هنا وهناك عبر ميادين النبض الصحوى لاجيالنا المعاصرة. . نحسب أن مرده لغياب وحدة الفهم والتصور لمادة الاسلام في ميادينها التطبيقية على الأقل بعد انحسار الشريعة الاسلامية عن واقع المسلمين ومناهج حياتهم المعاصرة. . الا ما هو قائم بفضل الله تعالى في المملكة العربية السعودية. . رغم كل هجمات الكيد والتآمر. . وكذلك لغياب وحدة الفهم والتصور لعلاقة المسلم بغيره، وغياب وحدة الفهم والتصور لمهمة المسلم فى عمارة الارض في إطار وسياق التكليف الإنسانى العام لتحقيق هذه العمارة. . أجل ان غياب وحدة الفهم والتصور حول هذه المعانى وغيرها هو العامل الأهم الذى يحول دون انبعاث الفعالية الاسلامية ودون إقلاع الامة من ميادين ضعفها وتخلفها. . ومن ثم دون انطلاقتها لاستئناف مهمتها الحضارية بين الامم.

وخلاصة القول، وباختصار بالغ فإن استعصاء وتعثر مسيرتنا الحضارية مرده لغياب تكامل فهمنا لرسالتنا ومهمتنا الإنسانية وغياب كفاءتنا ومهاراتنا لأداء هذه المهمة. وبعبارة أقصر لغياب تكامل فهم

الحق وغياب فن ممارسة الحق. والآن إن كان ما تقدم هو سبب التعثر وعدم التقدم لأمتنا، فما السبيل لتكامل فهم الحق؟ وما السبل لكسب المهارة اللازمة لممارسة هذا الحق؟ وابتداء نقول: لاشك أن الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها يتعذر على شخص بمفرده أو نفر قليل مهما توفر من كفاءة و إحاطة أن يوفيها حقها أو يأتى على كل وقائعها، ومع هذا لا يمنع بل هو الواجب الملح أن يقدم كل من يستطيع المساهمة بما لديه من امكانات، فمن تكامل الرؤى والأفكار يتولد تكامل الفهم للحق، ومن تكامل التجارب والمهارات تتولد المهارة المطلوبة والمتكافئة مع الحق في ميادينه التطبيقية. ورحم الله تعالى الشيخ الزهاوى حيث عبر عن ذلك بقوله: ان العالم الإسلامى اليوم يحترق، فمن استطاع أن يصب قليلا من الماء ليطفىء الحريق فليفعل. ونحن بروح الإحساس بالمسؤولية تجاه حاضر أمتنا — وقد اتسعت حرائقه، وتأججت بل تسعرت نيرانه — لنتجاوز الحاضر باتجاه ساحات المستقبل نقترح المشروعات التالية:

أولا: التكامل الثقافي لأجيال الأمة.. وعناصره هي:

١— فكرة التكامل الثقافي.

٢— منهاج التكامل الثقافي.

٣— برنامج التكامل الثقافي.

٤— الوسائل وخطوات العمل.

ثانيا: هيئة حكماء المسلمين وعناصرها:

١— فكرة المشروع.

٢— مهمة هيئة الحكماء.

٣— البرنامج العملي.

٤ــ مواصفات الحكماء .

٥ــ مقر المشروع ومشروعية وجوده .

ثالثا : التأصيل والتنسيق مع مواقع العمل الاسلامي في العالم . .

كما وإننا بعون الله تعالى نرفق بهذه المقترحات دراسة أولية عن كل مشروع لتكون ــ إن شاء الله ــ اللبنة الأولى لكل إضافة خيرة لاستكمال البناء وتمام المشروع .

مشروع التكامل الثقافي

فكرة التكامل الثقافي :

نقصد بالتكامل الثقافي إعادة الشخصية المسلمة . . إلى أصالة اتزانها الكفائى، الاتزان القائم على التكامل المعرفي فى عالم الغيب وعالم الشهادة بما يؤهلها للاضطلاع بمنهاج الاستخلاف فى الأرض وعمارتها . ونقصد بالتكامل الثقافي بنفس الوقت التكامل المعرفي والثقافي مع العطاء الانسانى فى ميادين الإبداع الإيجابى فى كل ما يحقق الأفضل والاكمل فى إطار حركة البناء العام لمجتمع انسانى خّيرٍ آمن .

وبشكل عام نقصد بالتكامل الثقافي اعادة الشخصية الانسانية الى أصالة اتزانها الفطرى الاتزان القائم على صبغة الله تعالى التي صبغ الناس بها على أساس العلاقة الإيجابية بين المخلوق والخالق، والعلاقة الإيجابية بين المخلوق والمسخرات من حوله .

ونقصد بالتكامل الثقافى عمليا إنهاء حالة الانقسام والاضطراب الثقافى بين أجيال أمتنا الإسلامية بعد أن تفشت ظاهرة التمحور الثقافى. وقد أوقف كل فريق منهم نفسه على جانب معين من الثقافة الكلية للأمة اطمأنت له نفوسهم، وأخذ بهذا الجزء يحاول علاج قضية الأمة وإنهاء غربتها الحضارية وإنهاء عزلتها الإبداعية، مما ولد حالة من الصراع المؤلم بين فعاليات الأمة الإصلاحية والتى نحسبها جميعا على درجة من الإخلاص والجدية فى تصحيح مسار الامة، وتهيئة الاسباب لاستئناف فعاليتها ومهمتها الحضارية، وبكلمة مختصرة، نقصد بالتكامل الثقافى التحول بأجيال الامة من القبلية الثقافية إلى الوحدة الثقافية ومن التحوصل المعرفى إلى الانفتاح والتكامل المعرفى الايجابى عربيا و إسلاميا وعالميا.

منهاج التكامل الثقافى:

هناك علاقة وثيقة ودقيقة ما بين أى منهج والفكرة التى يوضع لتحقيق غايتها ومقاصدها، والفكرة عادة توحى بمادة منهجها وأسلوبه وبقدر ما يوفق المعنيون بتلبية هذه العلاقة ما بين الفكرة ومنهجها فإن ذلك ينعكس على المنهج ليصبح مؤهلا للتعامل مع الفكرة وتحقيق ما تصبو إليه، والفكرة الإسلامية ومنهجها يتميزان بشىء خاص ومتفرد، وهو أنهما يعودان إلى أصل واحد يتداخلان معه تداخلا نسيجيا، وهو العقيدة الإسلامية ومقاصدها فى عالم الغيب وفى عالم الشهادة وهذه الثلاثية المتداخلة: العقيدة والفكرة والمنهج هى التى تكون أساس منهج

الاستخلاف في الأرض، والذى هو غايتنا ومقصدنا من فكرة التكامل الثقافى. ونحن نسعى لتحقيق شمولية البناء التكوينى للشخصية المسلمة بالكيف الذى يؤهلها لاداء مهمتها واستئناف فعاليتها الحضارية فى عمارة الارض. وهذا كله يلزمه جهد عال ومقدرة فائقة على ايجاد العلاقة الموضوعية العملية بين المفاهيم التالية: —

— المفاهيم العقدية — المفاهيم الفكرية — المفاهيم الاجتماعية

— المفاهيم الأمنية — المفاهيم السياسية — المفاهيم العسكرية

— المفاهيم الاقتصادية — المفاهيم السلطانية — المفاهيم الإعلامية — العلاقات الدولية — مفاهيم التعايش الأمنى — مفاهيم الحرب والسلم

برنامج التكامل الثقافى:

يقصد عادة بالبرنامج الجدولة الموضوعية والزمنية لحركة السير التنفيذى لاى مشروع أو مهمة عمل. وفى مجال البناء التكوينى للاجيال يعنى ترتيب أولويات منهاج التكوين وفق مرحلية موضوعية وعبر مرجلية زمنية تناسب مستوى الوعى لدى أفراد الجيل الواحد وتناسب احتياجات الامة فى حركة تصحيح مسارها العام، وفى حالات استثنائية قد يتطلب وضع الأمة السير وفق برنامج يوازى هذه الحركة الطبيعية لبرنامج التكوين بقصد تكوين فريق عمل إصلاحى بانطلاقة ذاتية يقوم بها الغيورون من أبناء الامة بمبادرة ينتدبون أنفسهم لها ويعتبرون أنفسهم دعاتها العاملين على حشد فعاليات الأمة المعنية بتحقيقها على المستويين

الرسمى وغير الرسمى، وهى مبادرة العمل على التقاء نخبة من كفاءات الأمة لديها القدرة على الترجمة العملية لرصيدها الضخم من القيم والأفكار، ان البرنامج له خطان خط طويل مكيث تعالج به قضية التكوين للأجيال معالجة جذرية واساسية، وخط مكثف الحركة والاتصال لجمع وتكامل الكفاءات العالية المنثورة فى ثنايا الامة على ساحاتها المتنوعة لتحقيق اجتماع النخبة وتحقيق عمل مشترك لفعالياتها. ولتحقيق هذه المعانى لبرنامج التكامل الثقافى يلزم ما يلى :

١ — اختيار النخبة.

٢ — قبول جهة مسؤولة لتبنى البرنامج وتيسير أسباب تنفيذه.

٣ — العمل على تكوين فهم دقيق وموضوعى للتوجهات السياسية فى العالم مع فهم الاستراتيجيات السياسية الإقليمية والقارية والمحورية والعالمية وفهم الموازنات الاستراتيجية على كل مستوى مع تحديد ثوابتها وتتبع دقيق لمتغيراتها.

٤ — العمل على تحقيق دراسات وبحوث لوضع صيغ استراتيجية إسلامية مكافئة وكذلك وضع صيغ لاستراتيجيات التعاون السياسى مع الغير على كل مستوى عربى واسلامى وعالمى.

٥ — حشد الخيارات السياسية المتنوعة والجاهزة لكل مستوى عربى واسلامى وعالمى عبر أطرها الجغرافية المتنوعة وفقا للتتبع الدقيق لحركة السير الاستراتيجى المتسارع عادة والمتداخل على كافة الساحات المحلية والعالمية.

٦ — البحث عن الموافقات الاستراتيجية ما بين الاستراتيجيات الإسلامية على كل مستوى وكذلك الموافقات والمفارقات التكتيكية وعبر المهارات الممكنة فى إطار المتغيرات والموازنات الدائمة الحركة.

الوسائل وخطوات العمل:

(أ) الوسائل :

— مركز معلومات .

— مركز بحوث .

(ب) الخطوات :

— اختيار الحكماء .

— المقر.

— وضع لائحة تنظيمية .

— الميزانية .

مشروع هيئة حكماء المسلمين

فكرة حكماء المسلمين:

نقصد بالحكماء نخبة، النخبة من ذوى الكفاءات العالية المتكاملة والقادرة على بلورة قيم ومفاهيم الأمة وتصوراتها الإصلاحية والبنائية إلى صيغ ميسرة الفهم والإحاطة، من قبل أجيال أمتنا المعاصرة وسلسة الاستقبال والاستيعاب لدى أجيال الإنسانية من حولنا، ونقصد بالحكماء الفئة المختارة من رجالات الامة المؤهلة خبرة لوضع منهجية التكامل الميدانى بين فعاليات الامة الاصلاحية والإرشادية والسلطانية، مما يوحد جهد الامة ويختصر أمامها الطريق وهى تصحو من كبوتها وتحاول جادة الإقلاع من ساحات ركودها وتخلفها، وبشكل عام نقصد

بالحكماء الثلة من الأمة نافذة البصر والبصيرة القادرة بفعالية موضوعية ومنضبطة على هندسة خطة للتكامل البنائى بين منهجية الأمة الإسلامية وبين الجوانب الايجابية من منهجية السير البنائى للأمم من حولنا، عبر ثوابت وقواعد منهج الاستخلاف الربانى لعمارة الأرض، وخلاصة القول: انهم الطائفة الخيرة القادرة على تيسير مهمة تحقيق وسطية الاسلام ثقافيا وميدانيا، سواء ونحن نقيم مجتمعاتنا الخاصة أو ونحن نؤدى مساهمتنا الحضارية عبر حركة التوجه البشرى نحو تحقيق نظام حضارى عام لمجتمع إنسانى آمن مستقر.

مهمة حكماء المسلمين:

١ — العمل على تحقيق دراسات وبحوث عن المستجدات الحياتية المعاصرة فى اطار الثوابت الشرعية والمقاصد العامة لأحكام الشريعة وتفرعاتها واستنباط الصيغ الحضارية لعلاجها والتعامل معها وإنهاء التناقضات والإشكالات الواردة فيها.

٢— العمل على تحقيق دراسات موضوعية لطبيعة ومنهجية المجتمعات الانسانية المعاصرة وتقويمها موضوعيا فى إطار الفهم الموضوعى لوسطية الإسلام ومقاصد الشريعة وإنصافها بتبيان ايجابياتها مع التحديد للسلبيات الموضوعية وتقديم الصيغ الاجتماعية الإسلامية الكفيلة بتنمية وتأصيل الإيجابيات مع تجاوز السلبيات والاستشفاء منها.

تأصيل العلاقة مع
مواقع العمل الإسلامى

فكرة التأصيل :

نقصد بالتأصيل تقعيد وتحديد العلاقة بين العاملين للإسلام فى مواقعهم ومراكز نشاطهم على امتداد ساحات العمل الإسلامى فى العالم. ونقصد بالتأصيل، نقل العلاقات القائمة من صيغها العارضة الطارئة، إلى صيغها الراسخة الدائمة، وبشكل أدق نقصد بتأصيل هذه العلاقة، ايجاد قاعدة للفهم المشترك لطبيعة العمل الاسلامى المعاصر، وقاعدة فهم مشترك لطبيعة العصر ومتطلبات العصر بعامة، فى اطار ثوابتنا العقدية وقيمنا الثقافية. وميدانيا نقصد بتأصيل العلاقة، تحديد برنامج للعمل المشترك، تتكامل به إمكانات العاملين فى كل ميدان من ميادين النشاط الاسلامى، وتتسق مع حركتهم فى كل ساحة من ساحات الدعوة والبناء. وبشكل أعم وأشمل نقصد بتأصيل العلاقة، تحديد فكرة ومنهج استراتيجية عمل مشترك تتوحد وتنتظم فيه جهود العاملين للإسلام، وتتسق وتنضبط به مسيرتهم وحركة نشاطهم مع مسيرة وحركة نشاط الآخرين من حولهم.

الفصل الثاني :

- واقع الأمة الإسلامية وأهداف الدعوة وميادينها.
- الأمر الأول.
- الأمر الثاني.
- الأمر الثالث.
- ميادين الدعوة الإسلامية وأهدافها.
- عمارة الأرض وإقامة العدل والسلام.
- عالمية الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها.
- وسائل الدعوة الإسلامية.
- توصيات عامة للداعية.

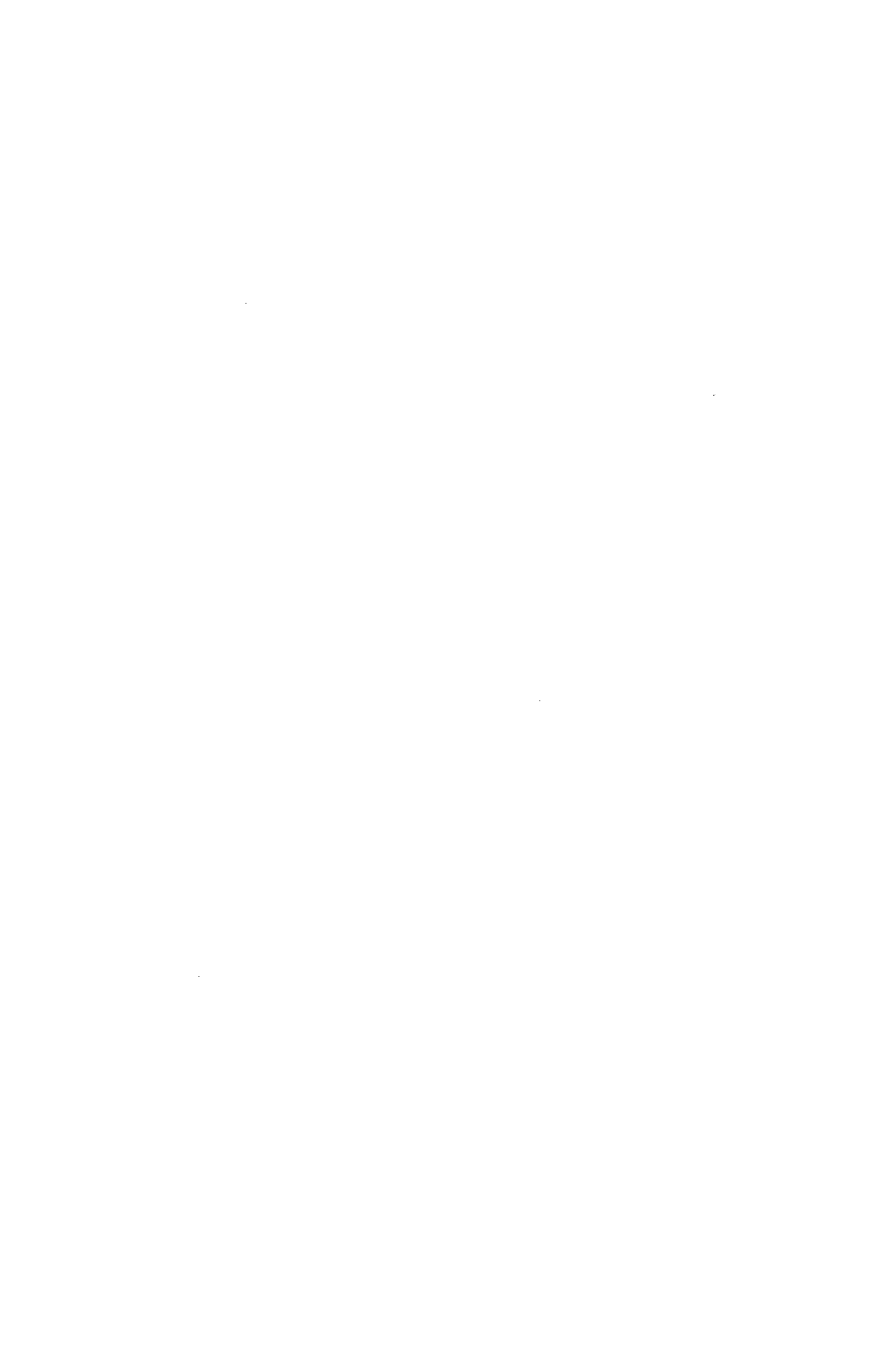

الفصل الثانى :

واقع الأمة الإسلامية
وأهداف الدعوة وميادينها

الحضارة الإسلامية متميزة في كل شيء :

منذ أربعة عشر قرناً ونيّف، صدع رسول الهدى محمد بن عبد الله النبى الامى والرسول الخاتم، بما أوحى إليه ربه جل شأنه وأمره بتبليغه للناس، فأعلنها عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة **﴿قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والارض لا إله إلا هو، يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى، الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**[1] فكانت الدعوة الطيبة المباركة، والإعلان الواضح المبين لنظام جديد، يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور النظم السائدة آنذاك إلى عدل الإسلام وقيمه ومبادئه وأدبياته، وتكونت على أساس من ذلك أمة، وصفها ربها تباركت أسماؤه **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[2] وصنعت هذه الأمة — أمة الاسلام— حضارة متميزة

---

(١) الأعراف الآية ١٥٨ .

(٢) آل عمران آية ١١٠ .

فى تاريخ الإنسانية جمعاء، متميزة فى عدلها، متميزة فى وسطيتها، متميزة فى شموليتها، متميزة فى تكامل منهجها، التكامل بين عالم الغيب وعالم الشهادة والتكامل بين عالم القيم والمبادىء والسلوكيات وعالم الماديات والوسائل والمهارات ومتميزة فى عموم نفعها الإنسانى، لم يحتكرها أهلها ولم يحجبوا خيرها عن الناس، فكانت حضارة أمن ورخاء وعدل وسلام لكل الخلائق على اختلاف أقوامهم وأعراقهم، وأجناسهم وأديانهم وأوطانهم.. وحدث خلل.. وتراخى المسلمون عن القيام بواجباتهم وتخلوا عن منهج خالقهم وأقبلوا على زخارف الدنيا ومشاغلها وشهواتها ونسوا وصية نبيهم(**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت — والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى**)[1] كما قال عليه الصلاة والسلام.

وانحسرت الدعوة الإسلامية وانحصر مفهومها فى الوعظ والإرشاد والخطب المنبرية وتقلص عدد الدعاة إلى الله، وأصبحت الدعوة مهنة يتفرغ لها عدد يسير من أبناء المجتمع الإسلامى يتعلمون فى معاهد متخصصة تركز على التعليم الدينى غير التطبيقى، وتهمل علوماً وفنوناً لا يستغنى الداعية المسلم عن الالمام بها لكى يكون مؤثراً فى مجتمعه، ومشاركاً فى هموم أمته مشاركة فعالة.

واستدرج المسلمون إلى العلمانية الغربية بتأثير الاستعمار الغربي بأشكاله وألوانه، أو بالانبهار بالحضارة الغربية ومنجزاتها المادية، مما ضعف معه الالتزام بالإسلام شريعة وعقيدة فى كثير من البلاد، وكان لازدواجية التعليم (الدينى والعصرى) خطرها الواضح وأثرها البالغ فى

(١) رواه أحمد وابن ماجة والترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري- انظر كشف الخفا.

تفتيت الأمة، وتمزيق شملها وإضعاف كيانها وتبديد طاقتها، وإدخالها فى متاهات الضياع الفكرى، وفقدان الذاتية الاسلامية القوية بإيمانها، حتى أصبحت الأمة الإسلامية غثاء كغثاء السيل كما وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام فى حديثه الصحيح (**يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها**.. فقال قائل: أمن قلة نحن يومئذ.. فقال: **بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن**.. قالوا وما الوهن يارسول الله.. قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**)[١].

وانهارت الحضارة الاسلامية.. وحجب الاسلام عن دوره الحضارى، فكان اضطراب كبير. تضررت به الامة الاسلامية ضرراً بالغاً.. ولحق الإنسانية شر مستطير. وسادت فى معظم الأرض قيم تتناقض مع فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه الربانى وسادت الحضارة الغربية التى أبدعت فى منجزاتها الحضارية المادية، ولكن أسرف أهلها فى صناعة تكنولوجيا الموت والدمار الشامل على حساب القيم والأخلاق ومصالح الشعوب المستضعفة التى اضطربت أحوالها، ففتكت بها المجاعات فى بقاع كثيرة من الارض بينما مات بعض الناس من التخمة، وأهلكتهم الأمراض، وانتهكت حقوق الإنسان، وأبيد الملايين فى كل مكان بلا رادع من وجدان، فغاب عن الارض أمنها وافتقدت رخاءها، وعم فيها الجور والظلم والأنانيات، وحاقت بالبيئة وسكانها كل ضروب الدمار والهلاك وقد طال عبث الانسان وإفساده البحر والجو بعد

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه (٤٢٩٧) ٤ : ١١ كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام.

الأرض، مما يهدد الإنسانية فى أصل وجودها فضلاً عن أمنها ورخائها وعدلها وسلمها . . **وأوشكت السفينة البشرية على الهلاك وقد عصفت بها كل أسباب الدمار والغرق، مصداقاً لقول البارى جل وعلا: ﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾**(١) فهل من منقذ قبل فوات الأوان مع غياب الامل بسفينة نوح ثانية؟؟

وجواباً نقول نحسب أن التصحيح ممكن وميسر، يوم أن تتوفر للمجتمع الدولى مناخات تستعيد معها النفس البشرية ما افتقدت من خصائص وسمات، ويوم يتصحح المسار الحضارى العالمى لينسجم مع فطرة الإنسان ومتطلباتها الوجدانية، ويبعث بين الناس روح من الإحساس بالتعاون على الخير والفضيلة، ونبذ للشر والرذيلة، وتشيع بينهم قيم الحق والعدل والمساواة، وتنحسر عن نفوسهم نوازع الجشع والأنانية، وتتطهر من دوافع القهر والظلم، ولكن كيف يكون ذلك كله وما السبيل إليه . . ؟؟

نحن نعتقد أن القيم والمبادىء الإسلامية جديرة كل الجدارة، بأن تقوم بدور فعّال وجاد فى عملية التصحيح والترشيد، وبعث قيم الفضيلة بين الناس، ونعتقد أن السبيل لتحقيق هذا الأمل العظيم، أن تعود للامة الإسلامية مكانتها لتتبوأ من جديد مواقع الوسطية بين الأمم لتمارس مهمتها فى الشهود الحضارى بين الناس، وتقدم النموذج الرائد فى التعايش البشري فى إطارمن التعددية فى الأديان والأقوام والأجناس، ولتحقيق ذلك فإنه من الامانة والموضوعية أن نعرض لواقع أمتنا الراهن

---

(١) الروم آية ٤١ .

بكل صراحة وشجاعة ووضوح، لنستكشف مواضع الضعف والخلل، ولنتلمس من بعد أسباب التصحيح والترشيد — إن شاء الله تعالى — وباختصار شديد.

فإن الأمة العربية والإسلامية تعانى اليوم فى غالب بلدانها من اضطراب شديد، وصراع ذاتى، يستنزف إمكاناتها ويجهض فعالياتها وقدراتها، ويزيد ضعفها وتمزيق شملها، ويمعن فى شتات أمرها، مما ييسر لأعدائها تنفيذ ما يريدونه بها من كيد ومكر وعداوة، ويسهل لهم تحقيق مطامعهم فى بلدانهم وخيراتها وثرواتها الهائلة المتنوعة، مما يجعلها عاجزة عن تصحيح أوضاعها، واستئناف مسيرتها الحضارية، ومما ولّد كذلك عند أجيال أمتنا فى الكثير من مجتمعاتها ردود فعل غاضبة ومتفاوتة، تعبيراً عن رفضها لهذه الحالة الخطرة من تاريخ أمتنا، وما تعكسه من آثار سلبية على حياة الناس — اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. تدنت معها مصالح الشعوب فى كثير من البلدان إلى درجة مؤسفة إن لم تكن مفجعة، ونحسب أن مرد ذلك فى إطار السياق العام لضعف الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى أمور ثلاثة رئيسية هى:

● الأمر الأول:

عدم إلمام السواد الأعظم من الناس وبخاصة المثقفين منهم بحقيقة هذا الدين وشموليته وعظمته، وأنه منهج متكامل للحياة، وكذلك حالة التناقض الثقافى والمعرفى العام بين فئات من أجيال أمتنا، وحالة اضطراب واختلاف المفاهيم والتصورات حول منهجية

التصحيح، والنهوض بالأمة وتحقيق خيريتها من جديد، وأن خطر حالات التناقض والاضطراب تتمثل فى صور ثلاث هى:

١— التناقض والاضطراب المؤسف بين صفوف الفعاليات والجهات الإصلاحية فى الامة — الشعبية منها والرسمية — والتى تحدوها جميعا غاية واحدة، هي التحول بالأمة من الضعف إلى القوة، ومن التخلف إلى الإرتقاء، ومن نقص الالتزام بتعاليم الإسلام، إلى تكامل العمل بشريعة الإسلام وقيمه ومبادئه.

٢— حالة الاضطراب بين الخطابين القومى والإسلامى أو الانتمائين القومى والإسلامى والصراع المفتعل بينهما.

٣— حالة التناقض الوهمى بين فقه تدين الأفراد الذى ينزع غالباً إلى الأخذ بالأحوط والعزيمة وبين فقه تدين الدولة الذى يقوم عادة على الأخذ بالأيسر والممكن لتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عن حياتهم.

● الأمر الثاني:

الخصومة المفتعلة بين بعض الدعاة وبين بعض المسؤولين وأصحاب القرار السياسى من أبنائها، الخصومة التى زرع أسبابها ودوافعها الاستعمار القديم فى جسم الأمة وبنيتها الثقافية والفكرية بين يدى مسيرة استقلالها، وهو اليوم يقيم رهاناً كبيراً فى تحقيق مصالحه، ومحاولة بعث نفوذه وسيطرته فى ربوع أمتنا من جديد، وذلك على أساس من تعميق هذه الخصومة النكدة وتجذير حيثياتها، وتأجيج حرائقها، من

خلال دسائسه المستمرة، وإيحاءاته الخبيثة التى تزرع عوامل التخوف لدى كل فريق من الآخر، وافتعال الأسباب والوقائع، التى تؤكد هذا التخوف والتضاد والنزاع بين الطرفين، وأن كلاً منهما يرى الآخر خطراً على أهدافه وغايته، فى تحقيق أمن الأمة وتقدمها واستقرارها.

● أما الأمر الثالث:

عدم وضوح فقه العلاقات الدولية لدى بعض أبناء أمتنا العربية والإسلامية، واضطراب مفاهيم فقه المصالح الإنسانية المشتركة، وعدم استيعاب بعضهم لفقه التعايش البشرى مع التنوع فى الأديان والأعراق والأجناس، فى إطار التدافع والتنافس الإنسانى، لتحقيق المصالح وصرف الفساد عن الأرض وفق منهجية السياسات الشرعية لفقه الأولويات، وفقه الموازنات وفقه المصالح، وفقه الضرورات، وفقه الرخص والعزائم وغيرها.

وبعد فإنه لا علاج لأزمة أمتنا فى استئناف مسيرتها الحضارية إلا بالتغلب على أسباب حالات التناقض والاضطراب، بين مقاصد وجهود فعاليات جهاتها الإصلاحية المختلفة الشعبية منها والرسمية، فى إطار السياق العام لكل ما يبذل لتأكيد هوية الأمة قومياً وإسلامياً، وبعث أسباب استقرارها وتوظيف قدراتها فى التقدم والارتقاء على أساس من تكامل الجهود الجادة والمخلصة لتيسير أسباب تقوية التزام الأمة بمصدر خيريتها وفلاحها — كتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام — والسعى الصادق والمخلص لتوفير عوامل استكمال

العمل بشريعة الإسلام وقيمه ومبادئه، ومن أجل هذا نسأل الله تعالى أن يمدنا بعونه وتوفيقه، وأن يلهمنا السداد والرشاد والإخلاص فى القول والعمل والمقصد، ونحن نسعى لتحقيقه عبر هذه السطور ووفق الترتيب التالى:

ميادين الدعوة الإسلامية وأهدافها:

يمكننا باختصار تحديد ميادين ثلاثة للدعوة الإسلامية..

أولها: الميدان الاقليمى.

ثانيها: الميدان العالمى.

ثالثها: فهو عمارة الأرض، وإقامة العدل والأمن والسلام فى ربوعها.

وتتوزع الأهداف والغايات للدعوة الإسلامية، على هذه الميادين الثلاثة على النحو التالى:

١- الميدان الإقليمي:

مامن شك أن البناء السوى المتين والاستقرار المكين لأى مجتمع، هو الأساس القوى الراسخ، فى بعث نمائه، وتكوين وارتقاء قدراته وفاعلياته، وإرساء مقومات أمنه الاقليمى والدولى، فالأمة القوية فى أمنها وفاعلياتها الإقليمية، هى الأمة الفاعلة والآمنة دولياً، وهى الأمة المهابة والمسموعة الكلمة، والمؤهلة بجدية لدخول دوائر الفاعلية

والمساهمة الحضارية دولياً، والجديرة بالمشاركة المؤثرة فى إرساء أسس وقيم ومعايير وضوابط نظام عالمى عادل للمجتمع الدولى، ينتظم حياة الأمم والشعوب على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم وأوطانهم، بأمن ورخاء وسلام، ولانحسب أحداً يمارى بأن الأمن والاستقرار الاقليمى لأى مجتمع يقوم بشكل رئيسٍ على مقومات ثلاثة هى:

(أ) الأمن الثقافى.

(ب) الأمن الاقتصادى.

(ج) الكفاءة والعدل فى الحكم.

وهذه الغايات الثلاث، هى من أولويات أهداف وغايات الدعوة الإسلامية وقيمها ومبادئها، فى صياغة وتكوين الفرد، وإشادة المجتمع السوى الصالح، وقد ركز المنهج الربانى فى تأسيس ذلك وتحقيقه على قضية أساس، هى قضية العقيدة حيث أكد منهج الإسلام على بناء عقيدة الأجيال، واستقرار هوية الأمة، على أساس من عقيدة الإسلام وثوابتها وأصولها، مؤكداً أن ذلك هو العامل الأول والأسمى، فى تحقيق مقومات الأمن الثقافى والأمن الاقتصادى والكفاءة والعدل فى الحكم للمجتمع المسلم، حيث اعتنى المنهج القرآنى عناية خاصة ودقيقة ومفصلة فى أمر تأسيس العقيدة الإسلامية، وتأصيل ثوابتها وتجلية مفرداتها وحدودها وضوابطها، وذلك على مدار ثلاثة عشر عاماً لم يتجاوزها لغيرها، مما يقوم عليها من الأصول والتفريعات المتعلقة بنظام الحياة، إلا بعد أن علم الله تعالى أنها استقرت فى النفوس، واستوعبتها الأذهان، وانقادت لها الجوارح والسلوكيات، التى ستكون مناط

التكليف والتعامل مع تمام وكمال المنهج الربانى من مبادىء وقيم والانقياد الصادق لله سبحانه فيما اختاره ورضيه، وفيما أمر به ونهى عنه، وفق كتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأخذاً بسنة الخلفاء الراشدين المهديين — أبو بكر وعمر وعثمان وعلى — رضى الله عنهم وأرضاهم، والتزاماً بمنهجية أهل السنة والجماعة، التى تمثل الترجمة الميدانية والنموذج الصادق المخلص لقول الله تعالى: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**(١).

وكذلك قول الله تعالى: **﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا * وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم**

---

(١) الانعام: ١٥١- ١٥٣.

الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامـا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما * قل ما يعبؤا بكم ربّى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾(١).

ولقول الله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيرا * ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا * ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقا * أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغا * وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر

---

(١) الفرقان : الآيات: ٦١-٧٧.

لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما * ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا * وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما * ولهديناهم صراطاً مستقيما * ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾[1].

إن هذه الآيات البينات من كتاب الله الكريم، تمثل البيان الواضح الجلى، لمقومات وسمات وأدبيات وضوابط وفاعليات وحوافز المجتمع المسلم، الذى يسعى منهج الاسلام إلى تشييده، بما يكفل تحقيق مرضاة الله تعالى، من خلال تحقيق مراده سبحانه، بإنفاذ مهمة الانسان الكبرى وغاية وجوده فى الأرض وعمارتها وهى العبودية الكاملة والخالصة له جل شأنه وتقدست صفاته، التزاماً وانقياداً لقول الله تعالى **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[2]. . ولقوله تعالى **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾**[3] ولقول الله تعالى **﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيم آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾**[4] ولقول الله تعالى **﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال**

---

(١) النساء آية ٥٨-٧٠ .
(٢) الذاريات آية ٥٦ .
(٣) البقرة آية ٣٠ .
(٤) الأنعام آية ١٦٥ .

ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب﴾[١] ولقوله تعالى **﴿ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾**[٢].

وهكذا فإن هذه الآيات بهذا الشمول وبهذا التكامل إنما تمثل شمولية مقومات الأمن الاجتماعى النموذجى — ثقافياً، واقتصادياً، وعدلاً — وهى بذلك تمثل جماع أمر الاسلام وقوامه، القوام الذى يتكون به الضمير الحى الفعال للفرد فى المجتمع، والقوام الذى تنشأ به الاسرة — النموذج المصغر للمجتمع — وتحفظ به سلامتها واستقرارها وفاعليتها وتماسكها وتوادها وتعاونها وأصالة أجيالها المتتابعة، لتكون مؤهلة لأدق وأهم مهمة فى تكوين المجتمعات وسلامة بنيتها وفاعليتها، والقوام الذى ينظم فيه أمر المال والاقتصاد من غير إسراف ولا تقتير ولا تفريط كسباً وإنفاقاً وإدارةً، والقوام الذى تحفظ به حقوق الانسان ومايلزمها من ضمانات تؤكدها وتحوطها من أى انتقاص أو اعتداء، والقوام المنظم والضامن لأرقى وأسمى روابط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، واقامة العدل والأمن والسلام بين الناس، وتحقيق الاستقرار والرخاء والنماء والارتقاء على أساس من العبودية لله تعالى، والالتزام بشرعه، تنتظمهم جميعاً غاية واحدة هى تحقيق مرضاة الله من خلال تحقيق مراده فيما خلقهم له واستعبدهم فيه سبحانه، فهم جميعاً عباد الله المتحابين فى مرضاته المتعاونين فى تحقيق كل ما يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم فكلهم مسؤول عن تحقيق ذلك فيما استرعى فيه، عملاً

---

(١) هود آية ٦١ .
(٢) الأنعام آية ١٦٥ .

بتوجيهات رسول الهدى عليه الصلاة والسلام، «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1]. . الحديث. . وكل منهم حارس أمين يقظ لمسيرة الأمة، التزاماً بالقاعدة الأمنية النبوية العظيمة «**كل منكم على ثغرة من ثغر الاسلام الله الله أن يؤتى الإسلام من قبله**»[2]. وانقياداً للتوجيه القرآني في التصرف الامني كما في قوله تعالى ﴿**وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منه**﴾[3] (الآية) من غير تجاوز أو اعتداء على مسؤولية الآخرين أو تداخل بين المسؤوليات عملاً بالتوجيه النبوى الكريم «**كل ميسر لما خلق له**» وذلك بحسب طاقته وامكاناته من غير تكلف أو إجهاد للنفس وتحميلها فوق طاقتها أخذاً بقول الله تعالى ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[4] فالجميع في حركة مسؤولة دائبة ودائمة، لا تفتر لغياب رقيب أو لنقص في حافز مادى، لأنها مسؤولية قائمة على أسمى من ذلك وأنفع وأبقى، إنها قائمة على أساس من تقوى الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وبمرضاته سبحانه التى جزاؤها جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فكل عمل للمؤمن هو محراب عبادةٍ يستوى في ذلك التبتل في محاريب المناجاة الروحية، والمهارة والإبداع في محاريب الكدح والانتاج، والسهر في رعاية شؤون الأمة ومصالحها، فالعالم على منبره، والمربى في ميادين عطائه، والمثقف والمفكر مع طيب الكلمة، والداعية فيما يدعو إليه، والمزارع في حقله، والعامل حيث يعمل، والتاجر في متجره، والموظف في دائرته، والجندى في خندقه، والمسؤول

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للعسقلاني- ج٥-ص١٨١ .
(٢) حديث شريف .
(٣) النساء آية ٨٣ .
(٤) البقرة آية ٢٨٦ .

حيث هو، والشاب فى إعداد نفسه، والمرأة حيث اختصها الله من مهام، وغيرهم على امتداد ميادين حاجة الامة ومتطلباتها فى الانتاج والنماء والارتقاء، فهم جميعاً فى عبادة دائمة لله تعالى إنفاذاً لقوله جل شأنه ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾[1] وطمعاً ببشارة رسول الهدى عليه الصلاة والسلام، «**من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له**» انه المنهج الربانى العظيم فى بعث حركة الامة الفاعلة الخيرة التى تتحرك بأداء واجباتها وتتمسك بفضائلها من ادنى مراتب الإيمان (إزالة الاذى عن الطريق) إلى أعلى مراتبه (لا إله إلا الله) والعمل بحقها ومقاصدها وقيمها.. وبعد فإن الكلمة التى لابد من التأكيد عليها، وهى أن بناء المجتمع المسلم على هذه الكيفية، انما يتم وفق منهجية وقيم ومبادىء الإسلام، التى لاتؤذى غير المسلم فى المجتمع ولا تكرهه على غير عقيدته ولا تعتدى على حقوقه التى اعتنت بها مبادىء الإسلام وقيمه، وأصلّت قواعدها وضوابطها، مما يتيح لغير المسلم مشروعية إقامة حياته الخاصة وفق معتقداته وقيمها، بما ينسجم ويخدم وحدة المجتمع، وتكافله وتضامنه وتعاونه على التزام الفضائل ونبذ الرذائل، وإشاعة المعروف ومحاربة المنكر، وفيما يؤكد سيادة المجتمع ونماءه وأمنه، ويقوى فاعليته العامة في الداخل والخارج.

٢ـــ الميدان العالمي:

إن الإسلام هو دين الله تعالى، ابتعث الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعاً، لتبليغه للناس، كل بما كلف به وفق مقتضيات زمانه ومكانه، فكان الرسل عليهم السلام يبتعثون الى خاصة أقوامهم،

---

(١) التوبة آية ١٠٥.

يدعونهم لعبادة الله تعالى وعدم الشرك به سبحانه، ويعملون على إصلاح أحوالهم، وإقامة حياتهم على أساس من تعاليم ربهم وخالقهم، الى أن ختم الله جل شأنه النبوات والرسالات، بابتعاث رسول الهدى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً. كما فى قوله تعالى ﴿**وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيرا**﴾[1] ولقول الله تعالى ﴿**تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**﴾ [2].
وكذلك فى قوله تعالى ﴿**قلْ ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا إله إلا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله، النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾[3] وذلك فى زمان أصبح المجتمع الانسانى فى حالة من التواصل والتعايش تهيئه لتلقى تمام أمر ربه وشريعته، ولتخاطب البشرية جمعاء بشمولية وتمام ما بشر به الانبياء والرسل من قبله، كما أكد ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وكما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخاري عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ «**إنّ مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» [4]وهكذا كان ابتعاث رسول الله ﷺ منعطفاً تاريخياً فى حيا ة الناس جميعاً، وتحولاً حضارياً متميزاً فى نهج حياتهم وتعاملهم، تحول الخطاب فيه من قومية الأديان ومحدودية مقاصدها، إلى عالمية الإسلام وشمولية وسعة دعوته وتكامل مقاصده، ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها،

---

(١) سبأ آية ٢٨.
(٢) سورة الفرقان آية ١ .
(٣) الأعراف آية ١٥٨ .
(٤) رواه البخاري في صحيحه.

إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها، حيث سمع الناس لأول مرة فى تاريخهم الإنسانى فكرة المجتمع الإنسانى الواحد، «**ياأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب**» أو كما قال عليه الصلاة السلام. وفكرة التعايش بينهم من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم وأوطانهم قال الله تعالى ﴿**ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1] ولأول مرة تتلقى مسامعهم مباديء وقيم النظام العالمى الواحد، الذى يدعوهم إلى إقامة العدل بينهم والتراحم والتواد فى تعاملاتهم، وينهاهم عن الفحشاء والمنكر وتعاطى الخبائث ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[2]. . ولأول مرة أيضاً يتعرفون على نظام هو من عند خالقهم وربهم، جعل قضيته الأولى، إقامة العدل بين الناس وإنصافهم على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، حتى مع وجود أسباب الخصومة والشحناء بينهم. حيث يقول ربهم وخالقهم تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾[3].

ولقد ضرب الخليفة العادل الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه أروع المثل فى الإنصاف، يوم أن أنصف رجلاً قبطياً من عامة الناس من ابن الأكرمين، وكتب لواليه فى مصر عمرو بن العاص خطاباً جاء فيه «من عمر بن الخطاب إلى العاص بن العاص، فإذا جاءك خطابى هذا فاحضر إلىّ واحضر ابنك معك» وحضر عمرو بن العاص إلى المدينة المنورة يصطحب ولده معه، واجتمع الناس للمحاكمة العلنية

---

(١) الحجرات آية ١٣ .

(٢) النحل آية ٩٠ .

(٣) المائدة آية ٨ .

وطلب عمر بن الخطاب من القبطى أن يقتص من ابن الأكرمين وبعد أن فعل، أمره عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضع السوط على صلعة عمرو بن العاص، فقال الرجل القبطى : ياأمير المؤمنين لقد أخذت حقى ممن ظلمنى فما لى من حاجة عند أبيه، فقال له عمر رضى الله عنه : **«ماكان لابنه أن يفعل ما فعل إلا بسلطان أبيه»**، ثم التفت إلى عمرو بن العاص وقال قولته التى لاتزال تتردد فى أذن الزمان وتتلقفها الأجيال البشرية بالإعجاب والتقدير «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» ولقد جاء فى أخبار الثورة الفرنسية، بأنه أثناء قراءة بيانها الأول الذى تلاه خطيب الثورة — المسيو لافاييت — فلما وصل إلى مادة حقوق الانسان والتى جاء فيها «يولد الرجل حراً ولا يجوز استعباده» قال لافاييت خطيب الثورة الفرنسية معلقاً وموجهاً الخطاب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه «أيها الرجل العربى العظيم عمر بن الخطاب أنت الذى حققت العدالة كما هى»[1] هذا وإن التاريخ الإسلامى لزاخر بالادلة والشواهد على هذه المعانى، وإن ابن تيمية رحمه الله تعالى قال «إن الله لينصر الدولة الكافرة العادلة على الدولة المسلمة الظالمة»[2] بل إن التاريخ الإسلامى ليحدثنا عن السبق الحضارى للعدل الدولى فى الإسلام، ويؤكد بأن المسلمين هم أول من أقاموا محكمة عدل دولية جادة وفاعلة كما تروى مفاخرها الحادثة المشهورة التى تقص على الناس (خبر شكوى دويلة سمرقند) التى حررها الإسلام، من الاحتلال الأجنبى لبلادها، ولم يكره أهلها فى مقابل ذلك على الإسلام، عملاً بشريعة القرآن ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾[3] فما كان من أهلها إلا أن عقدوا صلحاً مع المسلمين، كان من شروطه عدم بقاء الجيش المسلم المنتصر على بيزنطة وفارس — فى

---

(١) نقلاً عن دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي.
(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية.
(٣) البقرة : ٢٥٦.

بلادهم، غير أن الجيش الإسلامى لم يلبث بعد أكثر من نصف قرن أن دخل البلاد رغماً من معاهدة الصلح مع أهلها، ملتمساً بعض المبررات التى لم يوافق عليها أهل البلاد، الذين أوفدوا إلى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى دمشق، وشكوا إليه احتلال الجيش المسلم لبلادهم، ولم يكن لديهم غير صحيفة الصلح منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأمر الخليفة الأموى بتأليف محكمة، تسمع دعوى البلاد المغلوبة على الجيش الفاتح، فتألفت وحكم القاضى المسلم ضد الجيش الإسلامى بالجلاء عملاً بنصوص المعاهدة.. فكانت تلك المحكمة الدولية العادلة الأولى من نوعها فى حياة الناس آنذاك بل إن المجتمعات الدولية فى عالمنا المعاصر، لعاجزة كل العجز عن الارتقاء إلى مثلها حتى اليوم، على الرغم من وجود منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها العالمية ومواثيقها التى كثر الحديث فيها عن حقوق الإنسان، وحقوق الدول وسيادتها، التى قدم الإسلام بشأنها أسمى وأرقى صور العدالة الدولية المطلقة، حتى فى الحكم على الجيش الإسلامى المنتصر لمصلحة الشاكين عليه، وفى ظل أعظم عهود الخلافة الإسلامية قوة وسلطاناً.. هذه شواهد عدالة شريعة الإسلام من التاريخ الإسلامى، أما شهادة غير المسلمين فى ذلك فقد نطق بها الكثير من العقلاء والمنصفين فى العالم منهم على سبيل المثال لا الحصر: —

* **يقول ميشو** — فى تاريخ الحروب الصليبية — «منع محمد قواده من قتل الرهبان لأنهم رجال صلاة ولما استولى عمر على القدس لم يمس النصارى بسوء، وبالمقابل لما صار الصليبيون سادة هذه المدينة ذبحوا المسلمين بلا رحمة وحرقوا اليهود».

* **ويقول رجل الدين ميشو** فى كتابه — رحلة إلى الشرق — «إن من المحزن لدى الأمم النصرانية أن لا يكونوا قد تعلموا من المسلمين

التسامح الديني الذى هو دستور الإحسان من شعب إلى شعب».

* **يقول الاستاذ هوكنج** أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد فى كتابه — روح السياسة — «إن الشريعة الإسلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة لارتقاء الإنسان».

* **ويقول المؤرخ غوستاف لوبون** فى — حضارة العرب — «لم تكن القوة عاملاً فى انتشارِ القرآن قطعاً، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً فى المحافظة على دينهم، وإذا اعتنقت الشعوب النصرانية دين غالبيهم فذاك لأن الفاتحين الجدد بدوا أكثر عدلاً نحوها مما كان عليه سادتها السابقون».

* **أما بيان طوكيو**. الذى صدر عن مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامى المنعقد فى طوكيو باليابان فى عام ١٩٧٧م بالتعاون بين معهد القانون المقارن — جامعة تشوأو — ورابطة العالم الإسلامى والمركز الإسلامى فى اليابان، فقد جاء فيه «إن الشريعة الإسلامية بما تتضمنه من قواعد أساسية عقدية وأخلاقية، ومن أحكام تنظيمية واجتماعية واقتصادية لجديرة بأن يعنى بدراستها فى جامعات العالم وبخاصة المعاهد المشتغلة بالقانون» ومن الجدير بالذكر أنه على أثر انعقاد ذاك المؤتمر فإن جامعة تشوأو قررت إنشاء كرسى للشريعة الإسلامية فى معهد القانون المقارن التابع لها، حتى يتسنى للشعب اليابانى التعرف على تعاليم الإسلام ويتفهم أكثر سمو هذه التعاليم وصلاحياتها للعمل بها فى أى زمان ومكان.

ونحن إذ نؤكد أن العدل هو قضية النظام الإسلامى العالمى الأولى، لأن العدل باعتقادنا هو أم الفضائل، به يقوم الأمن الحقيقى للناس وبه تتحقق أسمى معانى حرياتهم وتصان، وبالعدل ينشأ الحب الصادق بينهم، وعلى أساسه يقوم الولاء الخالص الصادق والجاد بين الحاكم

والمحكوم، والعدل أساس الاستقرار والسلام الذى هو مصدر الحوافز الجادة فى ميادين الانتاج والابداع والارتقاء. . وتتوفر ضمانات الولاء والارتباط بالامة والوطن، التى هى مبعث النماء والقوة لاى مجتمع ومن ثم النماء والرخاء للمجتمع الإنسانى، يوم تتوفر لكل أمة أسباب الرخاء والاكتفاء بعيداً عن نوازع الجشع والاعتداء على حقوق الآخرين.

وهذا ما تسعى الدعوة الإسلامية الى تحقيقه لخير مجتمعاتها ولخير الاسرة البشرية جمعاء، مصداقاً لقول الله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[1]. . ولقول رسول الهدى عليه الصلاة والسلام «**خير الناس من نفع الناس**» وكما جاء فى الأثر «**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**».

عمارة الأرض وإقامة العدل والسلام :

نحسب أن الانتكاسات الخطيرة، والانهدامات المفجعة التى تلحق بالحضارة الإنسانية المعاصرة، والأزمات المستعصية التى تعترض مسيرة الأسرة البشرية والمجتمعات الدولية، رغم الجهود الجبارة، التى تبذل فى إثارة الأرض، وتسخير مكنوناتها، ورغم التقدم الهائل والإبداع والارتقاء فى تطويع المادة والمهارات الفائقة فى تكنولوجيا الوسائل، إنما تعود إلى سبب أساسي وجوهرى ، وهو الخلل الذى أصاب منهجية الأمم فى جدية علاقتها مع منهج الاستخلاف الربانى فى الأرض، الخلل

---

(١) آل عمران آية ١١٠ .

الذى أفقد الأجيال التوازن فى عملية التفاعل مع مقومات هذا المنهج وتكامل مرتكزاته وقيمه، حيث أن الحضارة بمعناها الصحيح الإيجابى هى فى اعتقادنا ثمرة التفاعل الدقيق المتزن والجاد مع منهج الاستخلاف الربانى، وأى خلل يصيب هذه المفاعلة الجادة المتزنة، إنما هو خلل فى صحة وسلامة وتكامل العطاء الحضارى الخيّر، وهو مسخ لثمرات الجهد البشرى وكدحه فى عمارة الارض وتسخير مكنوناتها، ولمزيد من التوضيح لابد من التذكير، بأن منهج الاستخلاف الذى أراده الله تعالى لعباده فى الارض، يقوم على مرتكزين اثنين اساسين أولهما فى قوله تعالى **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾**[1] . . وثانيهما فى قوله تعالى **﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه﴾**[2] . . أى أن منهج الاستخلاف الربانى يقوم على التكامل الدقيق التام بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وبعبارة أخرى، **فإن منهج الاستخلاف لعمارة الارض يقوم على التكامل الدقيق بين عالم المبادىء والقيم والسلوكيات وعالم الماديات والوسائل والمهارات**، وأى خلل يطرأ على هذه المعادلة الحضارية وموازناتها الدقيقة، فمن شأنه أن يخرج هذا المنهج عن مساره الصحيح فى حركة البناء الحضارى الخير لعمارة الأرض، كما أن أى تعطيل أو تخلف فى عملية التفاعل والتعامل مع أحد هذين المرتكزين، إنما هو يعطل أو يمسخ العطاء لأى جهد بشرى فى حركة البناء الايجابى للأرض ونظم الحياة البشرية عليها، وهنا لابد من التأكيد على المرتكز الاول **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾**[3] إنما هو الأساس الذى به ووفق معاييره وأدبياته تضبط حركة التفاعل والتعامل مع المرتكز الثانى

---

(١) محمد آية ١٩ .
(٢) الملك آية ١٥ .
(٣) محمد آية ١٩ .

﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه﴾[1] وهذا يعنى أن أى تخلف أو تعطيل لمرتكز «فاعلم . .» فى ميادين التفاعل مع مرتكز «فامشوا . .»، يخل بنتائج التفاعل والتعامل مما لا يحقق فى النهاية الغاية الايجابية والحميدة المرجوة مهما تحقق من درجات الإبداع والتفوق فى عالم الماديات والوسائل والمهارات . . وهذا ما يكاد يجمع عليه العقلاء والمجربون فى الأرض نذكر هنا باختصار أقوال بعضهم :

* **يقول جود (Goad) رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن فى كتابه (Wlckedness Gulde to Modern) «إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالعظماء، ولكننا نستعملها بعقل الاطفال والوحوش» ويقول فى موضع آخر من الكتاب نفسه «إن هذا التفاوت بين فتوحنا العلمية المدهشة، وطفولتنا الاجتماعية المخجلة، نواجهه على كل منعطف ومخرج».**

* ويقول الكسيس كارل (Alexls Carrel) فى كتابه الانسان ذلك المجهول «إن علمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الانسان متأخر جداً عن علمنا بالماديات، وهذا التأخر هو الذى جنى علينا».

* **ويقول المستر إيدن** «رئيس وزراء بريطانيا المشهور» فى خطاب له عام ١٩٢٨م «ومن الغريب المضحك أن البلاد والدول تنفق ملايين من الجنيهات على وقاية نفسها من آلة فتاكة تخافها ولكنها لا تنفق شيئاً على ضبطها».

* **أما جورباتشوف زعيم الاتحاد السوفييتى المنحل** فإنه يؤكد ماذهب إليه المستر إيدن ولكن بعد نيّفٍ وستين عاماً حيث يقول فى كتابه

---

(١) الملك آية ١٥ .

الشهير — البيريسترويكا — «ويمكن لصواريخنا أن تصل إلى مذنب هالى وتطير إلى الزهرة بدقة مذهلة، ولكن إلى جانب هذه الانتصارات العلمية والتكنولوجية نجد نقصا واضحاً فى الكفاءة فى استخدام المنجزات العلمية للحاجات الاقتصادية، كما أن كثيراً من الاجهزة المنزليةالسوفيتيية من نوع ردىء، ولسوء الحظ، فليس هذا كل ما فى الامر. فقد بدأ تدهور تدريجى فى القيم الآيديولوجية والمعنوية لشعبنا» ويقول فى موضع آخر من نفس الكتاب «ومهمتنا الرئيسية اليوم هى أن نرفع من روح الفرد، ونحترم عالمه الداخلى، ونعطيه قوة معنوية. ونحن نسعى لان نجعل كل قدرات المجتمع الفكرية، وكل إمكاناته الثقافية تعمل من أجل تشكيل شخص نشط اجتماعياً، وغنى روحياً، ومستقيم وحى الضمير، وينبغى أن يعرف كل فرد ويشعر أن هناك حاجة إلى إسهامه، وأن كرامته لا تخدش، وأنه يعامل بثقة واحترام. وعندما يرى الفرد كل ذلك، فإن فى مقدوره أن يحقق الكثير».

* **ويقول روزفلت** رئيس الولايات المتحدة المعروف «ليس ما نملك هو المهم من أجل أن نكون أمة عظيمة، بل المهم هو الطريقة التى نستخدم فيها ما نملك».

* **ويقول نيكسون** فى كتابه الفرصة السانحة «إن أخطر مشاكلنا الاجتماعية — الجريمة والمخدرات والاعتماد على الغير والتعليم — تدور حول القيم والمواقف والسلوك. إن هذه الأمور لا تتوقف على الدولارات، والبرامج الموضوعية لمعالجتها والتى تحسب بالدولارات غالباً مالا تؤدى إلى أى نتيجة، الحاجة تدعو ليس إلى الدولارات بقدر ما تدعو إلى التوجيه إلى مجموعة من القيم والقواعد التى يقبلها المجتمع ويفرضها على نفسه».

وخلاصة القول . . إن أي تخلف في عالم القيم عن عالم الوسائل في التعامل مع منهج الاستخلاف الرباني في الأرض من شأنه أن ينحرف بثمرات الإبداع المادي عن كونها وسائل بناء وإعمار لحضارة انسانية مستقرة وآمنة، إلى وسائل دمار وفناء ورعب، وإن اندثار ثانى أكبر إمبراطورية — الاتحاد السوفييتى — فى التاريخ المعاصر، لهو دليل واضح يؤكد الخطر الكبير والخاتمة المفجعة والمؤسفة لجهود الأجيال البشرية بسبب بعدها عن القيم والمبادىء الربانية وبسبب عدم التوازن الدقيق فى تعاملها مع منهج الاستخلاف فى عمارة الأرض كما أراده الله سبحانه وبينه فى كتابه الكريم بقوله **﴿هو الذى جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾**(١) وفى المقابل فإن أى تخلف أو تعطيل لمرتكز «فامشوا . .» فى إطار التعامل والتفاعل مع مرتكز «فاعلم . .» إنما هو تخلف أو تعطيل أو تمرد على مهمة التكليف الربانى لعمارة الارض، وإثارة مسخراتها ومكنوناتها، كما أنه تعطيل للغاية العباديه لهذه المسخرات المرتبطة والمعتمدة فى مهمتها على تفاعل وتعامل العباد مع مرتكز «فامشو . .» وما يلزم ذلك من مهارات ووسائل، والادلة على ذلك كثيرة فى الكتاب والسنة حيث يقول الله تعالى **﴿إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾**(٢) ويقول الله تعالى **﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون﴾**(٣) ويقول الله تعالى **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**(٤) وما أبلغ وأعمق معانى تلك الكلمة الطيبة المعبرة التى

---

(١) فاطر آية ٣٩ .
(٢) الكهف آية ٧ .
(٢) الأعراف آية ١٢٩ .
(٤) التوبة آية ١٠٥ .

أطلقها رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه بحق من يقوم على خدمة العباد حتى فى ميادين الجهاد «**لقد ذهب المفطرون بالأجر كله**» وقوله عليه الصلاة والسلام «**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**» ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه «أرى الرجل فيعجبنى فإذا قيل لى لا عمل له سقط من عينى». وفى ختام القول فى هذه القضية المهمة، نؤكد على أهمية التوازن فى اطر التعامل والتفاعل مع منهج الاستخلاف الربانى، التوازن الذي تتكامل بها العبودية لله تعالى، العبودية التى تتكامل بها محاريب الطاعات فى ميادينها المادية مع محاريب الطاعات فى ميادينها الروحية، ليتحقق للمسيرة البشرية أسباب توازن حركتها مع منهج الاستخلاف فى عمارة الارض، ولتنتظم من بعد حركة التدافع والتنافس الفعال والإيجابى بين المجتمعات الإنسانية فى الأرض، ليصرف الفساد عن الأرض وأهلها، ويعم الأمن والعدل والرخاء والسلام المجتمعات الإنسانية بأسرها إن شاء الله مصداقاً لقوله تعالى ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾[1]. ولقوله جل شأنه ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز**﴾[2].

(١) البقرة آية ٢٥١ .

(٢) الحج آية ٤٠ .

ثانياً : عالمية الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها :

إن الدعوة الإسلامية فى كل زمان ومكان، هى تبليغ الإسلام للناس بالقول والعمل، على أساس من الثوابت والمنطلقات التى يكتنزها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة القولية منها والعملية، والتى تشكل الأساس والضوابط والمعايير الربانية، فى التعامل مع المتغيرات والمستجدات فى حياة الناس، مع تبدل الزمان والمكان والاحوال، مما يجعل الإسلام عقيدة وشريعة لا يتعارض بحال مع متطلبات وحاجات فطرة الإنسان السليمة فى حياته الفردية أو حياته المجتمعية وما يلزمها من قيم ومباديء ونظم. . وهذا ماسنبينه كما يلي :

١- الإسلام دعوة للناس جميعاً لا تخص جهة بشرية بعينها قوماً أو جنساً أو عرقاً وهذا في قول الله تعالى ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾[1] .

٢- الإسلام دين الله بشر به الأنبياء والرسل جميعاً عليهم السلام كما هو مؤكد في قول الله تعالى ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾[2] .

---

(١) الأعراف : ١٥٨ .
(٢) البقرة : ١٣٦ .

٣- إن صحة الإيمان بالإسلام وتمامه لا تكون إلا بالإيمان بجميع رسل الله وكتبه من غير تمييز بينهم وهذا مايبينه قول الله جلّ شأنه ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾(١).

٤- الإسلام لا يفرض عقيدته على الآخرين بالقوة التزاماً بقول الله تعالى ﴿**لا إكراه في الدين**﴾(٢) والتزاماً بقول الله تعالى ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾(٣).

٥- الإسلام يقرر علاقة البر والإحسان مع غير المسلمين، يوم لا يكون منهم اعتداء وجور وهذا في قول الله تعالى ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾(٤).

٦- الإسلام يؤكد على حرمة الإنسان وعدم قتله بغير حق بل إن الإسلام هو النظام الفريد الذي يعطي قيمة الفرد الإنساني قيمة الكل تعظيماً لحرمته وكرامته، وهذا بيّن في قول الله جلّ شأنه ﴿**أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾(٥).

٧- الإسلام يؤكد مبدأ المحبة والتراحم والتعاون ويربط ذلك بالإيمان ربطاً موثقاً كما هو في حديث رسول الله ﷺ «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٦).

---

(١) البقرة : ٢٨٥ . (٢) البقرة : ٢٥٦ . (٣) الكافرون : ٦ .
(٤) الممتحنة : ٨ . (٥) المائدة : ٣٢ . (٦) صحيح مسلم- ج٢-ص١٦ .

٨- الإنسان مكرم في الإسلام مصان الحقوق كما هو مؤكد في قول الله تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾**(١).

٩- إن منهج القرآن يعلمنا ويؤكد علينا، أن البشرية مدعوة بأمر ربها جلّ شأنه، للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وألوانهم، وأن إتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم، وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته، وهذا في قوله تعالى: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**(٢).

١٠- يقرر الإسلام قاعدة العدل بين الأفراد وبين الأمم ويؤكد على العدل مع وجود الخصومة والمنازعات لأنه الأقرب للتقوى وهذا في قول الله تعالى **﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**(٣).

١١- يقرر الإسلام مبدأ التزام العهود والمواثيق بين الناس والوفاء بها وعدم نقضها وهذا مؤكد في قول الله تعالى: **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾**(٤).

١٢- يقرر الإسلام عدم الإساءة لمعتقدات الآخرين وسبابها وهذا في قول الله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾**(٥).

---

(١) الإسراء: ٧٠. (٢) الحجرات: ١٣. (٣) المائدة: ٨.
(٤) النحل: ٩١. (٥) الأنعام: ١٠٨.

١٣- يقرر الإسلام مبدأ النفع للناس جميعاً كما هو في قول رسول الله ﷺ «**خير الناس من نفع الناس**»(١).

١٤- الإسلام يقرر قاعدة التدافع والتنافس بين الناس ويؤكد أن التدافع بين الناس يحقق الحياة الأفضل لهم ويصرف الفساد عن الأرض وهذا واضح في قول الله تعالى: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾(٢) كما يؤكد الإسلام أن التدافع بين الناس يكفل حماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم وتصون معابدهم على اختلاف مللهم كما هو في قول الله تعالى ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً**﴾(٣).

١٥- يقرر الإسلام أن الأمة الإسلامية أمة وسطٌ بين الناس وأنها مكلفة بمهمة الشهود الحضاري على الناس كما هو مؤكد في قول الله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾(٤).

١٦- الإسلام يؤكد أن التزام القيم الربانية ضمان لصحة وسلامة السير في منهج الاستخلاف لعمارة الأرض وأن تغيب القيم الإسلامية عن منهج الاستخلاف سيؤدي لا محالة إلى فساد في الأرض ودمار حياة الناس وما صنعوا وهذا في قول الله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**﴾(٥) الآية أوليس اندحار الشيوعية ومعسكرها الإلحادي الكبير إلا دليلاً قاطعاً على مايؤكده القرآن الكريم.

---

(١) ذكره المتقي في كنز العمال (٢) البقرة: ٢٥١. (٣) الحج: ٤٠.
(٤) البقرة: ١٤٣. (٥) محمد: ٩ و١٠.

١٧- الإسلام يقرر بأن عمارة الأرض والانتفاع بمكنوناتها وتسخيرها لا تتحقق نتائجه الإيجابية، ولا تدوم إلا بالتزام القيم الربانية وتقبلها وعدم الخروج على توازن العلاقة بين عالم القيم وعالم الماديات وهذا في قوله تعالى: **﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**(١).

١٨- يقرر الإسلام ألا يبخس الناس أشياءهم وألا يحتقر كدحهم البناء ويعتبر أن احتقار ما عند الناس وبخس مقدراتهم هو من العبث والإفساد الذي يمقته الإسلام وهذا في قول الله تعالى: **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**(٢).

١٩- الإسلام يقرر القاعدة الربانية في العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم ويبين مقوماتها وشروطها وهذا في قول الله تعالى: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً، ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾**(٣).

٢٠- يقرر الإسلام مبدأ الحوار بين الناس لإنهاء أسباب التناقضات العقدية والمنهجية بغية لتأكيد وحدة الأسرة البشرية والحرص عليها،

---

(١) الروم: ٩ (٢) هود: ٨٥.
(٣) النساء: ٥٨- ٥٩.

والارتقاء بأسباب تعاونها وتضامنها في قول الله تعالى : **﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾**[١] الآية .

٢١- اعتنى الإسلام بمنهجية الحوار بين الناس وأصل لها أدبيات وقيماً حرصاً منه على الألفة والاحترام المتبادل وهذا ماتبينه الآيات من كتاب الله تعالى : **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾**[٢] ، **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[٣] **﴿وقولوا للناس حسناً﴾**[٤] .

٢٢- يدعو الإسلام الدعاة والمصلحين إلى التزام الحكمة وتخير حسن الموعظة، والأسلوب الأفضل في الخطاب وهم يقدمون دعوة الله تعالى للناس بيّنة وجلية وهذا في قوله تعالى **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[٥] وكذلك في قوله تعالى **﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾**[٦] .

٢٣- يوجه القرآن الكريم الدعاة إلى إتقان مهمتهم والارتقاء بحجتهم موضوعاً وأسلوباً، بغية التفاعل المثمر مع النفوس وهذا مايؤكده قول الله تعالى : **﴿وقل لهم في انفسهم قولاً بليغاً﴾**[٧] .

٢٤- ويؤكد المنهج الرباني على الدعاة عدم التناقض بين أقوالهم وأفعالهم حتى لا تفشل دعواهم وتنعكس سلبياً عليهم وعلى مايدعون إليه وهذا في قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾**[٨] .

---

(١) آل عمران : ٦٤ . (٢) العنكبوت : ٤٦ . (٣) النحل : ١٢٥ .
(٤) البقرة : ٨٣ . (٥) النحل : ١٢٥ . (٦) طه : ٤٤ .
(٧) النساء : ٦٣ . (٨) الصف : ٢ .

٢٥- يقرر الإسلام حصانة البيوت حماية لحرية الإنسان وكرامته عملاً بما جاء في كتاب الله تعالى: **﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾**[١]

٢٦- أكد الإسلام على حقوق الإنسان الخاصة، وعدم الاعتداء عليها وذلك في التوجيه النبوي الكريم حيث يقول رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام**»[٢]. يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»[٣].

٢٧- يقرر الإسلام مبدأ التكافل بين الناس، من أجل تحقيق كرامة الإنسان وتحريره من الفقر والعوز وهذا في قوله تعالى: **﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾**[٤].

٢٨- يؤكد الإسلام حق التعليم لأفراد المجتمع ويجعل ذلك فريضة شرعية كما هو في قول الرسول ﷺ «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٥] ويشمل ذلك الذكور والاناث كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام «**إنما النساء شقائق الرجال**»[٦] فهما سواء في التكاليف التي من مقتضياتها العلم والدراية.

٢٩- ويقرر الإسلام مبدأ الشورى في الأمة، بين الحاكم والمحكوم وذلك كما هو في كتاب الله تعالى: **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾**[٧] ولقول رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال: «**لو اجتمعتما في مشورة ماخالفتكما**»[٨].

---

(١) النور: ٢٧.　(٢) رواه البخاري.　(٣) صحيح مسلم - ج١٦ص١٢١.

(٤) المعارج: ٢٥.　(٥) أخرجه ابن عدي والبيهقي عن أنس في الطبراني.

(٦) رواه الامام أحمد وأبوداود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين، ورواه البزار عن أنس وهو حديث صحيح.

(٧) الشورى: ٣٨.

(٨) أخرجه أحمد في مسنده.

٣٠- وقرر الإسلام حق الدفاع عن النفس وسيادة الأمة يوم يعتدى عليها وتنتهك حرماتها، والاستعداد الكامل لذلك كما هو في كتاب الله: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾**[١] **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾**[٢].

٣١- ويؤكد الإسلام مبدأ السلم وهو يقرر مبدأ القوة والدفاع كما هو في منهج القرآن الكريم **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾**[٣]. . وقول رسول الله ﷺ «**ولا تتمنوا لقاء العدو. .**»[٤].

٣٢- يقرر الإسلام مبدأ الاعتناء بصحة الأبدان والوقاية من الأمراض حيث يقول المصطفى ﷺ «**إن لبدنك عليك حقاً**»[٥] ولقوله عليه الصلاة والسلام «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[٦] ويقول في الوقاية «**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع**»[٧] وكان يتحرى فيما يشرب من ماء حتى جاء في الحديث «**كان صلى الله عليه وسلم يستعذب الماء**»[٨] وكان عليه الصلاة والسلام ينهى عن التبول والتبرز في المياه الراكدة وهو الذي قرر مبدأ الحجر الصحي في التاريخ البشري حيث أمر بالحجر الصحي على البلد المطعون وأهله فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم ومع تحذير الناس من العدوى وطلب الفرار من المجذوم[٩] وأمر بأنواع من الرياضة كقوله عليه الصلاة والسلام «**من علم الرمي ثم نسيه فليس مني**» **وقوله**: «**ألا إنما القوة الرمي**»[١٠].

---

(١) الحج: ٣٩.　　(٢) الأنفال: ٦٠.　　(٣) الأنفال: ٦١.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير.　　(٥) حديث شريف.
(٦) صحيح مسلم- ج١٦-ص٢١٥　　(٧) صحيح مسلم.　　(٨) صحيح مسلم.
(٩) وذلك كما ورد في الحديث: «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد»- راجع فتح الباريء لشرح صحيح البخاري عسقلاني- ج١٠- ص١٥٨.
(١٠) سنن ابن ماجة- ج٢- ص٩٤٠.

٣٣- واعتنى الإسلام عناية فائقة بأمر المال الذي هو مادة الاقتصاد وأصّل له قواعد ومعايير منها قوله تعالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾**(١). ويقول جل شأنه في ضبط موازين الإنفاق «**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**»(٢) ويقول رسول الهدى ﷺ «**ماعال من اقتصد**»(٣) ولقوله عليه الصلاة والسلام «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»(٤).

٣٤- قرر الإسلام مبدأ الإجارة وحسن جوار المستجيرين وذلك في قول الله تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾**(٥).

٣٥- يحرم الإسلام الاحتكار، وأن يمنع الناس مايحتاجونه في حياتهم بغية التحكم بالأسعار جشعاً وطمعاً وهذا في قول رسول الله ﷺ «**من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس**»(٦).

٣٦- ويحارب الإسلام الغش وينفر منه ويرفض أهله حيث يقرر رسول الهدى عليه الصلاة والسلام «**من غشنا فليس منا**»(٧).

٣٧- يقرر الإسلام مبدأ التكافل والتراحم بين الناس حيث يؤكد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام وذلك في قوله «**من عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له**»(٨) ويؤكد عليه الصلاة والسلام بأن الناس شركاء بأساسيات الحياة وذلك لقوله «**المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار وثمنه حرام**»(٩). ولابد من التوضيح على أنهم شركاء في

---

(١) النساء: ٥. (٢) الإسراء: ٢٩. (٣) رواه أحمد عن ابن مسعود.
(٤) رواه أحمد وابن منيع عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٥) التوبة: ٦. (٦) سنن ابن ماجة. (٧) صحيح مسلم ج(٢) ص١٠٩.
(٨) صحيح مسلم ج(٢) ص١٠٩. (٩) سنن الامام ابن ماجة.

الانتفاع بدون الاعتداء على حق التملك والحقوق العامة وذلك عبر مسؤولية الدولة وتنظيماتها .

٣٨- يقرر الإسلام مبدأ التصنيع والاحتراف، وذلك لقول الله تعالى : ﴿**وألنا له الحديد * أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً * إني بما تعملون بصير**﴾[١] ولقوله تعالى ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**﴾[٢] ولقوله تعالى : ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس ومنافع للناس**﴾[٣] وكذلك لقول رسول الهدى عليه السلام «**إن الله يحب المؤمن المحترف**» ويقول أيضاً «**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**»[٤] ويقول أيضاً «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[٥] ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «**لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة**» .

٣٩- ويقرر الإسلام مبدأ الكشف عن منابع الثروات ووجوب استغلالها، فكل مافي الكون مسخر للإنسان لينتفع به وهذا في قول الله تعالى : ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[٦] وفي قوله تعالى ﴿**وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[٧] .

٤٠- ويقرر الإسلام مبدأ الضمان الإجتماعي والتكافل بين أبناء الأمة وهذا مافعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد مر على يهودي

---

(١) سبأ : ١٠-١٢ . (٢) الأنبياء : ٨٠ . (٣) الحديد : ٢٥ .

(٤) رواه الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه- انظر فيفي القدير للعلامة المناوي- ج٢ ص٢٨٦- بيروت- دار المعرفة .

(٥) رواه أحمد والبخاري عن المقدام- انظر فيفي القدير.

(٦) لقمان : ٢٠ . (٧) الجاثية : ١٣ .

يتكفف الناس، فزجره واستفسره عما حمله على السؤال فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة وقال له «**ما أنصفناك ياهذا، أخذنا منك الجزية قوياً وأهملناك ضعيفاً، افرضوا له من بيت المال مايكفيه**».

٤١- يؤكد الإسلام على الزراعة والحرص عليها باعتبارها أساس من مصادر الثروة والاقتصاد حيث يقول عليه الصلاة والسلام «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة واستطاع الا يدعها حتى يغرسها فليفعل**».

٤٢- كما يقرر الإسلام مبدأ التجارة والترغيب فيها كمصدر مبارك من مصادر الرزق وتنمية اقتصاد الأمة، وذلك في قول الله تعالى: **﴿لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾**[١] ولقوله عليه الصلاة والسلام «**تسعة أعشار الرزق في التجارة والعشر في المواشي**»[٢].

ثالثاً: وسائل الدعوة الإسلامية:

إن الأصل في الأمور الإباحة إلا مايتصادم مع محرم أو نهي أو مكروه أو يتعارض مع عرف إجتماعي أو ذوق إنساني، لأن الأصل في وسيلة الدعوة أن تنسجم مع قيم ومقاصد ماتدعو إليه وتأسيساً على ذلك فإنه يمكن للداعية أن يستخدم كل الوسائل المشروعة من وسائل العصر وما أبدعه الآخرون في فنون التأثير والتبليغ والإعلان وعلى هذا يمكننا أن نذكر وسائل الدعوة على النحو التالي:

---

(١) قريش ١-٤.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور عن نعيم بن عبدالرحمن الأزدي ويحيى بن جابر الطائي مرسلاً.

١- إعداد برامج أسرية تؤهل الوالدين لتنشئة الأطفال تنشئة صالحة، وتوفير الوسائل المسموعة والمرئية مثل أشرطة الفيديو التي ترسخ في ذهن الأطفال معاني إيمانية مبسطة، وتطبع سلوكهم بتصرفات أخلاقية وسلوكيات أدبية تنسجم مع الإسلام ومقاصده.

٢- الاعتناء بالحلقات التربوية وحفظ القرآن الكريم في المساجد التي تشكل الحصانة الثانية للطفل بعد البيت وتنمي عنده نزعة الارتباط بالمسجد وبقاصديه الذين هم نموذج المجتمع العام للأمة.

٣- الاعتناء بتعليم الكبار في المسجد من خلال دروس ومواعظة توجيهية تربوية، تعتني بالآداب العامة وأخلاقية المسلم ومسؤولياته نحو بيته وحيّه ومدينته وأمته وتحديد الواجبات والحقوق وربط ذلك بتقوى الله والتعاون في تحقيق مرضاته.

٤- التركيز على خطبة الجمعة لتأكيد قيم الإسلام وأخلاقياته وحقوق المسلم وواجباته نحو نفسه وأهله ومجتمعه وولاة أموره، فخطبة الجمعة يجب أن ترتقي لمقاصد الشريعة التي فرضت على المسلم الاجتماع والتلاقي في هذا اليوم الذي وصفه رسول الهدى بأنه خير يوم أشرقت فيه الشمس أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

٥-إعادة النظر في المناهج التعليمية بكل مستوياتها لتكون في خدمة بناء الفرد والمجتمع وفق مادة هذه الاستراتيجية وميادينها الداخلية والخارجية.

٦- إعادة النظر في البرامج الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية لتتكامل أهدافها ومقاصدها مع كل مصادر التربية والتوجيه في الأمة وفق استراتيجية الدعوة الإسلامية وثوابتها ومنطلقاتها.

٧- الاعتناء بخطبة عيدي الفطر والأضحى حيث يمثل كل منهما المناسبة الكبرى للمجتمعات في المدن والقرى، إذ أن خطبة العيد تمثل البيان السنوي لهم والذي من خلاله يتعرفون على أحوالهم وأحوال مجتمعهم الصغيرة بحضور أمرائهم وعلمائهم ووجهائهم وهكذا تتجدد بيوم العيد الأخوة والمسؤولية بينهم.

٨- الاستفادة من النفحات الروحية في رمضان وإعداد برامج تناسب مناخاته بما يؤهل النفوس للتعامل مع منهج وسياسة الدعوة الإسلامية.

٩- عقد ندوة عالمية في الحج في إطار رابطة العالم الإسلامي يدعى إليها علماء الأمة ومفكروها وأصحاب الرأي فيها لتوحيد التصورات والمفاهيم على أساس من سياسة الدعوة.

١٠- الاعتناء بالجمعيات الخيرية المتخصصة بكل خدمات المجتمع الخاصة والعامة مثل:

(أ) الجمعيات النسائية التي تعتني بالتربية والتوجيه والتدبير المنزلي والمهني والحرفي.

(ب) جمعيات الأحياء للاعتناء بشؤون الحي وخدماته المتنوعة مثل الاعتناء بالفقراء والمرضى والنظافة وغيرها.

١١- عقد الندوات التربوية والفكرية والثقافية على مستوى الحي والمدينة والإقليم.

١٢- عقد مؤتمرات متخصصة لبحث وتأصيل قيم ومفاهيم الدعوة الإسلامية ومقاصدها على المستوى الإقليمي والعربي والإسلامي والعالمي.

١٣- عقد لقاءات حوار مع غير المسلمين لتقديم مفاهيم الإسلام وقيمه العالمية ومقاصده الإنسانية.

١٤- وضع منهجية للاعتناء بالمراكز والجمعيات والتجمعات الإسلامية في العالم لتوحيد رؤية الأمة ومثقفيها حول الدعوة الإسلامية ومفاهيمها.

١٥- الاهتمام بموضوع إصدار موسوعة إسلامية للدعوة تشكل مرجعاً ثقافياً وعلمياً لأجيال الأمة.

١٦- الاعتناء بالكتاب الإسلامي والتخلص من حالة الاضطراب في المفاهيم وإنهاء حالة التناقضات الثقافية التي تمزق رأي الأمة، وتنتقص ثقتها بهويتها وأصالتها الحضارية.

١٧- الاهتمام ببرامج الثقافة الإسلامية في المدارس الثانوية والجامعات بما يؤكد مفاهيم ومقاصد سياسة الدعوة.

١٨- الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطوير فعالياتها وفق قيم وأدبيات الدعوة.

١٩- فتح جمعيات بالمساجد للقضاء على الأمية، وتوفير حق التعلم لكل فرد في المجتمع رجالاً ونساءً.

٢٠- فتح مستوصفات ومستشفيات خيرية.

٢١- فتح مدارس خاصة خيرية للكبار والصغار.

٢٢- إقامة دورات مهنية وحرفية خيرية.

٢٣- إنشاء صناديق مالية للقرض الحسن وفق ضوابط ومعايير محدودة.

٢٤- الاستفادة من النوادي الاجتماعية والثقافية ووضع برامج لها بما يخدم الدعوة الإسلامية.

٢٥- تطوير برامج رعاية الشباب بما ينسجم مع أهداف وغايات الدعوة الإسلامية.

٢٦- السعي في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي لإيجاد موارد مالية للدعوة الإسلامية عن طريق مايلي:

(أ) إنشاء وقف إسلامي عالمي للدعوة الإسلامية تساهم فيه الجهات الرسمية والشعبية في العالم الإسلامي.

(ب) إنشاء صندوق مالي عالمي للدعوة الإسلامية تساهم فيه الدول الأعضاء والجهات الخيرية الإسلامية في العالم.

(ج) السعي لإيجاد مشاريع استثمارية لصالح الصندوق المالي العالمي للدعوة الإسلامية.

(د) الإستفادة من إمكانات البنك الإسلامي للتنمية في جدة وخبراته في توفير وترشيد الدعم المالي للدعوة الإسلامية.

رابعاً: توصيات عامة للداعية:

إن حسن أسلوب الداعية وتفوق طريقته في التحدث إلى الناس يشكل عاملاً أساساً في نجاحه، وتحقيق مقاصده فيما يدعو إليه، فالناس منغلقون على نفوسهم فلابد للداعية أن يحسن الدخول إلى هذه النفوس ويستأنسها بما يهيؤها لتتلقى مايطلب إليها بارتياح وقبول، فالله تعالى يقرر لدخول بيوت الناس المادية آداباً وقيماً، مما يحفزنا على أن نكون أكثر

التزاماً بها ونحن نتعامل مع بيوتهم المعنوية «نفوسهم» حيث يقول جل شأنه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**﴾[1] وتأسياً بهذا التوجيه الرباني العظيم ينبغي أن تصاغ أساليب الدعوة وتبتكر فنياتها وهذا ماسنذكر ببعض معانيه على النحو التالي:

١- التزام القول الحسن، حيث يقول الله تعالى ﴿**وقولوا للناس حسناً**﴾[2] ويقول الله تعالى في جدال أهل الكتاب ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾[3].

٢- تخيّر الزمان ومراعاة ظروف من يدعوهم، بحيث يكونون في حالة نفسية وجسدية تجعلهم مهيئين لقبول وفهم واستيعاب مايقال لهم.

٣- أن يجعل مصالح الناس الدينية والدنيوية مدخلاً لتبليغ القيم والمباديء التي ترتبط بنفعهم وصرف الفساد والمخاطر عنهم، وهذا من الخير الذي قال الله تعالى فيه ﴿**يدعون إلى الخير**﴾[4].

٤- إقامة علاقة من المحبة والمودة بينه وبين من يتعهدهم بالدعوة والموعظة والإرشاد.

٥- إعطاء فرصة من المشاركة للمدعوين للإفصاح عن مشاكلهم وإشكالات فهمهم لموضوعات تهمهم في أمر دينهم ودنياهم.

٦- حشد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح والوقائع الميدانية من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والتاريخ المعاصر مما يؤكد أفكاره والمفاهيم التي يدعو إليها.

---

(١) النور: ٢٧.
(٢) البقرة: ٨٣.
(٣) العنكبوت: ٤٦.
(٤) آل عمران: ١٠٤.

٧- حشد أقوال العقلاء والمنصفين من غير المسلمين التي تشهد برقي القيم الإسلامية، وصلاحها لعلاج مشاكل الإنسان وتحقيق مصالحه.

٨- حشد الحقائق العلمية الكونية التي تؤكد إعجاز النصوص الشرعية في شتى الميادين المادية والمعنوية وغيرها .

٩- الترغيب عن طريق إجراء مسابقات علمية حول بعض المفاهيم والقيم الشرعية اجتماعياً واقتصادياً وغيرها، وتخصيص جوائز تشجيعية لذلك.

١٠- الاهتمام بالمظهر والنظافة بحيث يكون الداعية حسن الملبس، جميل السمت طيب الرائحة، نظيف الأسنان يعتني بشعر لحيته ويحف شاربه.

١١- يتجنب النقد المباشر لما يلمسه من أخطاء أو تجاوزات تبدر من مستمعيه عملاً بآداب رسول الله ﷺ «**مابال أقوام يفعلون كذا وكذا**».

الفصل الثالث :

- ملامح وخطوط عريضة في استراتيجية الدعوة الإسلامية.
- الساحات الداخلية .
- الساحات العربية .
- الساحات الإسلامية .
- الساحات العالمية.

الفصل الثالث :

ملامح وخطوط عريضة في استراتيجية الدعوة الإسلامية

لابد لنا نحن المسلمين أن يبقى شاخصاً في أذهاننا ومركوزاً في وجداننا العقدي وحسبنا البشري.. أننا أمة شرفت بحمل رسالة الإسلام، وأنيطت بها مسؤولية الشهادة على الناس.. مسؤولية الدعوة والتصحيح والإرشاد.. وشيء آخر لابد أن ندركه ونحس خطورته، وهو أن هذا التشريف يحمل بنفس الوقت أوامر التكليف الرباني بوجوب تبليغ الهدى للعالمين.. وهذا التشريف والتكليف هو مبعث الخيرية في هذه الأمة.. **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[1] ولقول الله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[2].

وهذا يعني بدقة ووضوح، أن الأمة الإسلامية تقع على عاتقها مسؤولية الريادة والترشيد للبشرية جمعاء، كيف لا وقد منحت كل مقومات الريادة والإرشاد، وعلى رأس هذه المقومات وأهمها ومبعث كل خيرية فيها.. كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم.

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

ولقد تحمل المسلمون هذه المسؤولية من قبل، فنجحوا في تحقيق مضمونها ومهامها بكل جدارة وبأرفع كفاءة على مدار قرون عديدة من تاريخ البشرية، فسعدت بهم أمتهم، وسعدت بهم البشرية جمعاء في ظل خيرية عطائهم، وحميد سيرتهم وعدل سيادتهم. . وما فقد المسلمون ذلك الصرح الشامخ في قلب التاريخ، وماخسر العالم تلك الخيرية، إلا من خلل أصاب ثوابت هذه الأمة العقدية والسلوكية، كما أصاب قدراتها وكفاءاتها النوعية، واليوم والأمة الإسلامية تحاول غزل خيوط فجر صبحها المرتقب، فإنها مطالبة- بعد ترسيخ ثوابتها العقدية والسلوكية- بتوفير كفاءات نوعية عالية المستوى ليتكامل بناء الشخصية العربية المسلمة، لتكون من بعد مؤهلة لحمل مسؤولية البناء والإنتاج، ومسؤولية السير والتدبير، وبهذا الإعداد وعلى هذا الأساس العقدي والكفائي تقوم استراتيجية هذه الأمة وهي تواجه استراتيجيات العالم من حولها.

* كلمة في الاستراتيجية :

إذا عدنا لأصل هذا التعبير في اللغة اللاتينية عامة، نجد أن هذا المصطلح ولد في الميادين العسكرية، ثم توسع الناس في استخدامه، حتى أصبح من المصطلحات الواسعة الاستخدام في لغات متعددة، وفي مفاهيم متنوعة في السياسة والاقتصاد والإعلام. . واستحبه العرب كغيرهم فاستخدموه استخداماً واسعاً ومألوفاً، حتى أصبح وكأنه ذو أصول عربية. . وعند كل الذين استخدموا هذا المصطلح كان يقصد به مايلي :

* علم القيادة أو فن القيادة :

* فن اختيار الأفضل في التنفيذ :

واستئناساً بهذه المعاني مع الأخذ بالبعد الإسلامي لكل تعبير نجتهد أن يكون معنى هذا المصطلح عندنا نحن المسلمين . .

* فن ممارسة الحق :

وبشكل موسع نقول الاستراتيجية هي :

«نظريات محكمة، وخطط موضوعية دقيقة، وقيادة مخلصة فذة تملك كفاءة الإعداد ومهارة التنفيذ» . . في ضوء المعاني المتقدمة يمكن رسم معالم استراتيجيتنا الحاضرة والمستقبلة على الساحة الداخلية، والساحات الخارجية العربية منها والإسلامية ومن ثم العالمية .

أولاً : الساحات الداخلية :

إن تماسك البناء الداخلي لأي مجتمع يبقى القاعدة الصلبة التي تقوم عليها صروحه الحضارية، وتتحقق بها طموحاته الحاضرة والمستقبلة . . بل إن متانة البنية الداخلية وكفاءتها هي قوة الدفع الفاعلة

في حركة الإنطلاق باتجاه المفاعلة والتعاون مع الساحات العربية والإسلامية، ومن ثم تحركاتنا وموازناتنا على الساحة العالمية.

وهنا نؤكد على أهمية بناء الفرد وأهمية بناء الاقتصاد على أساس سليم محكم من أجل تشييد وإقامة البناء الداخلي لمجتمعاتنا، لأنهما في المعايير الإسلامية العاملان الأساسيان في متانة وتماسك البنية الاجتماعية، ولا أدل على ذلك من قول الله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾**[1].

فسلعة الجنة في هذه الصفقة الربانية المباركة يقابلها سلعتان: النفس والمال، فبقدر مانرتقي بهاتين السلعتين بقدر مانقترب من تحقيق إنفاذ هذا البيع وإدراك مغانمه ونعيمه.

وإذا صلحت الأنفس وصلحت الأموال، ثم صلحت مفاهيم توظيف الأنفس ووسائل توظيف الأموال صلح بناء المجتمع، والرسول ﷺ يقول: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[2].

وبهذا يتضح أن استراتيجية البناء الاجتماعي في الإسلام، تقوم على استراتيجية تحقيق النعيم في الآخرة، وفي الطريق إلى هذا المغنم تتحقق وسيلته وسلعته المكافئة له في الدنيا: ألا وهي الفرد الصالح والمال الصالح ومن ثم المجتمع الصالح، عملاً بقول الله تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾**[3].

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) حديث شريف.

(٣) القصص: ٧٧.

وبهذا التأكيد على أهمية الفرد والاقتصاد، يمكننا أن نضع معالم استراتيجيتنا في البناء الداخلي.

١- بناء الفرد:

لتحقيق هذه الغاية يلزم وبكل اختصار مايلي:

(أ) **منهج تربوي موضوعي معاصر**، تصاغ به البنية التكوينية لأجيالنا المعاصرة.. من خلال تحديد مفاهيم ومنطلقات إسلامية معاصرة في أطر الثوابت العقدية والسلوكية تتضح وتتبلور معها للأجيال صيغ ومضامين:

١- نظريتنا الاجتماعية بشكل عام.
٢- ماهي واجبات الرجل ومهامه وصلاحياته.
٣- ماهي واجبات المرأة ومهامها وصلاحياتها.
٤- كيف تكون العلاقة بين دور الرجل ودور المرأة في بناء المجتمع.
٥- ماهي الثوابت الأخلاقية والسلوكية التي تضبط هذه العلاقة وتنظمها.
٦- التأكيد في ذلك وغيره على أن القوامة للرجل، فمواقع القيادة له لأن ذلك من الثوابت الاجتماعية في منهج الإسلام.

(ب) **منهج فكري وثقافي**.. تحدد به مفاهيم ومنطلقات التصور الإسلامي المعاصر تتضح معه معالم العقلية الإسلامية المطلوب تكوينها وصياغتها لدى أجيالنا المعاصرة لتكون مؤهلة للتعامل مع:

١- **نظريتنا السياسية** بأبعادها العقدية والسلوكية واجتهاداتها

المعاصرة الداخلية والخارجية . . بحيث تغيب فوارق الفهم والتصور ما أمكن بين اجتهادات العقلية الحاكمة في أطر رؤيتها واطلاعها وخبرتها وبين عقلية التلقي والقبول عند المحكوم . . وبقدر ما نقلل الفوارق بين العقليتين والرؤيتين بقدر ماتحكم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبقدر ماتتوفر عوامل التماسك الاجتماعي . . وبقدر ماتنتغلب على عوامل الفرقة والتدابر بين الفريقين . . وقد اعتنى النهج القرآني بذلك أيما اعتناء، وجاء الهدى النبوي ليؤكد ذلك بكل الدقة والموضوعية، والأمثلة على ذلك لا تحصى- وأضرب لذلك مثلاً واحداً فيه كثير من العبر، ألا وهو تصرف الرسول ﷺ يوم صلح الحديبية، وكيف أن ذلك ولد عند الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم جميعاً، شكلاً من أشكال الرفض لولا أن تداركتهم رحمة الله تعالى فتبين لهم صحة وصواب ماذهب إليه عليه الصلاة والسلام، فإن كان هذا بعض شأن من هم صفوة الخلق مع من لا ينطق عن الهوى، فكيف بنا نحن في القرن الخامس عشر الهجري .

فلابد من الاعتناء بقضية الانسجام الفكري والاجتهادي بين أهل السلطان وبين من هم في إمرتهم وولائهم . . وهذا يلزمه مايلي :

(أ) منهج تثقيفي سياسي يبدأ من المرحلة الثانوية فالجامعية فالدراسات العليا .

(ب) منهج إعلامي يركز على السياسات الشرعية في الإسلام من خلال تقديم صور حية من سيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده. بحيث يتواكب مع المنهج التثقيفي ويدعمه ويوضحه .

(ج) معاهد للدراسات السياسية الشرعية المتخصصة إلى جانب مايضاف إلى مناهج التعليم والإعلام .

(د) إعادة النظر في مناهج الجامعات الإسلامية لتعتني بالدراسات الشرعية التطبيقية .

(هـ) الاستفادة من النظريات السياسية المعاصرة في أطر الثوابت الشرعية والاجتهادات الشرعية المتنوعة .

٢- **نظريتنا الجهادية بكل أبعادها الدعوية والقتالية والسلمية** بحيث تحدد مفاهيم الجهاد كمصطلح إسلامي له معاييره ومضامينه وله ضوابطه وأخلاقياته تصاغ من خلالها العقلية الشبابية وهم يمثلون عنفوان الأمة وطاقتها الفاعلة في هذا المقام، الصياغة المتزنة التي تصرف طاقاتهم في أطر شرعية وسياسية، تحفظ للأمة فعالياتهم وقدراتهم وتحميهم من مزالق الاندفاع اللاشرعي، في مناخ المفاهيم المضطربة لمعاني الجهاد والاستشهاد . . وهذا يلزمه مايلي :

(أ) منهج للدراسات الجهادية المعاصرة لتأصيل مفهوم الجهاد وتحديد أطر جهاد البيان، وجهاد السنان، والعلاقة بينهما، ثم تحديد السياسات الجهادية الأمنية والسلمية .

(ب) تشكيل هيئة مشتركة من خبراء عسكريين وعلماء وفقهاء مفكرين من العالم، الإسلامي ممن يوثق بدينهم وإخلاصهم وكفاءاتهم الفكرية، لوضع دراسات علمية وموضوعية في تحديد معالم نظريتنا الجهادية التي نرى العمل بها في العصر الحاضر.

(ج) تأكيد المعنى الجهادي للسياسات السلمية في ساحات القتال، وتبديد شبهات الفهم الدخيل على عقلية بعض المسلمين، حول مفهوم السلم وإعطائه معاني الاستسلام والتخاذل والتنازل.

(د) لابد من دراسات دقيقة توضح الفرق: بين تحقيق الولاء البشري لسلطان الله تعالى، وبين قضية حملهم على اعتناق الإسلام، فالأولى واجبة السعي والتحقيق والثانية واجبة الدعوة والتبليغ من قبلنا، وخاضعة للرغبة والاختيار من قبل الآخرين حيث القاعدة: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾[1].

٣- **نظريتنا الأمنية** هي الرديف لنظريتنا الجهادية من خلال الحشد العام لمجموع الأمة، ليكون كل فرد فيها خفير حماية ومراقبة، في إطار ضوابط تنظيمية ومعايير خلقية وسلوكية، تجعل الأمة كلها في خدمة خطط وبرامج استراتيجية المنهج الإسلامي، بقيادة ولاة الأمر ومسؤلياتهم.. وهذا واضح في قول الله تعالى: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[2].

أما عموم الواجب واليقظة فقد وضحه قول الرسول ﷺ: «**كل منكم على ثغرة من ثغور الإسلام الله الله أن يؤتى الإسلام من قبله**»[3]، وهذا يلزمه مايلي:

(أ) تحديد مفاهيم ومعالم النظرية الأمنية في الإسلام.

(ب) تحديد الضوابط الأخلاقية والوظيفية للنظرية الأمنية في المجتمع الإسلامي.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.　(٢) النساء: ٨٣　(٣) حديث شريف.

(ج) إقامة الثقة وروح التعاون بين رجل الأمن والمجتمع، والوقوف بحزم أمام أي ظاهرة من ظواهر الطبقية الخطيرة بين جهاز الأمن من جهة، وبقية أجهزة المجتمع من جهة أخرى.. وهذا من أخطر القضايا التي تواجه المجتمعات في غالب البلدان.

(د) الاستفادة من الخبرات والدراسات الأمنية المعاصرة، في إطار قيمنا الأخلاقية والسلوكية.

٤- **نظريتنا الإعلامية: الإعلام** وسيلة متعددة الأغراض والأهداف، به تصاغ جوانب كثيرة من شخصية الفرد في المجتمع.. فبقدر مانحقق الانسجام والتنسيق بين مواده ولغاته، بقدر مانحقق تماسك وتعامل البناء التكويني لشخصية الفرد في مجتمعنا، وبالتالي يتحقق تكامل وتماسك البناء الاجتماعي لمجتمعاتنا.. وهذا يتطلب مايلي:

(أ) تحديد معالم النظرية الإعلامية في الإسلام، مستفيدين من المعطيات الحضارية المعاصرة.

(ب) تشكيل هيئة لتدارس ومتابعة السياسة الإعلامية الداخلية والخارجية.

(ج) وضع الضوابط والمعايير التي تجعل وسائل الإعلام المتعددة والمتنوعة تسير في حركة متسقة تخدم الهدف الإعلامي العام.

(د) تشكيل هيئة من المتخصصين في الإعلام ومن رجال العلم والفقه والفكر، لوضع المفاهيم والتصورات المشتركة في كيفية الاستفادة من المعطيات الحضارية المعاصرة، في إطار ضوابطنا الأخلاقية وقيمنا الاجتماعية، وهنا نشير إلى المجالات التالية:

١- التصوير الفوتغرافي الحركي منه (التلفزيوني) والثابت (الصحف والمجلات).

٢- الفن المسرحي المرئي (التلفزيوني وغير المرئي (الإذاعي).

٣- دور المرأة في الإعلام المرئي وغير المرئي.

ونقصد من وراء ذلك إيجاد قاعدة من الفهم المشترك، حتى ينسجم الموقف ويلتحم بين فعاليات الأمة السلطانية والفكرية والفقهية، لأن أي مفارقة واختلاف في الموقف والتوجه ينعكس بشكل أو بآخر على وحدة الموقف في المجتمع ككل.

(هـ) لابد أن نحرص من خلال الإعلام على تقديم الصورة المتزنة والموضوعية لصيغة مجتمعنا الإسلامي، الذي هو هويتنا الحضارية لدى الآخرين.

أي أننا نعني بكل ماتقدم أن نحرص، كل الحرص وأن نعمل كل مايمكن عمله لتحقيق منهج موضوعي وشامل لبناء الوعي السياسي والاجتماعي بكل أبعاده، وبالشكل الذي يمكّن الفرد في مجتمعنا من **إدراك مسؤوليته في البناء الاجتماعي، مع إدراك مسؤوليته في حماية هذا البناء**، مع التأكيد على أن هذا الطموح لن يكون إلا من خلال خطط وبرامج أكاديمية، لتوفير الكفاءات النوعية في إطار احتياجات تكامل البناء الاجتماعي.. ومن خلال اصطفاء وتشجيع الكفاءات والمواهب المبكرة، لتكوين شريحة اجتماعية مؤهلة لتحقيق عطاء حضاري رفيع المستوى.

٢- بناء الاقتصاد :

الاقتصاد هو حصاد الجهد السليم للفرد في حقول توظيف واستثمار الطاقة والثروة . . ولتحقيق هذا يلزم مايلي :

(أ) تحديد ملامح النظرية الاقتصادية في الإسلام في أطر الثوابت الشرعية والمعطيات الحضارية المعاصرة .

(ب) وضع الخطط لتوفير الكفاءات الإنتاجية على كافة المستويات الخاصة والعامة .

(ج) وضع الخطط لتنمية الإنتاج الزراعي والحيواني .

(د) وضع الخطط لتنمية الإنتاج الصناعي في مراتبه المختلفة ومن أهمها الإنتاج الآلي ولا أقل من قطع الغيار والتبديل .

(هـ) وضع الخطط والدراسات لزيادة مصادر الثروة الطبيعية .

(و) العمل على تعدد مصادر المياه الجوفية والتجمعية وتطوير محطات التحلية من حيث الإنتاج والتخزين .

ثانياً : الساحات العربية :

تبقى الساحات العربية رافداً أساساً وعاملاً فعّالاً، في بعث التضامن الإسلامي، وجدية استراتيجية العمل الإسلامي المشترك، لأسباب وحيثيات لا تخفى على كل مسلم واعٍ في الأرض، ومن هنا تبرز أهمية الساحات العربية وأهمية الحرص على تطوير العلاقات والموازنات

معها . . وهي للأسف تعاني من تعددية في المذاهب السياسية والفكرية . . مما يلزم معه موازنات دقيقة وضوابط رفيعة المستوى لإمكانِ التعايش والتعاون في مثل هذا الواقع المؤلم .

وفي ضوء ذلك وعلى أساس تحديد الثوابت السياسية للعلاقات العربية ومن أهمها ثوابت الاعتقاد والفكر . . يمكن رسم سياسة السير الموحد للعمل العربي . . وهنا لابد من الإشارة إلى أن أخطر قضية واجهت وحدة العمل العربي في الماضي ولاتزال ذيولها ومعانيها قائمة . . هي الخصومة المفتعلة بين العربية والإسلامية والتي أوجدها وبعث عوامل فتنتها أعداء أمتنا . . وعمق جراحها ووسع انهداماتها دعاة التعصب للعربية من جهة، وردود الفعل غير المتأنية من بعض الغلاة الإسلاميين من جهة أخرى . . وقد بلغ التطرف بين الفريقين الدرجة التي أصبحت معها لفظة (العرب أو العربية) من ألفاظ الكفر والتكفير . مثلما أصبحت معاني التدين والسمات الإسلامية من علامات الرجعية والتخلف، بل إنها عند بعضهم دليل قضائي، على العمالة والانحراف والتطرف . . وذهب بعض دعاة القومية أكثر من ذلك فأخذوا بمقولة ماركس قاتله الله : (الدين أفيون الشعب) .

ولمواجهة هذا الطرح النكد وهذه الخصومة النكراء لابد من عملية إصلاح جذرية . . وذلك بتحديد المفاهيم الدقيقة للمعايير الشرعية التي تعيد التوازن الطبيعي وأصالة التزاوج بين العربية والإسلام . . وهذا يتطلب مايلي :

(أ) وحدة الفهم والتصور للعلاقة الشرعية بين العربية والإسلام .

(ب) إبراز المفاهيم الشرعية للتشريف الرباني للعرب وقد اصطفاهم

الله تعالى لحمل رسالة الإسلام للعالمين .

(ج) وحدة الفهم والتصور في مفاهيم عروبة النسب وعروبة اللسان والعلاقة بينهما .

(د) وحدة الفهم والتصور لمعايير الامتياز الشرعي في إطار الاعتقاد والقيم الإسلامية .

(هـ) وحدة الفهم والتصور لمعايير العلاقة بين الأنساب البشرية في إطار الاعتقاد الإسلامي والسياسات الشرعية عامة .

(و) طرح مفاهيم وتصورات عملية معاصرة لصيغة الوحدة العربية . . ونحسب أن صيغة مجلس التعاون الخليجي تعتبر فكرة رائدة كخطوة مرحلية متزنة وموضوعية في طريق العمل العربي المشترك .

(ز) تطوير فكرة الجامعة العربية لتؤدي دوراً أكثر فعالية على الساحة العربية .

(ح) وضع الدراسات الدقيقة والموضوعية لتحقيق فكرة السوق العربية المشتركة من خلال برمجة محلية ومتأنية .

أما القضية الأخطر والأفتك في جسد الأمة العربية والإسلامية ، هي فتنة الطائفية التي أحسب أن القوى العالمية من صليبية وصهيونية تقف وراء هذه الايدلوجية الجديدة للإمعان في تمزيق الأمة العربية والإسلامية ، من خلال صراع طائفي بعد أن مزقوا الأمة من قبل بطرح فكرة الصراع القومي الذي أشرنا إليه آنفاً .

ثالثاً : الساحات الإسلامية :

لا شك أن الساحة الإسلامية هي الامتداد العضوي لجسد الأمة العربية. . بل هي نسيج عطائها العقدي والحضاري. . ورصيدها الضخم على امتداد الساحات العالمية. . الأمر الذي إذا أحسن التعامل معه ومن ثم أمكن توظيف طاقاته وقدراته بموضوعية وعلمية مناسبة. . فإنه سيكون البوابة العريضة أمام الأمة الإسلامية، لعبور الساحات العالمية بكل جدارة وبكل كفاءة مع كثرة تعقيداتها وصعوبة تضاريسها. . والقضية الخطيرة التي واجهت المسلمين من قبل ولازالت آثارها قائمة حتى اليوم. . هي أيضاً قضية القوميات والسياسات القومية لكل قطر إسلامي، ومايتبع ذلك من إسقاط وإضعاف للوشيجة الإسلامية ولروابط الأخوة الإسلامية. . ولمواجهة هذا الخلل الكبير لابد من منهجية تصحح بها المفاهيم والمواقف على الساحات الإسلامية المتعددة يراعى فيها مايلي :

(أ) التأكيد على العقيدة الإسلامية وعلاقتها بوشيجة الإخاء الإسلامي.

(ب) توضيح مفاهيم السيادة الاقليمية في إطار سيادة الأمة الإسلامية.

(ج) طرح مفاهيم إسلامية معاصرة لشكل ومضمون الأمة الإسلامية.

(د) التأكيد على الواجب العقدي تجاه المصالح الإسلامية لأي

شعب مسلم في أي قطر.

(هـ) طرح منهجية حصانة للمصالح الإسلامية مع توفير الحماية المشتركة لها.

(و) طرح مفاهيم تكامل الاقتصاد الإسلامي على الساحات الإسلامية.

(ز) طرح منهجية موضوعية لتحقيق فكرة السوق الإسلامية المشتركة من خلال برمجة مرحلية متأنية.

(ح) دعم منظمة المؤتمر الإسلامي وتطوير فعالياتها وأدائها ومكانتها إسلامياً ودولياً.

رابعاً: الساحات العالمية:

إن العالم العربي والإسلامي يشكل أكبر حشد بشري واقتصادي على الساحات العالمية.. بل إن موقع العالم العربي والإسلامي يمثل قلب العالم ونقطة الارتكاز الهامة والأساس في حركة التوازن والاستقرار فيه.. لذا لابد أن يدرك المسلمون أهمية وخطورة مكانتهم وأهمية دورهم على الساحة العالمية.. مع إدراك واجب التكليف الرباني وقد اكتسبوا به موقع الريادة للبشرية جمعاء.. ولتحقيق فعالية الوجود الإسلامي لابد أن ندرك بكل دقة وبكل موضوعية مايلي:

(أ) أن التكنولوجيا المعاصرة قد اختصرت المكان والزمان على الساحة العالمية بحيث أصبح الناس كأنهم يعيشون في حيز متقارب الأطراف يصعب معه التمييز بين ماهو إقليمي وما هو عالمي.

(ب) إن التداخل العجيب والمعقد لقضايا العالم جعل أية قضية إقليمية هي جزء لا يتجزأ من قضايا العالم.

(ج) إن العالم اليوم بشكل أو بآخر تتحكم بمصائره قوى دولية معينة لها استراتيجياتها ولكل وسائلها في تحقيق أهدافها وغاياتها.

(د) إن ثروات العالم الإسلامي وقدراته المتنوعة تشكل مرتكز النزاع والصراع بين قوى العالم المختلفة.

(هـ) إن عملية التأهيل الأكاديمي والموضوعي لتقويم الساحات من حولنا أمر هام وأساسي ونحن نواجه التفاعلات السياسية من حولنا.

(و) إن عملية التأهيل والارتقاء الكفائي لتحقيق دور سياسي فعّال على الساحة العالمية بواقعها المعقد. . يحتاج بكل اختصار إلى مايلي:

١- التعرف بدقة وموضوعية فائقة على طبيعة وأبعاد الاستراتيجيات العالمية من حولنا.

٢- التعرف بموضوعية على ثوابت العلاقة بين القوى العالمية سياسياً واقتصادياً.

٣- التعرف بدقة ووضوح على طبيعة ومصالح التحالفات والموازنات السياسية والاقتصادية بين القوى العالمية.

٤- التعرف على طبيعة وأبعاد سياسات القوى العالمية.

٥- المتابعة الدؤوبة للحركة السياسية العالمية بكل تغيراتها العجيبة والمتسارعة على كل ساحة من ساحات العالم.

٦- مراقبة التفاعلات العالمية مع الأحداث الساخنة على الساحة

الدولية المتنوعة .

وهذا كله يتطلب تحقيق وتوفير كفاءات عالية تستطيع ذلك وتتقن ذلك من خلال مايلي :

(أ) الاهتمام بالبحوث والدراسات الاستراتيجية العالمية .

(ب) الاهتمام بإقامة المعاهد الأكاديمية للدراسات الاستراتيجية المتخصصة .

(ج) وضع المناهج التربوية والتكوينية المتكاملة لبناء الوعي الاستراتيجي المحلي والعالمي .

(د) استقطاب الكفاءات الإسلامية على الساحة العالمية لتوظيف طاقاتها وقدراتها في دوائر مساندة لاستراتيجيتنا العامة .

(هـ) الاهتمام بمراكز جمع المعلومات وتصنيفها .

وبعد فإن ماتحتاجه أجيال أمتنا الإسلامية لتحقيق ماتقدم من مفاهيم وتصورات وبرامج وطموحات ، أن تتوحد رؤيتها حول المفاهيم العامة والمقاصد الكلية للإسلام عقيدة وشريعة ، وتجنب الخوض في الفرعيات والتي هي غالباً موضع خلاف في الاجتهاد بين الناس ، وحسبهم أن يلتقوا على (**أن الإسلام دعوة إيمانية بخالق السموات والأرض ومابينهما وبرسله «لا إكراه فيها» وذلك وفق قاعدة يلتزم بها الجميع عملاً وهي «أن الخلق كلهم عيال الله وأن أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» وأن الإسلام دعوة عالمية إلى الأمر بكل ماعرف خيره واستنكار كل ماعرف شره ، ومن أجل تحمل مسؤولية عمارة الأرض وعدم الإفساد فيها و إقامة العدل والسلام في ربوعها ، وأن الخطاب في ذلك عقيدة ودعوة إنما هو للعقل ، وأن الحوار بالعلم والقول الحسن ، لتحقيق الآمال ومعالجة الآلام**)[1] .

---

(١) إعداد دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي .

الفصل الرابع :

- الإسلام والنظام العالمي .
- الإسلام يدعو إلى الأحسن .
- نظام عالمي عادل .

الفصل الرابع :

الإسلام .. والنظام العالمى

إن حاجة الناس الى نظام عالمى، يقيم حياتهم على العدل والأمن والرخاء والسلام، مطلب قديم، تحدث بشأنه الفلاسفة والمصلحون عبر الزمان، تصوره أفلاطون فى مدينته الفاضلة.. وتنادى العرب فى جاهليتهم إلى حلف ينصرون به المظلوم، ويضعون حداً للظلم والجور فى مجتمعاتهم.. وجاء الإسلام فلبى حاجة فطرة الإنسان وحقق للناس أحلامهم، ووضع لذلك قواعد ومبادىء وقيماً وأصل سلوكيات وأدبيات، وعلش الناس فى ظل ذلك قروناً عديدة ينعمون بالأمن والرخاء والسلام والعدل.. وحدث خلل.. وحجب الإسلام عن حياة الناس.. فكان اضطراب كبير فى الارض.. واشعلت حروب أكلت الأخضر واليابس.. مما فرض على صناع القرار فى دمارها واهوال فعلها.. أن يتنادوا إلى نظام يجنب البقية الباقية من الارض ويلات ما اقترفته أيديهم.. فكانت عصبة الامم.. التى تطور شأنها الى هيئة الأمم المتحدة لتكون الإطار المؤسسى للنظام العالمى يومئذ.. ووضعت لهذه الهيئة أسس وهي:

المساواة، وحب السلام، والعضوية المفتوحة للجميع.. وفى اطارها وضع ميثاق الأمم المتحدة.. الذى استدرك على قيمه ومبادئه

أصحاب التحكم بموازين القوى، فقيدوا فاعليته، ووأدوا خيريته بما ميزوا به أنفسهم من حق سموه (حق الفيتو) الذى أعطاهم حق رفض الحق إذا تصادم مع أهوائهم ومصالحهم. . وعاش الناس مع هذا الخلل الكبير على أمل الإصلاح والتغيير إلا أن الزمن أخذ يؤكد للجميع، أن هذا النظام معطل ولا يلبى حاجات الناس بالأمن والسلام. . . وأعلن ذلك رسمياً بقرار مشهور للامم المتحدة اتخذته فى دورتها لعام ١٩٧٤م جاء فيه أن النظامين السائدين (الشيوعية والرأسمالية) عاجزان عن تحقيق الامن والعدل والسلام بين الناس، ولابد من نظام عالمى جديد يحقق للناس آمالهم وينهى آلامهم. . ويحقق لهم الامن والعدل والسلام. . وفى الدورة التالية أى عام ١٩٧٥ طلب الى اليونسكو باعتبارها المؤسسة الثقافية المعنية بمثل هذا الامر، أن تضع تصوراً لنظام عالمى يحل محل النظامين السائدين والمتحكمين بميثاق وقرارات الأمم المتحدة. . وبذلت اليونسكو جهدها وأجرت اتصالات مع جهات دولية وثقافية فى العالم تطلب المساعدة فى وضع هذا التصور، ثم قدمت مذكرتها للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٧ عبر تقرير مفصل يقوم على أسس ثلاثة للتصور المقترح للنظام العالمي جاء فيها :—

١— وجوب الاعتراف بوحدة الاسرة البشرية وحقها فى التعايش بأمن وسلام.

٢— العمل على تطوير مشترك للتنمية بما يحقق انتعاشاً اقتصادياً للجميع.

٣— إحقاق عدالة التوزيع فى الأرض.

إلا أن الامم المتحدة وجدت نفسها عاجزة عن التعامل بجدية مع

هذه المبادىء بسبب من الحرب الباردة الدائرة بين المعسكرين المتصارعين، الشيوعى والرأسمالى، والتى كان من وسائلها، التحاور المباشر حول مشروع للتعايش السلمى، أخذ شيئاً من الجدية مع مجىء الرئيس جورباتشوف لزعامة الاتحاد السوفييتى، حيث تحققت خطوات ايجابية فى هذا الصدد، إلا أن تفاقم الأزمة الداخلية فى الاتحاد السوفييتى وانهيار امبراطوريته بالشكل المعروف، قد قلب موازين القوى الدولية وأحدث تغيرات واسعة فى البنية الدولية ومعادلاتها الإقليمية والعالمية، وجاءت حرب الخليج عقب احتلال العراق لدولة الكويت، لتعزز توجهات ذات دلالة فى العلاقات الدولية، ولدت مناخاً عاماً، أوحى لدى أوساط عالمية متعددة بأن الولايات المتحدة تسعى لأن تكون الأقوى فى اتخاذ القرارات الدولية، وأن الظروف أصبحت مهيئة لزعامة القطب الواحد فى العالم واعلن الرئيس الأمريكي السابق بوش تصريحاته حو ل النظام العالمى الجديد. . إلا أنه لم تصدر أى توضيحات أو تفسيرات تبين أبعاد ومفاهيم وتصورات شكل ومضمون النظام العالمى هذا. . مما ترك فرصة كبيرة أمام الاجتهادات الفردية لتحديد المفاهيم والاسس التى يمكن أن يقوم بها النظام العالمى الجديد، ومما أدى الى كم هائل من الدراسات والمقترحات لدى جميع الاوساط الثقافية والمعرفية فى العالم حول هذا الموضوع وما ينبغى له. . وفى اطار ذلك تبلور اتجاهان. . اتجاه متفائل وآخر متشائم، كما أنه برز تيار ثقافى فى الغرب، يقدم الإسلام والمسلمين على أنهم العدو الاخطر على الحضارة الغربية وسيادتها، بعد سقوط المعسكر الشيوعى. . إلا أنه فى المقابل هناك تيار آخر فى الغرب، ولو انه أقل فاعلية، إلا أنه يتصف بالتعقل والحكمة،

ويحاول أن ينصف الإسلام والقيم الاسلامية، ويؤكد على أهمية العرب والمسلمين وفاعليتهم فى تحقيق نظام عالمى جديد يحقق التعايش الدولى ويحقق الأمن والسلام للناس جميعاً، كما أن أقطاباً دولية أخرى أخذت تبحث وتضغط لتأخذ مكاناً لها فى مواقع القرار الفعّال فى المؤسسات الدولية، وأن التدافع أصبح واضح الأثر بين هذه القوى التي، تشكل بجملتها مخاضاً صعباً وعسيراً بين يدى بلورة واضحة لشكل ومضمون النظام العالمى الجديد، واحسب أن هذا المخاض ستطول فترته، لأن احداثاً عالمية كثيرة تحتاج الى تسوية، وقضايا إقليمية متعددة يلزمها إعادة ترتيب بما ينسجم مع ما فى أذهان بعض الجهات الدولية من توجهات لطبيعة النظام العالمى.. وهى غالباً تتصادم مع توجهات أخرى تناقضها لدى البعض الآخر، وهذا أحسبه من الايجابيات التى ينبغى الافادة منها، وتسخير أسبابها لتؤدى الأمة الإسلامية مهمتها فى التدافع الإنسانى، الذى هو سنة من سنن الله تعالى فى عمارة الأرض وصرف الفساد عنها وأمام هذا الواقع الانتقالى للمجتمعات الدولية، وامام ما يكتنف هذا الواقع من تعقيد وتداخل، فماذا عسانا فاعلين نحن المسلمين؟ وما هى استعداداتنا للتعامل مع هذا الواقع؟ وما هو الممكن فعله مع ما نحن عليه من واقع لانحسد عليه..؟

وبين يدى التعامل مع هذه التساؤلات الملحة، من قبل أجيال أمتنا العربية والإسلامية يمكننا وبكل اختصار وتركيز القول:

* نحسب «أولا» أن العوامل المؤثرة فى آليات تشكل النظام العالمى هى:

١ — العامل البشري.

٢— العامل الثقافي .

٣— العامل الاقتصادي .

مع التأكيد على أن هذه العوامل الثلاثة «إقليمياً ودولياً» متكاملة الموضوع والهدف فى حركة أدائها ومتكاملة الفعل والأثر فى إيجابيات عطائها .

* ونعتقد «ثانيا» أن الأمة أو الدولة ، التى تحرص على مكانة مهيبة وكلمة مسموعة وتتطلع الى مشاركة فعالة ومقعد مقدر فى مجالس المفاعلة والموازنات الدولية ، عليها أن تسعى جادة لتحقيق المتانة والارتقاء فى :

١ — أمنها الاجتماعى .

٢— أمنها الثقافى .

٣— أمنها الاقتصادى .

* ويؤسفنا «ثالثا» أن أمتنا العربية والإسلامية ، لاتزال فى معظم كياناتها السياسية تحتاج إلى كثير من الجهد والوقت لتتغلب على سلبيات واقعها الاقليمى (اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً) ، مما يجعلها مجتمعة غير مؤهلة إلى حين لأداء مشاركة فعّالة دولياً تليق بحقيقة قدراتها البشرية والاقتصادية والثقافية بين الأمم .

* ولكننا نحسب «رابعاً» ورغم هذا الواقع الاستثنائى التى تمر به أمتنا أن جهات إقليمية من أمتنا لديها ما يمكنها — أخذاً بقاعدة فن الممكن بالموازنات السياسية — من أداء مشاركة فعالة فى عمليات تشكيل وصياغة مقومات النظام العالمى ، وأحسب أن المملكة العربية السعودية من خلال واقعها الأمني المرموق (اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً) ،

واعتماداً على علاقاتها الدولية وقدراتها السياسية والدبلوماسية المتميزة، مؤهلة لأن تقدم للمجتمع الدولى مبادراتها للمساهمة فى تحديد معالم النظام العالمى) من خلال تجربتها السياسية الناجحة إسلامياً ودولياً، وعبر تعاونها مع جهات عربية وإسلامية رسمية وثقافية معنية.

* كما ونعتقد «خامساً» أن أمتنا الإسلامية رغم ما تعانيه من واقع مؤلم جاهزة على الاقل من الناحية الثقافية، وعلى أساس من قيم الإسلام ومبادئه العالمية وإعتماداً على ما تكنزه من مخزون فقهى وفكرى منقطع النظير. لتقدم للمجتمع الدولى مشروع ميثاق عالمى يضمن للناس جميعاً:

١ — حق التعايش البشرى مع اختلاف الأجناس والأعراق والأديان.

٢— العدل والرخاء للمجتمع الدولى.

٣— الأمن والسلام العالمى.

* ونختم «سادسا» بالتأكيد على ضرورة إنهاء ظاهرة التناقض الثقافى، واضطراب وحدة الخطاب السياسى فى أوساط أمتنا السياسية والثقافية، تلك الظاهرة الخطيرة التى تشكل عامل استنزاف وإجهاض لقدراتها المتنوعة بين يدى تطلع أجيالها إلى مستقبل أفضل يعيد إليها مكانتها وخيريتها بين الأمم.

وبعد وتأسيساً على ما تقدم، وفى إطار نظرتنا إلى أن الإنسانية بأفرادها ومجتمعاتها الدولية تمر اليوم بحالة من اليقظة والتنبه، إلى خطورة التيه والضياع الذى عانته ولاتزال تعانى منه الأجيال البشرية بسبب من هجر القيم والمبادىء الربانية التى ارتضاها لهم ربهم وخالقهم سبحانه،

والى خطورة التعامل مع وسائل الدمار والفناء الشامل التى أنتجتها منهجية السباق المجنون لامتلاكها، وتطوير مدى فعالية أثرها التدميرى عبر قارات الارض، وكذلك إلى خطورة الأوضاع المتدنية أمنيا واقتصاديا، بسبب ابتلاع ميادين تكنولوجيا الموت لكل إمكانات الحياة الكريمة، وأتت على الحد الأدنى من احتياجاتها الضرورية، ونحسب أن هذا التنبه لما هى عليه حالة البشرية، وما يهدد أمنها واستقرارها وأصل وجودها، ولما يحرمها الحد الادنى من متطلبات حياة أجيالها، قد بعث شيئا من الاحساس بالمسؤولية عند عقلاء وحكماء الانسانية هنا وهناك، فأخذت الأصوات ترتفع مطالبة بوضع حد لهذا التدهور الخطير لمسيرة الانسانية فى الارض، حيث أخذت ميادين سباق التسلح تتقلص لصالح منهجية تخفيض امتلاك وسائله، ومعدلات إنتاج وسائل الدمار تراجع لصالح معدلات إنتاج وسائل السلم والرفاهة، ولغة السلم والتعايش بدأت تتسلل إلى ساحات لغة الحرب والتدابر، وحوار الكلمة أخذ بالنمو على حساب استفحال حوار الصواريخ وباختصار فإن لغة الفضائل بدأت تتقدم على حساب لغة الرذائل. ولهجة العقل والقيم أخذت بتطويق نزوات لغة الحمق والنزق واللامسؤولية، وبعد:

فما هى مسؤوليتنا نحن المسلمين نحو هذه الظاهرة البشرية الإيجابية؟ وكيف يمكننا المساهمة فى التأكيد على مادتها ودعم وتنمية اتجاهاتها. .؟

الاسلام يدعو إلى الاحسن:

وبين يدى الإجابة على هذه الأسئلة لابد من مقدمة نحدد بها نحن أتباع رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.. الإطار المنهجى والفكرى لهذه الإجابة، وفق الثوابت والمنطلقات التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حرصا منا على التزام المنهج الربانى، ودفعا لكل لبس أو غموض وهى باختصار بالغ على النحو التالى:

١ــ نحسب أن القرن القادم هو قرن التواصل البشرى، وقرن التحاور الثقافى، ويمكن القول هو قرن التدافع الثقافى وهذا توجه مهم ومفيد يلزمنا نحن المسلمين استقباله والتعامل معه بإيجابية وارتياح لأن منهجية الحوار بالبيان والحكمة، منطلق أساسى فى منهج القرآن الكريم وأدبيات الدعوة إلى قيم الإسلام، التزاما بالتوجيه الربانى جل شأنه **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**(١).

٢ــ نحن المسلمين مطالبون بالسعى للحوار مع الناس بما يحقق وضوح الرؤية ويجمع الكلمة على المبادىء والقيم الربانية الخالدة. وهذا فى قوله تعالى: **﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾**(٢).

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران آية ٦٤.

٣— نحن نعتقد بأن إيماننا لا يكون ولا يتحقق إلا بالكتب السماوية التى أنزلت على الأنبياء والرسل جميعا، وأن المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام نبى الله ورسوله، وروح منه وكلمته التى ألقاها إلى مريم البتول عليها السلام، وأن نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام هو دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾[١] وبشارة سيدنا المسيح عليه السلام: ﴿**ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**﴾[٢] فجاء عليه الصلام والسلام مصدقا لما بين يديه من الكتاب حيث يقول الله تعالى: ﴿**الم * الله لا إله إلا هو الحى القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان**﴾[٣].

٤— إن الاسلام الذى نعتقده ونفهمه وفق النصوص الثابتة القاطعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، هو دين الله تعالى الذى أرسل به الرسل جميعا، منذ أبينا آدم عليه السلام وحتى سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وفق مسميات ومعانٍ تناسب الزمان والمكان لكل قوم مقتضى حالهم وحياتهم التى كانوا يعيشون، وأن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعث لتختتم به دعوة الله تعالى ورسالاته، ولتكتمل بما جاء به دعوة الأنبياء والرسل من قبله، فى ظروف من الزمان والمكان تحقق للناس بها من أسباب التعارف والتعايش، ما يصلح معها مخاطبتهم جميعا بتمام ما أراد لهم ربهم وخالقهم من مبادىء وقيم ومنطلقات، تستقيم معها حياتهم ويتحقق لهم بها الخير كل الخير،

(١) البقرة آية ١٢٩ . (٢) الصف آية ٦ . (٣) آل عمران آية ١ - ٤ .

وهذا واضح فى قوله تعالى: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾[١].

٥— نحن أمة تحكم علاقاتنا وتحاوراتنا مع الآخرين قاعدة أساس تقوم بها وعلى أساسها صحة كل علاقة وسلامة كل حوار، وهى التزام مبادىء وقيم وتعاليم دين الله وهذا بين فى قول الله تعالى: ﴿**واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾[٢].

٦— إن منهجنا ونحن نعرض مبادىء وتعاليم الاسلام على الناس، تحكمه قيم وآداب لا ينبغى لنا تجاوزها ومخالفتها ولا يصح معها تجريح وسباب معتقدات الآخرين، وهذا صريحٌ فى قوله تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾[٣].

٧— نحن مطالبون وفق تعاليم إسلامنا وقيمه، بالتزام العدل وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف فى العقيدة وقيام الخصومة والشحناء معهم، حيث يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾[٤].

٨— إن منهج القرآن يعلمنا ويؤكد علينا، أن البشرية مدعوة بأمر ربها جل شأنه، للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وألوانهم، وأن إتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم، وهو أساس معيار القرب والبعد من

---

(١) البقرة آية ١٣٦ .
(٢) المائدة آية ٤٩ .
(٣) الأنعام آية ١٠٨ .
(٤) المائدة آية ٨ .

تقوى الله ومرضاته، وهذا فى قوله تعالى: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[1].

٩— نحن أمة الإسلام يحدونا ونحن نتعامل مع غيرنا من الناس، تعاليم ربنا جل ثناؤه وتوجيهات رسولنا عليه الصلاة والسلام، التى تطالبنا وتؤكد علينا السعى فى تحقيق مصالح العباد، وجلب النفع العام لهم، وأن ذلك السعى الصادق هو السبيل لنيل محبة الله تعالى والفوز بمرضاته حيث جاء فى الأثر: **«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»**.

١٠— إن الاسلام يؤكد أن أساس دين الله تعالى، يقوم على إقامة العدل بين الناس، وشيوع قيم الإحسان بينهم، والعمل على مكافحة الفحشاء والمنكر ومحاربة البغى فى حياتهم، وقد عظّم فقهاء الإسلام قيم العدل، حتى جعلوه معيارا لنصرة الله وتأييده لأى ملة تقيمه وتلتزمه حتى ولو كانت كافرة حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إن الله لينصر الدولة الكافرة العادلة على الدولة المسلمة الظالمة» وهذا كله فى ضوء فهمهم لقول الله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذّكرون﴾**[2].

١١— نحن المسلمين نعتقد بمشروعية التدافع الإنسانى، ونؤمن بأن منهجية التدافع بين الناس القائمة على أساس التنافس، فى جلب

(١) الحجرات آية ١٣ .

(٢) النحل آية ٩٠ .

المصالح ودرء المفاسد، كفيلة بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعا، وتوفير الامن والاستقرار، وصرف الفساد عن الأرض، وهذا مؤكد فى قول الله تعالى: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾(١). . ومن جهة أخرى فإن التدافع بين الناس لجدير بحماية حرية الناس فى معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم، وهذا فى قوله تعالى: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا**﴾(٢). ومن مفاخر الفقه السياسى فى الإسلام، أن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد حيث أن مبناها يقوم على تحقيق أكمل المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين.

١٢— نحن أمة ألزمنا ربنا جل شأنه بمنهج الوسطية وحمّلنا أمانة الشهود الحضارى على الناس ومسؤولية تبليغ الهدى الربانى للناس كافة، حيث يقول الله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾(٣).

١٣— نحن المسلمين نعتقد ونؤمن بأننا شركاء مع غيرنا فى منهج الاستخلاف لعمارة الأرض ولسنا محتكرين لهذا المنهج، وأن غياب المسلمين أو تغييبهم عن المشاركة فى منهج الاستخلاف أو تجريد هذا المنهج من القيم الربانية، سيؤدى لامحالة إلى فساد الأرض ودمار حياة الناس عليها، وهذا مؤكد فى قول الله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**﴾(٤). . أوليس اندحار

(١) البقرة آية ٢٥١ .
(٢) الحج آية ٤٠ .
(٣) البقرة آية ١٤٣ .
(٤) محمد آية ٩-١٠ .

الشيوعية ومعسكرها الإلحادى الكبير دليلا قطعيا على هذا الذى يؤكده القرآن.

١٤— نحن المسلمين يقوم فهمنا لمنهج الاستخلاف فى عمارة الأرض، على خاصية التكامل الثقافى بين قيم الإسلام وأصوله ومقاصده الكلية فى تحقيق مصالح العباد.. وهذا التكامل اعتقادا وفهما والتزاما، هو الذى يميزنا عن غيرنا فى فهمنا لمنهج الاستخلاف فى عمارة الأرض، وهذه الخاصية هى التى تبوىء منهج المسلمين موقع الوسطية بين مناهج الأمم، وهى التى تؤهلهم لمهمة الشهود الحضارى على الناس فى مسيرة الاستخلاف.. وبشكل أدق فإن فهمنا لمنهج الاستخلاف يقوم على التكامل بين مرتكزين اثنين أولهما فى قوله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾**(١). وثانيهما فى قوله تعالى: **﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**(٢). وأن عمق وشمولية فهمنا، وصدق التزامنا لمرتكز «فاعلم..» وكفاءة اتقاننا وجدية ممارستنا، وارتقاء مهارتنا الإبداعية فى إطار مرتكز «فامشوا..» فى سياق من التكامل التام، هو الذى يستقيم به منهج الاستخلاف الأمثل لعمارة الارض، وأى خلل أو تخلف يصيب فهم الناس، والتزامهم وممارستهم فى تكامل مقومات هذا المنهج أو تعطيل لأحد مرتكزاته يكون سببا أساسا لتخلفهم، واندحار نتائج أفعالهم ومعطياتهم الحضارية، وتاريخ الأمم فى ماضيها وحاضرها، يضرب أمثلة على ذلك ويؤيده، والقرآن الكريم يحدثنا بما يصدق ذلك ويؤكده حيث يقول الله تعالى: **﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان**

---

(١) محمد آية ١٩.
(٢) الملك آية ١٥.

عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(١).

١٥— إن مباديء الإسلام وقيمه تعلمنا وتؤكد علينا، ألا نبخس الناس أشياءهم، وألا نحتقر كدحهم وجهدهم فى كل عمل بنّاء، يحقق الإعمار والإبداع الحضارى. . وتلزمنا تعاليم الإسلام احترام وتقدير كل عطاء خير فى ميادين القيم والسلوكيات وفى ميادين الماديات والوسائل والمهارات، يلتقى مع قيم وتوجيهات منهج الاستخلاف الربانى فى عمارة الأرض. . بل إن القرآن الكريم يعتبر احتقار سعى الناس وبخس مشيهم الايجابى الفعّال المثمر فى الأرض، من العبث والإفساد الذى يمقته الاسلام، وينهى عنه وهذا فى قوله تعالى: **﴿ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الأرض مفسدين﴾**(٢). .

١٦— إن حرية الأديان والاعتقاد، مكفولة ومصانة فى القوانين الدستورية، والقواعد التنظيمية القائمة على أساس ثوابت ومنطلقات منهج الإسلام فى الحكم، وإن الشريعة الإسلامية لا تحتكر القرار السياسى فى تحقيق المصالح، ودرء المفاسد لاتباعها دون غيرهم من أتباع الديانات الاخرى، فالجميع سواء فى حقوق المواطنة فى ظل أحكام الشريعة الإسلامية، كما أن ثوابت الشريعة لا تسمح بفرض المعتقدات الإسلامية على الآخرين بالإكراه والقوة، كما هو مقرر فى قول الله تعالى: **﴿لا إكراه في الدين﴾**(٣). بل إن الأحكام السلطانية الإسلامية، أعطت فى

---

(١) الروم آية ٩ .
(٢) الأعراف آية ٨٥ .
(٣) البقرة آية ٢٥٦ .

ظل سيادتها من الحقوق والاستقلالية الدينية لغير المسلمين مالم تكفله لهم الأحكام، أو التنظيمات البشرية قط لا فى ماضيها ولا فى حاضرها المعاصر، وإن واقع التاريخ الإسلامى يصدق ذلك ويؤكده فقد حكم الاسلام الهند لقرون عديدة، ومع ذلك بقى المسلمون هم الاقلية، هذا وإن أداء الحقوق وإقامة العدل بين الناس كل الناس على اختلاف أديانهم، وأجناسهم وقومياتهم وألوانهم وبرهم وفاجرهم، هو أساس مقاصد الشريعة الاسلامية وغاياتها العليا، وهذا بين مؤكد فى قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً**﴾(١).

١٧— إن الأمة الإسلامية مثلما أنها تختزن فى أرضها كما هائلا من الطاقة، تشكل مرتكزا اساسيا فى توازن المصالح العالمية، وتنوعا جغرافيا واقتصاديا وكما بشرياً له دوره الفعال فى الموازنات السياسية العالمية، فإنها تمتلك مخزونا أجلّ وأعظم أهمية، وأكثر نفعا للمسيرة الانسانية، مخزوناً فريداً من القيم والمبادىء، وثروة ضخمة من الفقه التشريعى، يسهل على الإنسانية مهمتها، ويختصر جهدها فى تحقيق آمالها فى انبعاث مشروع حضارى إنسانى معاصر، لذا فإن أى مشروع جاد لتحقيق نظام عالمى عادل، يبقى عاجزا عن تحقيق غايته المتزنة المجدية، مع غياب أو تغيب مشاركة ومساهمة الفعاليات العربية والإسلامية قيميا وماديا.

١٨— إن الإسلام مثلما وضع ثوابت ومنطلقات، وقدم قيماً ومبادىء كلية لضبط أدبيات ومقومات التعايش البشرى والتعارف الإنسانى، فإنه أيضا وضع ثوابت ومنطلقات، وقدم قواعد وأسسًا

---

(١) النساء آية ٥٨ .

لضبط حركة مصالح الناس، وقدم قيماً وأدبيات لإحكام سيولة تبادل المنافع بين المجتمعات، فى إطار التعايش والتعارف بينهم، حيث أقام علاقة دقيقة ومتزنة بين حق التملك وحق الانتفاع، على مستوى الافراد والمجتمعات وهذا ما يتضمنه قول رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام: **«الناس شركاء فى ثلاثة، الماء والكلأ والنار»**.

١٩ — إن القيم والمبادىء الإسلامية السالفة الذكر، ليست أحلاما وأماني، بل هى قيم موضوعية وواقعية، لم تكن قط مستعصية على ميادين الواقع والحقيقة، ولم تخل الارض يوما من واقع يمثلها ويترجم مقاصدها وغاياتها الحياتية، والتاريخ المنصف، والآثار المادية والثقافية الشاخصة هنا وهناك، تحدثنا عن الروائع الحضارية التى كانت بفضل شريعة الاسلام وقيمها وأدبياتها والواقع المعاصر اليوم ليشهد بأن المملكة العربية السعودية، هى النموذج الحى، الذى يجسد المعطيات الميدانية والتطبقية لمبادىء الاسلام وقيمه، حيث يمثل واقعها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى صرحا حضاريا متميزا بين الامم. . متميزا بأمنه واستقراره ومتميزاً فى رخائه وارتقائه، ومتميزا فى التوازن الدقيق بين الاصالة والمعاصرة، ومتميزاً فى العلاقة المتسقة بين خصوصياته الحضارية والتنوع الحضارى عند الغير، ومتميزاً فى وسطيته الثقافية والسياسية فى خضم التناقضات الثقافية والسياسية فى الأرض، ومتميزاً بمنهجية الحكمة والاعتدال التى بوأته موقع القبول والتقدير بين الكيانات السياسية فى العالم، لذا فإننا عندما نتحدث عن الإسلام وقيمه، لا نتحدث من فراغ، ولكننا نتحدث من حقائق تاريخية وعن واقع معاصر، يصدق ويؤكد جدية وفعالية القيم الإسلامية فى إقامة نظام عالمى عادل.

نظام عالمى عادل :

وبعد فإن المسلمين وفق هذا المنهج الربانى العادل، وموروثه القيمى والتشريعى، وفى ضوء قدراتهم المادية والسياسية، ليجدون أنفسهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم ومساهمتهم الإيجابية الفعالة فى معترك التدافع الإنسانى وميادين التنافس البشرى، لإقامة نظام عالمي عادل، ينهى حالة القلق والذعر التى تحيق بالناس، ويصرف أسباب الفساد عن الأرض، ويضع حداً لتدهور العلاقات الدولية فى أكثر من موقع، ويزيل عوامل الاضطراب والجشع والاصطراع السياسى والاقتصادى بين الامم، ويضبط حركة التدافع الانسانى، ويقيم موازين القسط للتعايش والتعاون البشرى، ويرتقى بمنهجية التبادل والتكامل الثقافى، بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة إنسانية آمنة مطمئنة، تنعم بالأمن والاستقرار والعدل والسلام، والمسلمون من أجل هذه المهمة الجليلة النبيلة، على استعداد لكل حوار بناء مع أى جهة معنية وفعالة شعبيا ورسميا، للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح. ونحسب أن هذا البحث يمثل خطوة على الطريق، نأمل أن تكون خطوة إيجابية، نتفهم من خلالها مسؤوليتنا أمام ربنا جل شأنه ومن ثم مسؤوليتنا تجاه أجيال الإنسانية الباحثة عن منقذ ومرشد. . وإنها والله لمسؤولية عظيمة تحتاج إلى أولى العزم والنهى، ممن أخلصوا نيتهم لله، وجعلوا كلمة الله هى العليا فى كل ما يقولون ويعملون، وفى هذا الصدد فإننى أذّكر بعبارة للرئيس الامريكى السابق (جورج بوش) وردت فى خطاب له عقب

حرب الخليج على أثر احتلال جيوش العراق للكويت حيث قال: «لقد أصبحت الحرب الآن خلفنا، وعلينا أن نواجه معركة السلام فهى المعركة الأخطر والأشد ضراوة» نعم والله.. إن معركة الأمن والسلام لمعركة خطيرة وضارية، وما تحتاجه الأمم والشعوب فى خنادقها، لأعظم وأجل مما تحتاجه فى خنادق الحرب والقتال. إلا أن الذى تحتاجه هنا لمختلف جدا، إنها تحتاج إلى الموضوعية والحكمة والتجرد، وتحتاج قبل ذلك إلى الاستعداد الصادق الجاد، فى إعادة النظر فى المناهج البشرية، لتنسجم مع فطرة الإنسان، ولتصطلح مع القيم والمبادىء الربانية، التى أرادها الله تعالى لعباده، ويوم يتوفر للمجتمع الدولى هذان الشرطان، يومئذ يكون مؤهلا لتحقيق نظام عالمى عادل، وهنا نؤكد بكل موضوعية وتجرد، أن أى مشروع دولى يطرح لتحقيق ذلك، سيبقى عاجزا عن تحقيق غاياته وأهدافه مع غياب الفعالية العربية والإسلامية، ومع غياب القيم والمبادىء الاسلامية... والآن وفى إطار ما تقدم من أسس ومنطلقات، وما أشير إليه من مقاصد وتوجهات إسلامية، يمكن القول بكل موضوعية و إنصاف:

١ — إن الناس جميعا يمتلكون أساسا من الخيرية التى فطر الله عليها عباده جميعا، وهذا يعنى أن العطاء الحضارى للمجتمع الدولى ليس شرا كله، فهو مائدة بشرية يؤخذ منها ويرد.

٢ — إن العالم اليوم يتربع على عرش حضارة مادية متفوقة، أبدع فيها الإنسان إبداعا بينا فى مجال تسخير الوسائل، وتطويع الطاقة المادية وتوظيفها، وبهذا يكون الناس قد أجادوا التعامل مع أحد مرتكزى منهج الاستخلاف الربانى فى الأرض.. مرتكز ﴿**فامشوا فى مناكبها**﴾ الآية..

٣ــ تواجه الحضارة الإنسانية اليوم خطر اندحار وانتكاسة تفوقها المادى، بسبب تعطيل المجتمع الدولى وحزبه الضروس للعامل الاساسي والأهم فى منهج الاستخلاف فى الأرض، مرتكز ﴿لا إله إلا الله﴾ ومقتضياته فى القيم والسلوك.

٤ــ إن المسؤولية الكبرى فى إنقاذ هذه التركة الحضارية المادية العالمية، يقع على عاتق العقلاء والحكماء من الناس على أساس من المبادىء والقيم الربانية التى يقدم المنهج الإسلامى ثوابتها ومنطلقاتها ويوضح أدبياتها وأخلاقياتها.. وذلك قبل ان يحيق بهذه الحضارة العظيمة عبث الاغتراب القيمى والاخلاقى للقائمين على مقاليدها، فيلتهمها الدمار والخراب، كما التهم بعضا منها بالامس فى الاتحاد السوفيتى السابق، لذا فعلينا جميعا، ان نبادر ونستعد للقيام بهذا الواجب قبل فوات الاوان، والا ستكون الخسارة الإنسانية عظيمة جدا، تصيب أهل الأرض جميعا، وهذا فى قول الله تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[1].. بعد هذا القول فى تقويمنا لحضارة المجتمع الانسانى لابد من التأكيد على جملة من المعانى والمبادىء:

أولا: لابد للمجتمع الدولى ان يفهم المسلمين على النحو التالى:

(أ) إننا أمة لها تاريخ حضارى عريق افرزته وصاغته مبادىءالاسلام وقيمه.

(ب) إننا أمة حملت مبادىء وقيماً لانحتكرها ولانحجبها عن غيرنا، فهى لخير الناس جميعا لانها من لدن ربهم وخالقهم سبحانه، وهذا فى

(١) الانفال آية ٢٥ .

قول الله تعالى على لسان رسوله محمد ﷺ ﴿يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾[1].

(ج) إننا أصحاب حضارة إنسانية متوازنة، كانت محضنا أمينا ومثريا لحضارات قديمة، ومرتكزا متينا لحضارات معاصرة.

(د) إننا أمة تعتقد وتؤمن بكل موضوعية، أنها جزء من المجتمع الإنسانى، لها إمكاناتها وقدراتها وقيمها التى يحتاجها المجتمع الدولى، لتصحيح وإثراء مقوماته الاجتماعية والأمنية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

(هـ) إننا نؤمن أن خير الناس لا يقوم إلا بالحوار الثقافى الجاد، والاستعداد المخلص لقبول الحق الذى لايتصادم مع فطرة الإنسان، ومتطلباته التكوينية الربانية.

(و) إننا أمة يؤكد منهجها الربانى، أن الإنسان والاعتناء بإنسانيته وفق مكوناته الفطرية، وعبر منهجية تربوية متوازنة، هو الاساس والمنطلق السليم لحياة إنسانية آمنة مستقرة.

ثانياً : لابد للمجتمع الدولى أن يصغى للأمة الإسلامية بكل جدية وموضوعية ليفهم نظريتها ويدرك معيار التعامل معها، ونحن على أعتاب قرن التواصل البشرى، وقرن التحاور الثقافى، وذلك عبر المعايير التالية :

(أ) نحن أمة مقبول عندنا ومفهوم لدينا كل الفهم، أن المكث والأناة، والحكمة والصبر، والمرونة والتدرج، قيم لابد من التحلى بها

---

(١) الاعراف آية ١٥٨ .

والتزامها، فى إطار التعايش البشرى ومعالجة قضاياه العامة.

(ب) مقبول لدينا ومفهوم فى منهجنا، أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأصغر، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن المصالح الجماعية مقدمة على المصالح الخاصة، من غير ظلم ولا اعتداء على مستوى الأفراد والشعوب والأمم، ونحن فى عصر اختصرت التكنولوجيا أبعاده، فتداخلت مصالح الشعوب والأمم تداخل المصلحة فى الاسرة الواحدة.

(ج) مقبول عندنا نحن المسلمين ومؤكد فى منهج الإسلام، مبدأ التعايش السلمى، فى إطار ضمان العدل وعدم الاعتداء على القيم والمعتقدات، وفى إطار التأكيد على أمن الشعوب، وحقها فى التملك وتقرير السيادة والمصير.

ثالثا: لابد أن يفهم الناس من حولنا وهم يتعاملون معنا ما يلى:

(أ) نحن المسلمين مرفوض عندنا كل الرفض، ومستهجن كل الاستهجان فى مبادىء التعايش والتواصل البشرى، وغريب كل الغربة عن مبادىء تحقيق طموحات الشعوب، فى الامن والاستقرار والسيادة، أن تطالب الشعوب بالتنازل عن قضاياها الاساسية، والمساومة على حياتها وحياة أجيالها المتعاقبة.

(ب) إنه لمرفوض عندنا ونحسبه كذلك عند عقلاء وحكماء الأرض، أن تطالب أمة أو شعب بتجاهل حقه فى الوجود والأمن وتقرير المصير، ليقوم وجود غيره وأمنه واستقراره، أليس من العجب العجاب أن يقام الأمن والسلام على حساب الامن والسلام.؟!!

ولكن لم العجب مع غياب العدل فى النظام الدولى الحالى؟!.

(ج) إنه لمستهجن وغير مقبول عندنا نحن المسلمين أن تحتكر جهات دولية لنفسها حق التحكم فى القرارات الدولية، من خلال ما أسموه صلاحية حق النقض «الفيتو» متجاهلة ومستهترة برأى المجموعة الدولية بأسرها، وما قيمة إصرار هذه الجهات فى التأكيد على الديمقراطيات الإقليمية، وهى تمعن فى انتهاك واغتيال الديمقراطية الدولية؟ وهل يبقى بعد ذلك من معنى أو مصداقية للتحدث عن نظام عالمى عادل، مع استمرار هذا النهج اللاحضارى فى التعامل بين المجتمعات الدولية المعاصرة؟ وبعد فإننا ندعو الناس جميعا، ونؤكد على أنفسنا ابتداءً، بأن نقيم تعاملنا على أساس ما تقدم من قيم ومبادىء ومثل ربانية، ندعو الزعامات السياسية فى العالم، لإعادة النظر فى منهجية العلاقات الدولية القائمة، وإعطاء الفرصة الجادة لحكماء وعقلاء الأمم من العلماء والمفكرين والمصلحين، لأداء مساهمة فعالة بهذه المهمة الحضارية العالمية، فهى مهمة ضخمة وصعبة لابد أن تتكامل فى أدائها كل الفعاليات البشرية المتنوعة، على أساس من القيم الانسانية الربانية السابقة الذكر، ليكون القرن القادم بحق قرن تواصل وتعايش وسلام، ولكى لا تعود آلة الحرب والدمار لتكون سيدة الموقف من جديد، وهذه مسؤولية نحمّلها العقلاء والحكماء والمفكرين من الناس جميعاً، وكذلك الهيئات الدولية الشعبية والرسمية. . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. .

الفصل الخامس:

- الإسلام والحضارات.
- في المجال العسكري.
- في المجال السياسي.
- في المجال الاقتصادي.

الفصل الخامس :

الإسلام .. والحضارات

الإسلام رسالة الله تعالى إلى الناس جميعاً . . بشر بها الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله جميعاً، عبر الزمان ومع تعاقب الأجيال البشرية، وذلك وفق مسميات ومضامين وافقت أحوال الناس وحاجاتهم وقضاياهم وطبيعة ومستوى العلاقات والمصالح المشتركة بينهم، حتى انتهى الأمر إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، وقد تنامت العلاقات البشرية، وازدادت حاجة الناس إلى بعضهم، وتداخلت مصالحهم الثقافية والاجتماعية والأمنية والاقتصادية، مما يستلزم وحدة المنهج وشمولية كفاءته، وعالمية قيمه ومبادئه وصيغ خطابه، وعموم موازين ومعايير عدالته، التي تطال الناس جميعاً على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم . . فكان منهج الإسلام الكامل وكان التأكيد الرباني على لسان رسول الإنسانية جمعاء في قوله تعالى: ﴿**ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**. .﴾[1] حيث اكتملت بما جاء به رسولنا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام رسالة الله سبحانه لعباده في الأرض كما هو في قوله تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام**

(١) الأعراف : ١٥٨.

دينا﴾[1] وكما هو واضح وبين في قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[2] وهكذا كان مقدم سيدنا محمد رسول الله ﷺ وانبعاثه بتمام رسالة الإسلام حدثاً عالمياً متميزاً في مضمون منهجه ومقاصده، فالإسلام منهج للناس جميعاً ومقاصده لخيرهم وفلاحهم، وخطابه لهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم.. فهو تحول حضاري شامل ينتقل بالناس من ضيق القوميات والأعراق والأجناس إلى سعة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها في إطار منهجية المجتمع الإنساني الواحد كما قال عليه الصلاة والسلام «**ياأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب**»[3] وفي إطار منهج التعاون بين الناس جميعاً متعارفين متعاونين على أساس من قيم ربهم ومباديء خالقهم جل شأنه إذ يقول: ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[4] فكانت حضارة الإسلام على أساس من ذلك حضارة الإنسان، حضارة القيم والمباديء مثلما هي حضارة الماديات والوسائل، على أساس من التوازن الدقيق التي رسمها لهم ربهم وخالقهم في منهجه الرباني، منهج الإستخلاف الرباني لعمارة الأرض منهج التوازن المحكم بين عالم الغيب وعالم الشهادة والتوازن المحكم بين الدعوة «للعلم» والدعوة «للكدح»، العلم بكل مقوماته العقدية

(١) المائدة: ٣.
(٢) رواه البخاري.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده.
(٤) الحجرات: ١٣.

والقيمية والبحثية «فاعلم أنه لا إله إلا الله»[1]، **﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾**[2]، والكدح والعمل بكل دوافعه وحوافزه ووسائله **﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**[3] ، **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[4]، **﴿وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه﴾**[5] فحضارة الإسلام بذلك جديرة بلقب «الإنسانية» فهي حضارة الإيمان والعلم والعمل، حضارة مقومات الإنسان السوي المتوازن الجدير بشرف التكليف الرباني لعمارة الأرض، والجدير بشرف مهمة الاستخلاف فيها. . فأي خلل ينتاب هذا التوازن الدقيق المحكم لمنهج الاستخلاف الرباني القائم على الإيمان والعلم والعمل، إنما هو خلل تضطرب معه وتنتكس به مسيرة الحضارة الإنسانية وتتعثر وتجهض جهود أجيالها وتنتقض ثمرات سعيهم وكدحهم. . والتاريخ يصدق ذلك ويؤيده والواقع المعاصر يشهد له ويؤكده والمحاجَّة العقلية والعلمية تثبت ذلك وتنتصر له. . أما التاريخ فقد تحدث القرآن عن قصص أقوام حرثوا الأرض وأثاروها وأتعبوا أنفسهم كدحاً وسعياً إلا أنهم بادوا وبادت معهم ثمرات كدحهم وسعيهم بسبب من غياب التوازن المطلوب بين الإيمان والعلم والعمل وذلك في قول الله تعالى: **﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**[6].

---

(١) محمد: ٩.
(٢) يونس: ١٠١.
(٣) الملك: ١٥.
(٤) التوبة: ١٠٥.
(٥) الجاثية: ١٣.
(٦) الروم: ٩.

وكما جاء في قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾(1).

وفي قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤون﴾(2).

وفي قوله تعالى: ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون * ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(3).

وفي قوله تعالى: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾(4).

وفي قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة

---

(1) سورة غافر: ٢١-٢٢

(2) غافر: ٨٢-٨٣.

(3) التوبة: ٦٩-٧٠.

(4) القصص: ٧٨.

الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وماكان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾[1].

وفي قوله تعالى : **﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون﴾**[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة **الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾**[3] وقوله : **﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم * أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾**[4].

هذا مايحكيه القصص القرآني التاريخي عمن اختل لديهم التوازن بين الإيمان والعلم والعمل.

أما الواقع المعاصر، فنسوق شهادته على لسان أبرز الزعامات السياسية ممن تربعوا على سيادة أكبر امبراطوريتين معاصرتين، ولنبدأ بشهادة زعيم الإمبراطورية التي تهدم صنمها وتحطمت عروشها وتناثرت أشلاؤها، وقد خبثت ثمرات كدحها الحضاري العابث وانكشفت عوراتها وفضحت حقيقة أمرها وبطل سحر قوتها الزائفة، فها هي تدخل بورصة المجاعة من أعرض أبوابها، وتمد يدها مستجدية لمن كان يهاب ترساناتها المرعبة المدمرة، فترد ذليلة مكسورة الخاطر، لتواجه ثورة الرغيف

---

(١) فاطر : ٤٤.

(٢) فصلت : ١٥-١٦.

(٣) محمد : ١٠.

(٤) محمد : ١٣-١٤.

تهدد مابقي من كيانها وتعصف بأطلال جدرها وحصونها المنهارة . .
حيث يقول الرئيس ميخائيل جورباتشوف زعيم الاتحاد السوفييتي البائد في كتابه الشهير «البيريسترويكا» مشيراً إلى أسباب الدمار التي تهدد كيان إمبراطوريتهم وما أشادته من صروح حضارية مادية على حساب القيم والمباديء وإنسانية الإنسان، محاولاً تدارك ذلك باعثاً صرخاته ولكن بعد فوات الأوان . . وإليكم نماذج مما يقول :

* «يمكن لصواريخنا أن تصل إلى مذنب هالي وتطير إلى الزهرة بدقة مذهلة، ولكن إلى جانب هذه الانتصارات العلمية والتكنولوجية نجد نقصاً واضحاً في الكفاءة في استخدام المنجزات العلمية للحاجات الاقتصادية، كما أن كثيراً من الأجهزة المنزلية السوفييتية من نوع رديء، ولسوء الحظ فليس هذا كل مافي الأمر، فقد بدأ تدهور تدريجي في القيم الأيدولوجية والمعنوية لقيمنا . . وبدأ يسري في الأخلاقيات العامة، وزاد إدمان الخمور والمخدرات والجرائم، وسنواصل بحزم النضال ضد السكر وإدمان الكحوليات» (ص١٨-١٩) .

* «فالعالم لا يعيش فحسب في جو التهديد النووي، وإنما في جو مشاكل اجتماعية هامة لم تحل وضغوط خلفها التقدم العلمي التكنولوجي وتفاقم المشاكل العالمية، وتواجه البشرية اليوم مشاكل لم يسبق لها مثيل، وسيبقى المستقبل محفوفاً بالخطر مالم نجد حلولاً مشتركة» (ص٨) .

* «لقد توصلنا إلى استنتاج أنه دون تنشيط العامل البشري، أي دون أن نأخذ في الإعتبار المصالح المختلفة للناس، وأسر العمل، والهيئات العامة والمجموعات الاجتماعية المختلفة، ودون أن نعتمد

عليهم، ونجذبهم إلى المشاركة في المساعي البناءة النشطة، فسيكون من المستحيل علينا أن نحقق أياً من المهام المرسومة أو نغير الوضع في البلاد» (ص ٢٧).

* «ومهمتنا الرئيسة اليوم هي أن نرفع من روح الفرد، ونحترم عالمه الداخلي ونعطيه قوة معنوية، ونحن نسعى لأن نجعل كل قدرات المجتمع الفكرية وكل امكاناته الثقافية تعمل من أجل تشكيل شخص نشط اجتماعياً وغني روحياً، ومستقيم وحي الضمير، وينبغي أن يعرف كل فرد ويشعر أن هناك حاجة إلى إسهامه، وأن كرامته لا تخدش، وأن يعامل بثقة واحترام، وعندما يرى الفرد كل ذلك فإن في مقدوره أن يحقق الكثير» (ص٢٩).

* «وتعني البيروسترويكا إيلاء الأولوية لتطوير المجال الاجتماعي بهدف التلبية الأفضل دائماً لاحتياجات الشعب السوفييتي لمعيشة وظروف عمل طيبة، لراحة واستجمام وتعليم ورعاية صحية طيبة، وهي تعني اهتماماً دائباً بالثروة الثقافية والروحية وبثقافة الفرد وثقافة المجتمع ككل» (ص٣٥).

* «ودفعنا الوضع الخاص في البلاد إلى قبول أشكال وأساليب للبناء الاشتراكي تتفق مع الظروف التاريخية، وقد جرى تجميد هذه الأشكال وتقديسها وتحولت إلى عقيدة جامدة، ومن ثم كانت هذه الصور العقيمة للاشتراكية، والمراكز المبالغ فيها في الإدارة، وإهمال التنوع الفني للمصالح البشرية، والتهوين من الدور النشط الذي يلعبه الناس في الحياة العامة واتجاهات المساواة الصريحة» (ص٤٩).

* «إن العامل البشري بمعناه الأوسع يشكل الأولوية الرئيسة

بالنسبة لنا، ونحن نلعب كل مافي وسعنا لكي يلعب دوره . . . ولكننا لن نحقق أي شيء مالم يتحسن المجتمع من خلال تعزيز القيم المعنوية للاشتراكية وفي المقام الأول، «العدالة الاجتماعية» (ص١٢١).

* «ولكن طيلة سنوات تاريخنا البطولي والمتألق عجزنا أن نولي اهتماماً لحقوق المرأة الخاصة. . واحتياجاتها الناشئة عن دورها كأم وربة منزل ووظيفتها التعليمية التي لا غنى عنها بالنسبة للأطفال. . إن المرأة إذ تعمل في مجال البحث العلمي. . وفي مواقع البناء. . وفي الإنتاج والخدمات. . وتشارك في النشاط الإبداعي. . لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية في المنزل- العمل المنزلي- وتربية الأطفال. . وإقامة جو أسري طيب، لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشاكلنا- في سلوك الأطفال والشباب. . وفي معنوياتنا. . وثقافتنا وفي الإنتاج تعود جزئياً إلى تدهور العلاقات الأسرية. . والموقف المتراخي من المسؤليات الأسرية. . وهذه نتيجة متناقضة لرغبتنا المخلصة والمبررة سياسياً لمساواة المرأة بالرجل في كل شيء. . والآن، في مجرى البيريستوريكا. . بدأنا نتغلب على هذا الوضع. . ولهذا السبب نجري الآن مناقشات حادة في الصحافة. . وفي المنظمات العامة. . وفي العمل والمنزل. . بخصوص مسألة مايجب أن نعمله لنسهل على المرأة العودة إلى رسالتها النسائية البحتة. . وهناك مشكلة هي استخدام المرأة في الوظائف الشاقة الضارة بصحتها. . وهذا هو تراث الحرب التي فقدنا فيها أعداداً ضخمة من الرجال. . والتي خلفت لنا نقصاً حاداً في اليد العاملة في كل مكان. . في كافة مجالات الإنتاج. لقد بدأنا الآن نعالج هذه المشكلة بشكل جاد. وإحدى المهام الإجتماعية والأكثر إلحاحاً بالنسبة لنا- وهي مهمة هامة كذلك في الحملة

ضد المسكرات- تتمثل في تحسين صحة الأسرة وتعزز دورها في المجتمع»- (ص١٣٨ , ١٣٩).

* «وقد يقول قائل بأن الفلاسفة ورجال الدين عبر التاريخ قد تناولوا أفكار القيم الإنسانية (الخالدة) حقاً لقد كان الأمر كذلك ولكنها كانت عندئذ (تأملات مدرسية) انتهت حتى صارت حلماً طوباوياً، وفي الثمانينات، ونحن نقترب من نهاية هذا القرن المثير، ينبغي أن تعترف البشرية بالضرورة الحيوية للقيم البشرية، وأولوياتها» (ص١٧٤).

* «إن عصب طريقة التفكير الجديدة، يتمثل في الاعتراف بأولوية القيم و لكي نكون أكثر دقة فإنّ الاهتمام بالقيم هو من أجل بقاء البشرية» (ص١٧٥).

* «وإنه لفي وضوح البلّور أنه في العالم الذي نعيش فيه، عالم الأسلحة النووية ستكون أي محاولة لاستخدام هذه الأسلحة في حل المشاكل السوفيتية الأمريكية، إنما تعني الانتحار، هذه حقيقة لست أعتقد أن الساسة الأمريكيين غافلون عنها، وفضلاً عن ذلك، فقد نشأ الآن وضع متناقض حقيقة، فحتى لو انهمك أحد البلدين في تعزيز الأسلحة باطراد بينما لم يفعل الآخر شيئاً، فإن الجانب الذي يسلح نفسه لن يكسب مع ذلك شيئاً، فقد يفجر الجانب الأضعف ببساطة كل شحناته النووية، ولو فوق أراضيه، وهذا يعني الانتحار بالنسبة له والموت البطيء بالنسبة للعدو. ولهذا السبب فإن أي مسعى للتفوق العسكري يعني أن يدور المرء في حلقة مفرغة، ولا يمكن استخدام ذلك في السياسة الواقعية» (ص٢٦٥).

* «إن الجانب الأكبر من الأسلحة النووية يتركز لدى الاتحاد

السوفييتي والولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه فإن عشرة في المئة أو حتى واحد في المئة من امكاناتها كاف لإنزال أضرار لا يمكن إصلاحها بكوكبنا وبكل الحضارة البشرية» (ص٢٧٢).

وأمام هذا الخلل الرهيب الذي يتحدث عنه جورباتشوف، يحاول أن يستدرك ويتعقل ويتعامل بموضوعية مع الواقع المؤلم والخطير الذي وصلت إليه بلاده والعالم أجمع فينذر الناس ويحذرهم بأنه ليس أمامهم إلا الارتقاء إلى مستوى المسؤولية الجماعية التي تحول دون الغرق والهلاك الذي يهدد الجميع فيقول (ورغم كافة متناقضات عالم اليوم، ورغم كل تنوع الأنظمة الاجتماعية والسياسية به، ورغم كافة الخيارات المختلفة التي قامت بها البلدان في مختلف الأزمنة، فإن هذا العالم يعتبر مع ذلك كلاً واحداً، ونحن جميعاً ركاب على ظهر سفينة واحدة، هي الأرض، وعلينا ألا نسمح بأن تغرق، فلن تكون هناك سفينة نوح ثانية.

ينبغي للسياسة أن تستند إلى الحقائق الأكثر هولاً في عالم اليوم وهي الترسانات العسكرية الضخمة» (ص٩ البيروستوريكا.

ثم يطرح برنامجاً متكاملاً للنظام العالمي من أجل التصحيح والإنقاذ يقول فيه «نحن نرى المباديء السياسية لهذا النظام كما يلي:

١- في المجال العسكري:

(أ) تخلي الدول النووية عن الحرب- سواء كانت نووية أم تقليدية- ضد بعضها البعض أو ضد بلدان ثانية.

(ب) تجنب سباق التسلح في الفضاء الخارجي، ووقف كافة تجارب الأسلحة النووية والتدمير الكامل لهذه الأسلحة،

وحظر إنتاج الأسلحة الكيماوية وتدميرها، والتخلي عن تطوير وسائل الإبادة الشاملة الأخرى.

(ج) التخفيض الحاد تحت رقابة صارمة لمستوى القدرات العسكرية للبلدان إلى حدود الكفاية المعقولة.

(د) حل الأحلاف العسكرية، وكخطوة تحت ذلك يجب التخلي عن توسيعها أو تشكيل أحلاف جديدة.

(هـ) التخفيض المتوازن والنسبي للميزانيات العسكرية.

٢- في المجال السياسي:

(أ) الاحترام الصارم في الممارسة الدولية لحق كل شعب في اختيار طرق وأشكال تطوره المستقبلي.

(ب) التسوية السياسية العادلة للأزمات الدولية والنزاعات الإقليمية.

(ج) اتخاذ عدد من التدابير الهادفة إلى بناء الثقة بين الدول ووضع ضمانات فعالة ضد الهجوم من الخارج ومن أجل ضمان حرمة حدودها.

(د) تقرير أساليب فعالة لمنع الإرهاب الدولي، بما في ذلك الأساليب التي تضمن أمن المواصلات البرية والجوية والبحرية والدولية.

٣- في المجال الاقتصادي :

(أ) استبعاد كافة أشكال التمييز في الممارسة الدولية ونبذ سياسة الحصار الاقتصادي والعقوبات الاقتصادية إذا لم تكن قد اتخذت بشكل مباشر بناء على توصية من المجتمع الدولي.

(ب) البحث المشترك للبحث عن طرق للتسوية العادلة لمشكلة الديون.

(ج) إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يكفل الأمن الاقتصادي المتكافيء لجميع الدول.

(د) وضع المباديء اللازمة لاستخدام جزء من الأموال التي توفرت نتيجة لتخفيض الميزانيات العسكرية من أجل خير المجتمع العالمي، والبلدان النامية في المقام الأول.

(هـ) تعبئة الجهود من أجل استكشافات الفضاء واستخدامه سلمياً ومن أجل حل المشاكل العالمية التي تتوقف عليها مصائر الحضارة.

٤- في المجال الإنساني :

(أ) التعاون في نشر أفكار السلام ونزع السلاح والأمن الدولي وزيادة تدفق المعلومات الموضوعية العامة وتوسيع الاتصالات بين الشعوب بهدف التعرف على بعضها بعضاً، وتعزيز روح التفاهم المتبادل والوفاق في العلاقات بينها.

(ب) نبذ جميع أشكال إبادة الجنس والتفرقة العنصرية والدفاع عن الفاشية وأي شكل آخر من أشكال التمييز العرقي أو القومي أو الديني وكذلك التمييز ضد الناس على هذا الأساس.

(ج) توسيع التعاون الدولي في تنفيذ حقوق الإنسان السياسية والاجتماعية والشخصية في ظل احترام قوانين كل بلد.

(د) حل المسائل المتعلقة بإعادة توحيد الأسر والزواج وتطوير الاتصالات بين الشعوب والمنظمات بروح إنسانية وإيجابية.

(هـ) تعزيز الأشكال القائمة للتعاون في الثقافة والفنون والعلوم والطب والبحث عن أشكال جديدة في هذا التعاون باعتباره المبدأ العالمي للعلاقات بين الدول (ص٢٨٠, ٢٨١). (انتهت أقوال جورباتشوف).

ونتابع تقديم شهادة الواقع المعاصر على اختلال العلاقة الدقيقة بين مقومات الحضارة الحقة، اختلال العلاقة بين الإيمان والعلم والعمل فبعد أن استعرضنا مقاطع مختارة من شهادة الرئيس جورباتشوف رئيس الجدار الحضاري المنقض المنهار، نستعرض في مايلي مختارات من شهادة الرئيس رتشارد نكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية الجدار الذي يريد أن ينقض، إذا لم تتداركه قيادته قبل فوات الأوان أو تتداركه العناية الربانية بالهداية والرشد وإليكم بعض ما اخترناه من كتابه الشهير الفرصة التاريخية أو (الفرصة السانحة) حيث يقول:

* «إن الولايات المتحدة سوف تخسر تفوقها الاقتصادي والتكنولوجي إذ فشلت في القيام بأداء أفضل في مجال إعداد الشباب الأمريكيين للواجبات التي تنتظرهم بمناسبة الانتقال من الاقتصاد

الصناعي إلى اقتصاد التكنولوجيا الراقية. إن أكثر من ٢٥٪ من الأمريكيين لا يتخرجون من المدارس الثانوية، والعديد من أولئك الذين يتخرجون منها تنقصهم المهارات الأساسية التي يحتاجها المجتمع الحديث. وفيما يتعلق بالمواد الهامة كالرياضيات والعلوم نجد أن شبابنا يأتون وراء طلاب جميع البلاد الصناعية. صحيح أن بعض مدارسنا العامة تقدم أداء جيداً غير أن الكثير منها أقل فاعلية من المدارس في عديد من بلاد العالم المختلفة. إن معظم برامج المدارس أصبحت هينة إلى درجة أن الطلاب لم يعودوا يشعرون بحاجة إلى العمل الصارم ولذلك نجد أن ثلثي طلاب المدارس الثانوية يقضون ساعة واحدة أو أقل في إعداد دروسهم في المنزل بقراءة عشرة أسطر أو أقل من ذلك ومن ثم يشاهدون على مدى يزيد عن ثلاث ساعات كل يوم برامج التلفزيون المبلدة للذهن».

* «إن أمريكا تتحرك الآن باتجاه لولبي نازل نحو الأمية العلمية والتكنولوجيا، ليس لأن الأمريكيين فقدوا أهليتهم للعلوم، بل لأن نوع المعرفة التي يعطونها قد تخطاها الزمن، نحن ننشيء جيلاً جديداً سواء في الأكواخ الفقيرة بداخل المدن أم في الطبقات الاجتماعية الوسطى والعليا في الضواحي يمكن أن يطلق عليه اسم جيل الـ (mtv) إن الجهل المذهل للكثيرين من أبناء هذا الجيل ناجم ليس عن قلة ذكاء الشباب بل عن أن ذكائهم لا يستغل. إنهم يعيشون في عالم الموسيقى الصاخبة التي تطلق في ضجيج يثقب السمع والتلفزيون الذي يعرض صوراً على الشاشة بسرعة لا يكاد يتبعها النظر ومشاهد متتابعة تثير الجنس. ولقد طبعت الشعارات على القمصان بعد أن كانت تلصق على مصدّ السيارة

ولكنها بقيت خالية من أي مضمون» (ص٢٥٩).

* «إن فكرة الحقوق بحكم الولادة هي السبب الرئيسي في انحطاط المجتمع الأمريكي. ويحاول أنصار المساواة فرض هذه الفكرة على الولايات المتحدة مع فارق بسيط هو أنهم يطبقونها من أسفل إلى الأعلى على خلاف طريقة النبلاء الذين يفرضونها من الأعلى إلى الأسفل» (ص٢٦٧).

* إن أمريكا في مشاكل داخلية عسيرة وبسبب هذه المشاكل لم تصل إلى المكانة التي يجب أن تكون فيها. علينا أن نغتنم فرصة انتصار الحرية في الخارج حتى نجعل من أمريكا مجتمعاً ليس غنياً فحسب بل وفاضلاً أيضاً. إن أغنى دولة في العالم لا يمكن أن يكون لها أكبر معدل إنفاق سنوي للفرد الواحد على الرعاية الصحية ويكون فيها في الوقت نفسه (٣٨) مليوناً من سكانها لا يحصلون على الرعاية الصحية المناسبة لأنهم غير قادرين على دفع تكاليفها. إن أغنى دولة في العالم لا يمكن أن تقبل أن يكون استهلاكها للمخدرات متساوياً تقريباً لاستهلاك دول العالم مجتمعة على الرغم من أن عدد سكانها لا يتجاوز جزءاً من عشرين من سكان العالم. إن أغنى دول العالم لا يمكن أن يكون لها أعلى معدل لارتكاب الجريمة في العالم وأن يموت في أمريكا قتلاً أثناء فترة حرب الخليج عشرون ضعف الأمريكيين الذين قضوا في هذه الحرب» (ص٢٦٧).

* إن أغنى دولة في العالم لا يمكن أن تقبل أن يكون فيها طبقة من الأشرار التي تجعل مدننا الكبيرة غير آمنة إلى درجة أن الحياة فيها صارت لا تطاق. إن معالجة هذه المشاكل لا تحتاج إلى أفكار جديدة بل إلى تجديد

إيماننا بالمبادىء التي جعلتنا في الحالة التي نحن عليها. ومنذ البداية ضمت هذه البلاد أناساً من جميع أركان العالم مكنتهم من استغلال طاقاتهم بالكامل لأنها كانت تقوم على أساس متين من الحرية الفردية والمساواة أمام القانون وإتاحة الفرص المتساوية أمام الجميع. وإذا كنا جادين وواقعيين في معالجتنا لحاجات المجتمع الداخلية الرئيسة فإن علينا أن نميز بين أمرين: إن أخطر مشاكلنا الاجتماعية «الجريمة والمخدرات والاعتماد على غيرنا والتعليم» تدور حول قيم المواقف والسلوك. إن هذه الأمور لا تتوقف على الدولارات، والبرامج الموضوعة لمعالجتها والتي تحسب بالدولارات غالباً لا تؤدي إلى أي نتيجة. الحاجة تدعو ليس إلا الدولارات بقدر ماتدعو إلى توجيه مجموعة من القيم والقواعد التي يقبلها المجتمع ويفرضها على نفسه» (ص٢٦٨).

* «وعلى جبهة أخرى سوف لا يتحقق لنا الفوز في مكافحة المخدرات إن لم نحول التركيز في جهودنا من ساحة العرض في أركان قصية من العالم إلى ساحة الطلب في داخل بلادنا. ليس هنالك من سبيل مضمون لإغلاق حدودنا في وجه المهربين. ولاحظنا أنه مع ارتفاع أرقام ميزانية مكافحة المخدرات انخفاض سعرها في الاستهلاك وذلك لأن تجار المخدرات يستنبطون أساليب شيطانية لاختراق دفاعاتنا. سوف لا يتحقق الفوز في هذه المعركة إلا إذا انخفض الطلب على المخدرات لتأثير مضاعفة العقوبات، والتربية، والمعالجة، والأهم من كل هذا التغير الراديكالي في القيم- وإذا لم نعلم أولادنا مبكراً النتائج المدمرة لاستعمال المخدرات، ومالم نعكس التسامح وإلقاء الضوء الباهر على استعمال المخدرات في السينما والمجالات الترفيهية الأخرى فإننا لن

نكسب الحرب ضدها. ومالم نستصدر قوانين صارمة لاستعمال الأسلحة فإنه لن ننجح أبداً في قطع دابر العنف الذي تسببه تجارة المخدرات» (ص٢٦٩، ٢٧٠).

* «إن محاربة عصابات الأشرار في المدن لها دور مركزي في معالجة مشاكلنا الاجتماعية كلها. إنها المسؤولة الأولى عن جرائم العنف. وهي تستنزف موارد الدولة والحكومة المحلية ومؤسسات الخدمة الاجتماعية، إنها تخرب المدارس وتمثل جزءاً كبيراً ضائعاً من الجهد الإنساني: إن الملايين ممن يسكنون الأكواخ يمكن أن يكونوا أعضاء منتجين في المجتمع متعاونين في عملية المنافسة الكبرى التي تقوى بها الأمة ويساهمون في بناء سمعتها كمكان عظيم للفرص المتاحة، ولأجل إنقاذ أفراد هذه العصابات لابد من حملهم على تغيير سلوكهم. إنهم لا يعانون من الفقر المادي بقدر مايعانون من الفقر في السلوك والعادات: فهم يعيشون في دائرة مغلقة من الخطيئة، الأسر المحطمة، العزوف عن العمل، والاعتماد على الغير. لقد ساهمنا في ولادة هذه الطبقة الواسعة الضارة بانتهاجنا سياسات لا تعترف بمسؤولية الفرد عن حاله وعن نتائج أعماله» (ص٢٧).

* «من أجل وقف هذا التدهور علينا أن نتحرك في ستة مجالات:

١- علينا أن نصلح مهنة التدريس، وعلى برامج المدارس التي تخرج المدرسين أن تركز اهتماماً على مواد التدريس أكثر مما تركزه على نظريات التدريس نفسها، فالمدرسون في البرامج الحالية يعلمون كيف أن عليهم أن يدرسوا طلابهم على حساب المواد العلمية التي سيلقنونها لطلابهم، ومن الطبيعي أن المدرس الذي لايتقن المادة العلمية التي

يدرسها لن يكون قادراً على تدريس تلك المادة بفاعلية كما لن يكون قادراً على إثارة حماسة طلابه لها.

٢- علينا أيضاً أن نرفع مستوى المدارس، إن انخفاض مستوى المدارس قوض مؤسسات التعليم التي تعاني من تضخم في الجهاز والترقية على أساس الأقدمية بدلاً من معيار الكفاءة، كما أنه يجب حث الطلاب على بذل أقصى جهودهم في الدراسة للنجاح بتفوق والملاحظ حالياً أنه لا يفعل ذلك منهم إلا القلة التي تنوي مواصلة الدراسة في إحدى جامعات الدرجة الأولى.

٣- وعلينا أيضاً أن نركز على الحوافز. فالأطفال يولدون وبهم رغبة شديدة في المعرفة. فكل طفل يسأل أبويه (لماذا) حتى ليسأمان كثرة الأسئلة. ولكن في معظم الأحوال تفشل عملية نقل هذه الرغبة في المعرفة إلى ميادين العلوم والرياضيات والتاريخ واللغات، وبدلاً من أن تشدهم عملية التعليم إلى التشوق للتعرف على أسرار هذه العلوم تدفعهم إلى التهرب منها ولا يستوعبون إلا ماهم مكرهون عليه، والإكراه على تعلم شيء يتسبب في زيادة تهرب الطلاب منه، وعلينا أن نزيد من جهدنا داخل قاعة التدريس وخارجها لجذب انتباههم وتوجيههم نحو المحبة للعلم وبخاصة خلال هذه السنوات الحاسمة التي تتكون فيها عادات الإنسان التي تبقى معه طيلة عمره. ويجب علينا أن نوقظ لديهم حب التعلم ومعرفة أسرار المواد التي يتلقونها وأن نكشف لهم الآفاق المثيرة لتاريخ العلوم وغيرها، فإذا مانشأت لديهم الرغبة في التعلم فإنهم لا شك سوف يتعلمون.

٤- علينا أن نكسر احتكار التعليم الذي تمارسه حالياً المدارس

العامة وأن ندخل إلى المهنة عناصر جديدة منافسة حتى نرتفع بمستوى التعليم. إنني من أنصار المدارس العامة وقد درست فيها إلى أن انتقلت إلى الجامعة وزوجتي كانت مدرسة في مدرسة عامة ممتازة ولكن الفرق في الوقت الحاضر بين أداء المدارس العامة والمدارس الخاصة صار لا يطاق. فالطلاب المتخرجون من المدارس العامة يكون مستواهم أدنى بكثير من مستوى أولئك المتخرجين من المدارس الخاصة. وكثير من المدارس العامة يثقلها عدد الموظفين وتعاني من بيروقراطية إدارية همها احتكار الأموال بدلاً من الاهتمام بمستوى أدائها. قالت مجلة الأيكونومست في إحدى مقالاتها «إن المدارس العامة في نيويورك تستخدم من الموظفين عدداً يساوي عشرة أضعاف ماتستخدمه المدارس الخاصة فيها» إن المدارس الخاصة تجهد لإرضاء زبائنها- الطلاب وأولياء أمرهم- عن طريق تقديم خدمات ممتازة لأنها تعلم أنها في عالم تنافس وإن لم تفعل ذلك فلن تتمكن من الاستمرار ومن أجل تحسين مستوى المدارس العامة علينا أن نخضعها لنفس الضغوط التنافسية التي جعلت مدارسنا الخاصة يحسدها الجميع. يجب جمع الأموال التي تنفقها كل ولاية على التعليم في صندوق واحد ثم توزع هذه الأموال على أولياء الطلاب بقسائم متساوية للمدارس يمكنهم استخدامها في تسديد رسوم التعليم سواء للمدارس الخاصة أو المدارس العامة. إن هذا النظام الذي يسمى (الاختيار) نجح في تحسين وضع بعض المدارس ورفع مستوى النجاح فيها من ٥٠٪ إلى ٩٠٪ ذلك أن أولياء الطلاب، عندما يمنحون حق الاختيار، يكونون أكثر اهتماما بالمدارس وبتعليم أبنائهم، وإذا ماتحمل الطلاب مسؤولية مستقبلهم فإنهم يظهرون عناية أكبر في إعداد أنفسهم

في حاضرهم. إن الإختيار يخلق الضغط التنافسي الذي يكسر تسلط البيروقراطية ويجبر المدارس العامة على إعادة تنظيم ذاتها لتلحق بمستوى المدارس الخاصة. ونحن إن لم نتحرك الآن بحزم فسوف نخسر معركة إصلاح التعليم.

٥- علينا أن نتخلص من أسطورة أن جميع الشباب يجب أن يدرسوا في الجامعة وأن ننشيء نظام تعليم مواز يقوم على التدريب الصناعي الحديث بدلاً من قاعة المحاضرات في الجامعة. واليوم نجد العديد من الطلاب غير المؤهلين للدراسة في الجامعة يمضون أربعة أعوام على مقاعد الجامعة دون نتيجة تذكر وكم كان الأولى بهم بدلاً من أن يضيعوا هذه السنين في محاولة تحصيل علوم لا تثير اهتمامهم أن يتعلموا فيها فنون مهنة أو صنعة تناسبهم تستوعب أكبر عدد من الطلاب بصرف النظر عن مستوى أهليتهم الأمر الذي أدى إلى بروز ظاهرة (تضخم حملة الشهادات) وأجبر الطلاب الأكفاء على قضاء سنوات إضافية في الدراسة للحصول على شهادات أعلى. أما الطلاب الضعفاء فيجدون أنفسهم مضطرين عندما يجدون عملاً، إلى قضاء مدة تدريب حتى يكتسبوا المهارات اللازمة لأداء واجباتهم. إن تمكين جميع الطلاب من دخول الجامعة أمر جميل بالنظرة المجردة. ولكن بالنسبة لكثير من الشباب يبدو التدريب في موقع العمل أكثر جاذبية ونفعاً ومناسبة. وعلينا أن نعترف بأن نجاراً ماهراً هو أكثر نفعاً للمجتمع من محام فاشل.

٦- علينا أن نطلب المزيد من جامعاتنا. وفي السنوات العشر الأخيرة لوحظ أن هناك اتفاقاً غير مكتوب بين الأساتذة الذين لا يهتمون بالتدريس والطلاب الكسالى. فالكليات- الخاصة في الجامعات

الممتازة- تضع الأبحاث في رأس أولوياتها ولذلك فإنها تعتمد على عدد الأبحاث والكتب التي ينشرها الأستاذ أكثر مما تعتمد على نتيجة الجهد الذي يبذله الأستاذ في تدريس الطلاب. لذلك ومن أجل أن يتوفر لهم وقت أطول للبحوث يخفض الأساتذة المستوى ويرتاح الطلاب، في معظم الأحوال لذلك. أما النتيجة فتكون الظاهرة المتناقضة في انخفاض مستوى تعلم المتخرجين يواكبه تضخم في عدد المتخرجين شبيه بالتضخم النقدي» (ص٢٥٩، ٢٦٢).

أما في كتابه ١٩٩٩ نصر بلا حرب يقول الرئيس نيكسون :

* «وفي القرن الحادي والعشرين سيقوم الإنسان بإعادة تشكيل العالم، وعلينا أن نضطلع بدور محوري في هذا المشروع العظيم، فمن الناحية المادية، سنقوم بإعادة تشكيل العالم بفضل تفجير المبتدعات التكنولوجية، وعلينا أن نحاول إعادة تشكيل العالم سياسياً من خلال استراتيجية تستهدف تحقيق سلام حقيقي، وفي الوقت نفسه ينبغي ألا يغيب عنا التصدي لقضية البعد الروحي في الإنسان» (ص ٣٢٥) من كتاب نصر بلا حرب.

* «وعلينا ونحن نغير العالم المادي أن نجتهد في إعادة تشكيل العالم سياسياً، ففي القرن العشرين خطا تقدمنا التكنولوجي خطوات أبعد من تقدمنا السياسي، وهو أمر ينبغي ألا ندعه يحدث في القرن المقبل، لأن تقدمنا المادي قد وصل إلى النقطة التي إن تعذر فيها اقترانه بتقدّم سياسي، فقد يفضي ذلك إلى دمار شامل، وإذا أردنا أن نبلغ في تقدمنا المادي الحد الأقصى في القرن الحادي والعشرين- لا لمصلحتنا وحدنا وحسب، بل لمصلحة الإنسانية جمعاء- فعلينا أن نلتمس الأسباب

الكفيلة باقتران فتوحاتنا العلمية بمزيد من التقدم السياسي، مما يقلل من فرص نشوب الحرب، ويزيد من المشاركة في خيرات السلام» (ص٣٢٧، ٣٢٨) نصر بلا حرب.

* «ولا يسع قوة السيف في موسكو أن تهزم قوة الروح في الغرب، ذات يوم تساءل ستالين ساخراً ومزدرياً قوة الكنيسة في التأثير في أحداث العالم فقال: كم عدد الفرق تحت قيادة البابا، إن هذا التعليق دليل على عجزه عن فهم العالم وما الذي يحركه، فالتاريخ في خاتمة المطاف تقرره الأفكار لا الأسلحة، وهذا يصدق بصورة خاصة عندما يتسلح الساسة- الذين يعرفون الدنيا وكيف تعمل- بمباديء قوية» (ص٣٣١ نصر بلا حرب).

* لقد نهض بتأسيس أمريكا أفراد كانوا ينشدون الحرية الدينية، وأرادوا أن يكون لهم حق عبادة الله، بطريقتهم الخاصة، وأن يبحثوا عن معنى للحياة حسب شروطهم الخاصة، وعلينا ألا نغفل عن هذا المبدأ الموحي من مبادىء بلادنا، وعلينا ألا نسمح لمنافستنا مع موسكو بأن تنحدر فتصبح سباقاً بين الطرفين على أيهما يستطيع إنتاج أكبر عدد من القنابل، وأطول العمارات، وأعلى معدل للدخل الفردي من الناتج القومي الإجمالي، فإن كانت الثروة المادية هي هدفنا الوحيد، فإننا لم نختلف في شيء عن الشيوعيين» (ص٣٣٢) نصر بلا حرب.

* «منذ بدء الحضارة والبحث عن معنى للحياة يطرد ويستمر ولن ينتهي أبداً، لأن الجواب الشافي النهائي يفلت منا دائماً، ولكن الأهمية الحيوية بمكان أن ننشغل بالبحث، لأننا بهذا نهيء لأنفسنا حياة أفضل وأعمر، ويعتقد البعض أن الجواب الشافي يوجد في أمهات الكتب

(الكلاسيكيات) في حين يبحث عنه غيرهم في الدين، ولنا أن نستوثق من هذه الحقيقة وهي أن معنى الحياة لا يمكن أن يوجد في المادية المجردة» (ص٣٣٤) نصربلا حرب.

* أما جيمس بيكر وزير الخارجية الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية فيؤكد على القيم معتبراً أنّ تدهور القيم الاجتماعية سببٌ لارتفاع الفساد الانفجاري في أمريكا كما جاء ذلك في مقالة له «أزمة القيم تكلفنا باهظاً». نشرتها جريدة الشرق الأوسط في عددها (٥٧٣٠) بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٩٩٤م بترخيص من خدمة «لوس إنجلوس تايمس» والذي نختار منه الفقرات التالية:

- إن ٧٣٪ من الأمريكيين قلقون من أن الأمة تعاني من انحدار أخلاقي، وهم على حق في قلقهم هذا.

- ويعلل ذلك بقوله: « قد تكون تجليات أزمة القيم في أمريكا تجليات معقدة، ولكن سببها واضح، إنها تجسد الفكرة القائلة بأن امرأً ما آخر هو المسؤول عن أفعالنا، ويعكس هذا التفسير رفضنا للمسؤولية الشخصية، وثمن رفض المسؤولية الشخصية هو ثمن باهظ، فحسب بعض التقديرات تكلف الجريمة وحدها الاقتصاد الأمريكي أكثر من ٦٠٠ بليون دولار سنوياً، وتضيف إساءة استخدام الثروة والفساد بلايين أخرى لا تحصى، لكن الثمن الإنساني الذي يدفع موتاً وتدميراً لحياة الإنسان وآمالاً محبطة هو أغلى بكثير، ويقع بتفاوت مرير على قلة حصانتنا».

- ثم يؤكد بكل حرارة: «إن أزمة القيم في أمريكا أزمة عامة، ولا تستطيع معالجة منفردة أن تنكب على دراستها، ويمكن للسياسة

العامة. . بل يجب عليها حقاً أن تفعل مابوسعها من أجل ذلك، ويتوجب هذا أيضاً على أفعال المجتمع والأفراد».

-ويربط أزمة القيم في أمريكا بأسباب منها: «إن أزمة القيم الراهنة تعود إلى الستينات حيث بدأت النسبية الثقافية والإباحية الأخلاقية والاستعداد لإلقاء اللوم على المجتمع فيما يتعلق بسلوك الفرد بدأت بصياغته فكرة النخبة والتقليل من شأن المسؤولية الشخصية، ومنذ تلك السنوات كان هناك أولئك الذين ميّزوا تلك النزعات والاتجاهات ودعوا إلى إجراء معالجة، وقد أدين أولئك النقاد الذين كانوا محافظين عادة بما أسماه الليبراليون تعصبهم وإثارتهم للمخاوف دونما مبرر، وقبل كل شيء الافتقار إلى الحنو» إلى أن يقول: «لقد بدأت أمريكا تجربتها المشؤومة في الإباحية الاجتماعية قبل ثلاثين عاماً، وقد يتطلب نقد هذه العملية ثلاثة عقود أخرى».

ويختتم جيمس بيكر مقاله المطوّل بقوله: «وختاماً فإن محاولات الهروب من الأزمة الأخلاقية التي تواجد أمريكا ستكون مع ذلك محاولات لا طائل من ورائها، فالتدهور الإجتماعي يدخل عنوة إلى شوارعنا ومدارسنا وشاشات تلفزيوناتنا، فتبقى التعهدات من قبل الأفراد الأمريكيين أمراً حاسماً، ويجب أن يكون ذلك موضوعاً على أوسع جبهة ممكنة كالتجمعات المحلية المشتركة، والمجموعات الكنائسية، والمنظمات المدنية، والميدان السياسي الواسع».

- ويؤكد بيكر على المسؤولية الشخصية في ارتقاء الأمم وقوتها حيث يقول: «إن المسؤولية الشخصية هي ماجعلنا شعباً قوياً، أما الاستمرار في أزمة القيم فسيحولنا إلى شعب ضعيف».

* أما الرئيس بل كلينتون الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية، فقد قال في مناسبة قريبة هذا العام ١٩٩٤م بمناسبة احتفائه بممثلين للهنود الحمر «لم يكن تاريخ أمريكا كله مجيداً، وإذا كان من المستحيل تعديل التاريخ، فإن الهمم ينبغي أن تتركز على إرواء الحاضر والمستقبل برؤى وعلاقات ذات مصداقية عالية ونبل عظيم» (جريدة الشرق الأوسط- العدد ٥٦٨١ تاريخ ١٨/ ٦/ ١٩٩٤م-) في مقالة للمفكر الإسلامي الدكتور زين العابدين الركابي.

وبعد ماهو تعليقنا نحن المسلمين على ماسبق ذكره على لسان كل من الرئيس جورباتشوف والرئيس نيكسون وجيمس بيكر وغيرهم من اعترافات واضحة عن اختلال موازين ومعايير السير الحضاري في بلدانهم ودعوة كل منهم الناس في بلدانهم والعالم للعودة إلى القيم الروحية والتعامل بجدية مع العالم الداخلي للإنسان، وإيقاظ نوازع الخير فيه وإحياء ضميره بالقيم والمباديء التي تعيده إلى توازنه وانضباطه الأخلاقي والسلوكي.. وتضعه أمام مسؤولياته الجادة تجاه مصالح بلاده وأمنها واستقرارها وتجاه مصالح العالم وأمنه وسلامه.. إن تعليقنا على ذلك كله هو.. إننا نحن المسلمين على أساس من تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه نطرب ونسعد لكل كلمة مسؤولة وموقف مسؤول ونرحب بذلك ونمد يدنا بكل صدق وإخلاص للتعاون مع كل مايصحح مسار البشرية وينقذ حضارتها التي هي ثمرة جهود أجيالها وشعوبها المتعاقبة عبر الزمان والمكان.. ونحن مع كل مايعود على الإنسانية بالخير، ويصرف عنها الشر والفساد، ويطهرها من نوازع التسلط والاعتداء، والظلم والطغيان، والكبت والقهر، ويؤكد كرامة الإنسان وآدميته،

ويطلق حريته في اختيار معتقد ومنهج حياته وقيمه التي تلبي نداءه الفطري وعالمه الداخلي المادي والروحي، نحن المسلمين مع كل كلمة مسؤولة وتحرك مسؤول ومنهج مسؤول يعمل على تحقيق العدل والاستقرار والسلام من أجل تعايش إنساني حضاري آمن، ولكن مع ترحيبنا بكل ماجاء من كلام إيجابي مسؤول على لسان كل من الرئيس جورباتشوف والرئيس نيكسون وغيرهما من عقلاء العالم مما لا يتسع المجال لذكره، فإننا نأسف للتناقضات الميدانية والممارسات الظالمة المشهودة في أوربا وأمريكا وفي كثير من بلدان العالم، التي تنتقص من صدقية هذه الأقوال وتحرجنا نحن عقلاء المسلمين من التحدث بها بين يدي أجيالنا التي واجهت ولاتزال تواجه الظلم والقهر والذبح والإبادة والانتهاك الوقح للحرمات والقيم ولأدنى حقوق الإنسان في أكثر من مكان.. لذا نطالب وننصح بأن يصغى المسؤولون في الغرب وفي العالم إلى نداءات وصرخات الإصلاح التي ترتفع بها أصوات العقلاء والحكماء في العالم بما يؤكد حرصهم المعلن على نظام عالمي تسوده القيم والمباديء ويقوم على التوازنية بين عالم المادة وطموحاته وعالم الروح وأخلاقياته.. ونحذر مع الأستاذ العلامة الشيخ محمد الغزالي قادة الحضارة المعاصرة ونلفت نظرهم إلى التشريعات المخزية التي تتعارض مع كل كلمة مسؤولة ونداء مسؤول للإصلاح والإنقاذ من شرور العالم وجرائمة وانتكاساته الحضارية إذ يقول «إن قادة الحضارة الحديثة في أوروبا وأمريكا، لا يبالون بتحريم الحلال وتحليل الحرام، ولا يكترثون بذكر الله إلا عند الموت، عندما يفرض الفراق نفسه ثم تمضي بعده مواكب الحياة مجنونة لا تلوي على شيء، إن التشريع السماوي في الحضارة الحديثة قد أهيل عليه التراب،

ويعتبر ذكره تخلفاً عقلياً، وقد تم في القانون العالمي احترام الزنا إذا تم بالتراضي، وأكرهت الدول الإسلامية على التزام ذلك في تشريعاتها، كما ألغيت عقوبة الإعدام، ورفض مبدأ النفس بالنفس والعين بالعين المقرر في التوراة وفي الإنجيل وفي القرآن» ولانزال نذكر كيف أباح مجلس العموم البريطاني اللواط حتى سن الثامنة عشرة وكيف حاول رئيس الولايات المتحدة إدخال الشواذ في الجيش» (المسلمون العدد (٤٩٠) ٢٤/ يونيو/ ١٩٩٤م.

ونزيد نحن هنا على ذلك والأخطر من ذلك أن الأمم المتحدة والتي جاءت في أصل تكوينها وانبعاث فكرتها لتكون مرجعية الإصلاح والترشيد القيمي لمسيرة الحضارة البشرية.. تدعو اليوم وتتبنى جملة من القيم المنحرفة التي تكرس منهجية الانحدار الحضاري، الذي يصرخ المصلحون والعقلاء في كل مكان للاستدراك عليه والتخلص من قيمه الهابطة ومبادئه اللامسؤولة، فتطرح مشروعاً لعقد مؤتمر دولي تحت عنوان (السكان والتنمية)[١] في سبتمبر القادم من هذا العام ١٩٩٤م في القاهرة، على أساس من وثيقة أعدتها هيئة الأمم المتحدة تتضمن فيما تتضمنه من القيم الهابطة والتشريعات العاهرة مايلي:

١- إباحة الإجهاض لكل الأعمار بحجة أنه وسيلة من وسائل التنمية إذ يؤدي إلى قلة السكان فيرتفع المستوى المعيشي؟!

٢- الحرية الجنسية للمراهقين والأطفال حرية مطلقة.

٣- حق المراهقين في أن تكون لهم حياة خاصة، ومعلومات سرية لا

(١) هكذا ورد في الطبعة الأولى من هذا الكتاب التي صدرت قبل انعقاد المؤتمر المذكور في القاهرة، وفعلاً طرحت مواد الوثيقة المذكورة، وقد عارضتها الوفود الإسلامية والفاتيكان مما حمل لجان المؤتمر على إجراء بعض التعديلات، ولكنها ظلت غير كافية.

تنتهك حتى من الأبوين .

٤- يُعانُ المراهقون والأطفال على احترام الحقوق السابقة من الحكومات ومن المؤسسات الأخرى، وعلى الوالدين احترام حقوق هؤلاء .

وأمام هذه الوثيقة الخطيرة، نزيد في التعليق ونرفع أصواتنا مطالبين ومحذرين، نطالب العقلاء والحكماء في العالم على اختلاف أديانهم وأعراقهم وأقوامهم وأجناسهم ليتنادوا إلى لقاء عالمي تحت عنوان «الحضارة في خطر» يتدارسون فيه الأخطار التي تواجه الحضارة الإنسانية المعاصرة، والتي من أشدها وأفتكها الاعتداء على القيم الروحية والدينية والاعتداء على القيم والأعراف والأخلاق الأسرية، ومحاولة تفتيت الروابط الأسرية ومسخ العلاقات الروحية والأخلاقية والسلوكية في ترابط أفرادها وتماسك وحدتهم وبنيتهم المعيشية والاجتماعية والثقافية، وكذلك الاعتداء على آدمية الإنسان ومسخ قيمها ومعاييرها الفطرية، وهدم الحياء والحشمة في طبيعتها، وإثارة الغرائز لتكون صاحبة السيادة في سلوك الأفراد وأخلاقياتهم على حساب سيادة العقل والضمير وروح المسؤولية، وليتدارسوا كذلك كل مايؤكد التوازن بين الشق المادي والشق الروحي أو المقومات المادية والمقومات الروحية والقيمية في صحة مسار الحضارة الإنسانية . . ونرفع صوتنا نحن المسلمين مع العقلاء في العالم محذرين من التيارات العابثة والمعادية للقيم الروحية والإنسانية، والتي هي صاحبة المصلحة في تدهور القيم والأخلاقيات واستمرار تدهور الحضارات وإقامة الصراع والتصادم بينها، ذلك في خدمة مشروعها المدني العابث المتمثل في قيم التيارات العلمانية المتطرفة والإلحادية المدمرة، والتي من أبرزها فلول الماركسية المنهارة والدوائر الصهيونية العالمية الحاقدة والمحافل الماسونية الماكرة .

وبعد فإننا نستأنف حديثنا عن تأكيد أهمية التوازن الدقيق بين مقومات السير الحضاري السليم، وهي مقومات الإيمان والعلم والعمل، وقد استعرضنا فيما سبق الشواهد التاريخية القرآنية والشواهد الميدانية المعاصرة.. والآن نتحدث عن المحاجة العقلية التجريبية.. معتمدين في هذا الشاهد على محاجة كيميائية توضح المقارنة التجريبية بين نتائج تفاعل العناصر عندما تتغير الخصائص لعنصر من العناصر، أو تتغير شروط التفاعل ومنهجيته أو طاقة التفاعل وحوافزه وضوابطه، ثم نقارن ذلك مع المعادلة الحضارية القائمة على المفاعلة والتفاعل بين الإنسان ومنهج الحياة.. وأثر اختلال خصائص عناصر هذه المعادلة أو تغيير مادة المنهج ومقوماته على نتائج وصيغ العطاء الحضاري للجهد البشري، وقد اخترنا من الميدان الكيميائي، التفاعل الكيميائي الذي يعتبر أبسط تفاعل كيميائي من حيث مقوماته، ولأن هذا التفاعل ينتج مادة الحياة الأساس ألا وهي الماء لقول الله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾(١) ومن المعلوم أن الماء يتكون كيميائياً من الاتحاد بين عنصري الهيدروجين والأكسجين وفق شروط محددة وطريقة منضبطة، ولنصطلح على عبارة (المنهج العادي) للتعبير عن الشروط والضوابط العادية لتفاعل الهيدروجين والأكسجين لتكوين الماء وفق المعادلة التالية:

[أ]

الهيدروجين (العادي) + الأكسجين ——منهج عادي——← الماء العادى (ماء الحياة)

الهيدروجين (غير العادي) + الأكسجين ——منهج غير عادي——← الماء الثقيل (غير صالح للحياة)

الهيدروجين (العادي) + الأكسجين ——منهج غير عادي——← الماء الأكسجيني (غير صالح للحياة)

[ب]

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

ولسهولة المقارنة نجمع هذه المعادلات الثلاث في معادلة واحدة مركبة :

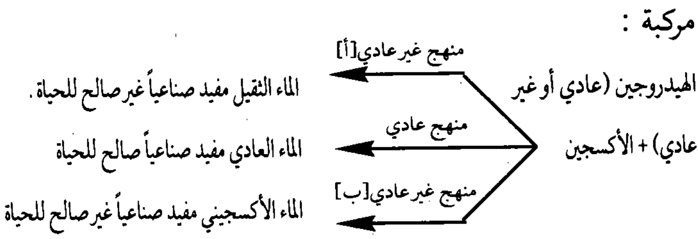

وبمقارنة بسيطة نجد أن نتائج هذه التفاعلات تتأثر بطبيعة منهج التفاعل، وكذلك بتغير خصائص العناصر المتفاعلة والتي هنا طالت عنصر الهيدروجين، فمثلاً في حالة ثبات الخصائص الطبيعية الخلقية للعناصر وثبات الشروط والضوابط الطبيعية ينتج لدينا ناتج طبيعي مستساغ وهو الماء العادي، ماء الحياة التي تستمر معه وبه حياة الكائنات جميعاً بل وتستقر به جميع التفاعلات الطبيعية في الأرض، وتستقر به ومعه جميع خصائص التوازن والاستقرار في الأرض. . أما مع اختلال الخصائص لأحد العناصر واختلال المنهج فإن النتيجة إما أن تكون (ماء ثقيل) غير صالح للحياة ونفعه التكنولوجي محدود أو تكون (ماء أكسجيني) غير صالح للحياة وتطبيقاته التكنولوجية محدودة كذلك.

وعلينا هنا أن نتصور كم هو عظيم فضل الله تعالى على الإنسان، إذ جعل سبحانه هذا الماء بقدر ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض**﴾[1].

(١) المؤمنون : ١٨ .

وقوله تعالى: ﴿**والذي نزل من السماء ماءً بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها..**﴾[2] ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**﴾[3].

أجل سبحان الذي قدر هذا الماء تقديراً ولم يجعله في متناول إرادة الإنسان ورغبته فتختل موازين وجود الماء وخصائصه وتختل مع ذلك الحياة برمتها، وتختل موازين استقرارها وسلامتها واستمراريتها. ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**﴾[4]، ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون**﴾[5]، كما أنه سبحانه لم يجعله خياراً من خيارات تتحكم بها وبإنتاجها أمزجة النوع البشري وخصوصياتهم ومصالحهم، وتتحكم بها أسباب تسلطهم وظلمهم وطغيانهم مثل ماهو جارٍ مع مواد أخرى مما تتطلبه حياة الناس وأمنهم وسلامتهم ومصالحهم اليومية بعامة، ونحسب أن المجاعات البشرية والمجازر الإنسانية الجماعية والرعب الذي أصبح سمة هذا العصر، إنما هو نتيجة لفرصة الخيار التي أتيحت للإنسان فأساء التصرف معها وعبث وأفسد معايير وقواعد السير الصحيح معها، ويتناقض في تعامله معها وفي تسخير مكنوناتها ومع سننها الربانية فجاءت النتائج في أغلب حالاتها نكدة مؤذية مفسدة لبقاء أمن جموع المجتمعات وسلامة عيشهم

---

(١) الزخرف: ١١. (٢) الرعد: ١٧. (٣) الحجر: ٢٢.
(٤) الكهف: ٤٥. (٥) الواقعة ٦٨، ٦٩، ٧٠.

وتعايشهم ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**﴾[1] ، ﴿**الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد . .**﴾[2] ، ﴿**. . ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾[3] ولنا أن نتصور لو أسرفت التكنولوجيا في قلب معادلة الماء العادي لصالح (الماء الثقيل وتطبيقاته النووية وغيرها أو لصالح (الماء الأكسجيني) وتطبيقاته الصناعية ، كم ستكون الكارثة البشرية وكم من الحروب العالمية ستفجر من أجل الماء والحفاظ عليه ، أو الاستحواذ على مصادره ومنابعه وممراته الإقليمية والدولية ، أو لسنا اليوم نهدد بمثل هذه الكارثة ولكن بسبب عبث من نوع آخر شاع صيته بين الناس ، وهاهي الأصوات ترتفع منذرة بالخطر من استفحال أمرها وطغيان آثارها القاتلة ألا وهي كارثة تلوث البيئة والتي من أخطرها تلوث المياه وسوء استخدامها وحرمان الناس وباقي الكائنات الحية من نعمتها وحيوية وظائفها وتعطيل مهمتها في التوازن المناخي والبيئي ، والعبث بقدسية رسالتها الحضارية بعامة كما في قوله تعالى :

* ﴿**وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم**﴾[4] .
* ﴿ **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**﴾[5] .
* ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء**﴾[6] .
* ﴿**وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به**﴾[7] .
* ﴿**والله خلق كل دابة من ماء**﴾[8] .

---

(1) الروم : ٤١ . (2) الفجر : ١١ - ١٢ . (3) البقرة : ٦٠ .
(4) البقرة : ٢٢ . (5) البقرة : ١٦٤ . (6) الأنعام : ٩٩ .
(7) الأنفال : ١١ . (8) النور : ٤٥ .

* ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله﴾[1].
* ﴿وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾[2].
* ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض﴾[3].
* ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾[4].
* ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾[5].
* ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾[6].

أليست هذه الآيات وغيرها مما سبق ذكره في ثنايا هذه الدراسة تؤكد فضل الله تعالى على الإنسان يوم أن سخر له ما في السموات والأرض جميعاً منه، ومنها هذا الماء العجيب في رسالته الحضارية الموضحة بدقة في النصوص القرآنية السالفة الذكر، وأن العبث في قدسية هذه الرسالة وتوازن سيرها، إنما هوعبث حضاري خطير مدمر، لا منجى منه إلا بالاستقامة على الطريقة الربانية والمنهج الرباني في التعامل مع الأشياء وتسخير نواميسها وطاقاتها ومكنوناتها، وفق القيم والمباديء والسلوكيات التي ينتظمها منهج الاستخلاف الرباني، منهج الإسلام بقيمه وتعاليمه ومقاصده العليا في إقامة حضارة إنسانية متوازنة.. ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[8].

---

(١) العنكبوت: ٦٣. (٢) لقمان: ١٠. (٣) الزمر: ٢١.
(٤) القمر: ٢٨. (٥) الملك: ٣٠. (٦) الجن: ١٦.
(٧) الجن: ١٦. (٨) الأعراف: ٧٤.

وبعد فهذه شهادة تجريبية في ميادين كيمياء الحياة والتعليق عليها، أردنا بها أن تكون مقدمة توضيحية مبسطة لما يجري في ميادين كيمياء الحضارة، حيث المفاعل الكوني الكبير المتكون من الأرض موطن الاستخلاف الحضاري، والإنسان المؤهل ربانياً لمهمة الاستخلاف الحضاري، والمنهج الرباني الحضاري، فالمعادلة الحضارية قوامها على هذا الأساس «الإنسان، الأرض، المنهج»، فعندما يكون المنهج هو المنهج الرباني بقيمه ومبادئه وأدبياته، وضوابطه وتشريعاتها وحوافزه الإبداعية وتكامل شموليته المادية والروحية، ويكون الإنسان هو الإنسان الذي صيغت حياته وفق منهج الاستخلاف الرباني الملتزم لتعاليمه وقيمه والمنضبط وفق توجيهاته ومعاييره، فإن العلاقة بينه وبين مكنونات الأرض تكون علاقة خلاقة تفرز إيجابية ذات نفع مؤكد ونماء مبارك ومردود مأمون لا رعب معه ولا خوف، ولا إسراف ولا طغيان، ولا شح ولا تقتير، لأنها ستكون نتائج منضبطة وفق قاعدة التسخير الرباني وضوابطها وأخلاقها ﴿**وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه**﴾[1] ووفق قاعدة الهدى العام التي تنتظم علاقة الإنسان مع الأشياء وعلاقة الأشياء مع الأشياء: ﴿**قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾[2]، أجل عندما تنضبط العلاقة بين مقومات المعادلة الحضارية (الإنسان، الأرض، المنهج) وفق معاييرها وقيمها ومقاصدها الربانية تسير المعادلة الحضارية سيرها الصحيح وتثمر ثمرها الطيب المبارك على النحو التالي:

---

(١) الجاثية: ١٣.
(٢) طه: ٥٠.

إنسان رباني + الأرض ← منهج الإسلام ← حضارة الإسلام

وعندما يختل المنهج، وتختل معه سلوكية الإنسان ومقاصده ومنهجه في الحياة فإن المعادلة الحضارية تسير سيراً معتلاً تختلف درجة الاعتلال فيها تبعاً لدرجة الاعتلال والاختلال في المنهج ونضرب لذلك مثلاً :

إنسان علماني + الأرض ← منهج العلمانية ← حضارة علمانية

إنسان ماركسي + الأرض ← منهج الإلحاد ← حضارة إلحادية

وللمقارنة نجمع هذه المعادلات الثلاث في معادلة واحدة مركبة على النحو التالي :

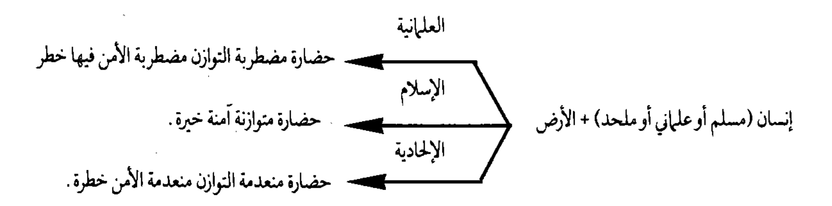

إن هذه المعادلة الحضارية، إنها تؤكد فكرتنا وفهمنا للحضارة، على أنها ثمرة الجهد المبذول لعمارة الأرض وفق ثقافة ما ومنهج ما، وأن تنوع الثقافة وتنوع المنهج يتبعه تنوع حضاري، وهذا بشكل عام، ولكننا نطرح تساؤلاً . . هل التنوع الحضاري . . تنوع تكامل أم تنوع تضاد . . ؟

وهل التنوع الحضاري . . تنوع تعايش أم تنوع تصادم . . ؟

هذه الأسئلة وغيرها تطرح نفسها أمام كل مفكر وباحث، وتطرح نفسها أمام كل ثقافة ومنهج ثقافي . . والموضوعية والعلمية

والمسؤولية. . شرط أساس في الإجابة الصحيحة المقنعة بين يدي أجيال البشرية المتعاقبة عبر الزمان والمكان. . وفي هذه الدراسة التي وضعنا لها عنوان «الإسلام. . والحضارات» نسعى ابتداءً إلى تأكيد المفاهيم التالية بين يدي الإجابة على هذه الأسئلة. .

١- إن الإنسان مستخلف بأمر ربه وخالقه في الأرض.

٢- إن عمارة الأرض هي مهمة الاستخلاف وغايته.

٣- إن الله سبحانه وتعالى وضع منهجاً متكاملاً لمهمة الاستخلاف في الأرض.

٤- إن الله تعالى أرسل رسلاً ليبلغوا الإنسان حيث كان مادة المنهج وقيمه ومبادئه.

٥- إن منهج الاستخلاف الرباني المبلغ للناس جميعاً يقوم على مرتكزين، مرتكز مادي ومرتكز قيم.

٦- إن العبودية الخالصة لله مطلب أساس في منهج الاستخلاف الرباني.

٧- إن الله سبحانه قد أنصف الناس في موقفهم من منهجه الذي اختاره لهم، المؤمنين به والكافرين به على السواء، دون بخس لحق كل منهم في الحياة الدنيا وعمارتها.

٨- إن مرتكز القيم في منهج الإسلام أساس لترشيد وتسديد وضبط سير وفعاليات المرتكز المادي ووسائله ومهاراته.

٩- مرتكز القيم في منهج الإسلام هو. . عقيدة وفكرة ومنهج ونظام.

١٠- إن التكامل الدقيق بين العقيدة والفكرة والمنهج والنظام في الإسلام من مقتضى تحقيق منهج الاستخلاف الرباني.

١١- منهج الإسلام يرفض فرض العقيدة بالإكراه، ولكن يطلب إلى الناس ويرغبهم الأخذ بفكرة الإسلام ومنهجه ونظامه لصحة سير العطاء الحضاري السليم.

١٢- المسلمون يؤمنون بأنهم شركاء مع غيرهم في ميادين المرتكز المادي ووسائله ومهاراته في عمارة الأرض، إلاّ أنهم يتحملون واجباً ربانياً في تقديم مبادىء وتعاليم وقيم منهج الاستخلاف الرباني لتسديد وترشيد السير الحضاري لعمارة الأرض.

ونسعى ثانية.. وفي ضوء هذه المفاهيم أن نحدد إجاباتنا عن الأسئلة السابقة بكل موضوعية وعلمية ومسؤولية كاملة إن شاء الله.. وبداية نقول: إن التنوع الحضاري في ميادينه المادية.. تنوع إيجابي.. لأن من فضل الله تعالى على العباد.. وبفضل عدله المطلق بين الخلائق.. أقام توازناً دقيقاً بين توزيع خيرات الأرض ظاهرة وباطنة، وأقام توازناً دقيقاً في توزيع الثروات الطبيعية بعامة.. وتوازنية دقيقة في توزيع الأنهار والبحار والمحيطات واليابسة، ومثل ذلك في التضاريس الجغرافية بأشكالها وأنواعها المختلفة.. وهذا التنوع يحتاج لإثارة مكنوناته وتوظيف مسخراته، إلى تنوع الجهود والإمكانات والكفاءات والمهارات، فاقتضت حكمته سبحانه وهو اللطيف الخبير، أن استخلف الإنسان حيث هو وأطلق يده في استثمار ماسخر له حيث يعيش بوسائله المتاحة وإبداعاته الإنتاجية وفق حاجاته وطموحاته، مما نتج عنه تنوع في عمارة الأرض واستثمار مكنوناتها، مما تبلور في النهاية إلى تنوع حضاري مادي مفيد، قابل لأن تتكامل معه حاجات الناس ومصالحهم المتبادلة، وإن هذا التكامل ضرورة حضارية.. تمليه حاجة الناس

بعضهم إلى بعض وقد اقتضت حكمة ربهم وخالقهم، أن تتوزع نعمه ومسخراته في الأرض، حيث اختص كل شعب أو أمة بنوع من هذه المسخرات، ويسّر لكل منهم أسباب الإبداع في نواحي الحياة وفق قاعدة «كل ميسر لما خلق له» وقرر سبحانه مبدأ الحاجة والسخرة بين الأمم، لتقوم بينهم رابطة المصالح والتسخير المتبادل، التي على أساسها تتولد وشيجة التعايش البشري، وحوافز التنافس في عمارة الأرض، وتقوم بينهم الحاجة لإقامة نظام عالمي يضبط علاقات التعايش والتعاون في إطار من الإحساس بمسؤولية التعامل المشترك في كل مايحقق الخير للجميع . . وفق القاعدة الربانية الواضحة في قوله تعالى ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**﴾[1] .

هذه هي الحاجة التي تتنامى مع تنامي وسائل الاتصال ومقومات وضرورات التعايش المشترك . . إلا أن التكامل في التنوع الحضاري المادي لا تتحقق ثماره المرجوة وغاياته الإنسانية النبيلة إلا بالتغلب على السلبية في التناقض القيمي، لأن الواقع الميداني لمرتكز القيم في السير الحضاري لدى الأمم المختلفة يفرز للأسف، تناقضات ثقافية وقيمية، تتحول في السير والمفاعلة الحضارية المادية من مسارها الإيجابي البناء، إلى مسارات سلبية هادمة. فمعايير الخير والشر أصبحت متباينة، تبايناً خطراً بين الناس، ونجد مثل ذلك في معايير الظلم والعدل، والحرية والقهرية، والمساواة والتمييز، والأمن والخوف، والاستقرار والاضطراب، والفضيلة والرذيلة ، والنافع والمؤذي، والبناء والهدم، والتقدم والتخلف، والحرب

(١) الزخرف : ٣٢.

والسلم، والقناعة والجشع، والإيثار والاستئثار، والتقتير والإسراف، والأنا نية والمشاركة الوجدانية ، والفرد والجماعة، والتكامل والتضاد، والصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والوفاء والغدر، والمسؤولية واللامسؤولية، والجدية والهزلية، والانضباطية والعبثية، والآدمية والبهيمية، والتعاون والتنافر، والتعايش والتصارع، والإخاء والاعتداء، والمفيد والمضر. ونحسب أن سبب هذا التباين الخطير بين هذه الثنائيات إنما هو بسبب من التناقضات القائمة في المناهج الثقافية وماتفرزه من تناقضات في القيم والمباديء والقوانين التي تحكم سلوكيات الإنسان ومعاييره، وهو يستعمر الأرض ويستثمر مكنوناتها ويسخر طاقاتها المادية، مما يضعف من إيجابيات التنوع الحضاري المادي ويتحول به إلى تضاد حضاري عن كونه تكامل حضاري إيجابي. . أما عن سبب التناقضات الثقافية، فنحسب أنه يعود لغياب المرجعية في الأصول والثوابت الثقافية لمسيرة الإنسان، وهذه المرجعية بفهمنا واعتقادنا نحن المسلمين لا تكون إلا بالتعامل مع منهج الاستخلاف الرباني لعمارة الأرض، وقيمه ومنطلقاته التي ذكرناها قبل قليل، والتي تجد تفصيلاتها في الفصول السابقة من هذا الكتاب. . أما الجواب عن التنوع الحضاري هل هو تنوع تكامل أم تضاد وتنوع تعايش أم تصادم. . ؟

فنقول وباختصار يوم ينتفي التناقض بين مرتكزات الماديات والوسائل والمهارات ومرتكز القيم والمبادئ والسلوكيات في مناهج السير الحضاري العالمي، يصبح التنوع الحضاري، تنوع تكامل لا تنوع تضاد وتنوع تعايش لا تنوع صدام وهذا مايؤكده الخطاب الحضاري الإسلامي للناس جميعاً كما هو واضح

وبيّن في قول الله تعالى : ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[2] وقوله تعالى : ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾[3] ولقوله تعالى : ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾[4].

* وإن نظرة متفحصة من جهة أخرى إلى المعادلة الحضارية :

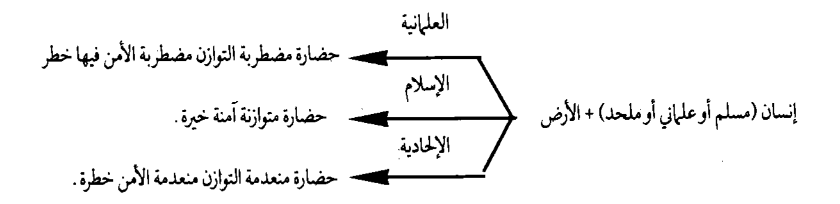

نخلص إلى أن علاقة وثيقة قد أقيمت بين صبغة الإنسان الفكرية والثقافية والعقدية وبين ماهية منهجه في عمارة الأرض وإثارة مكنوناتها وتوظيف مسخراتها لصالح الإنسان، وتبعاً لتعدد المنهج كانت تعددية الصبغة الفكرية والثقافية ثم تعددية حضارية، حضارة الإسلام، حضارة علمانية، حضارة إلحادية، «فحضارة أمة ما تعني مجموع ثقافتها ومدنيتها، فإذا اعتمدنا هذا التعريف لكلمة حضارة، تكون حضارة أمة ما في هذه الحالة هي مجموع ثقافتها ومدنيتها أي الجانب المادي فيها والجانب الآخر بآن واحد، وعلى هذا الأساس فكل أمة من الأمم يمكن

(١) الملك : ١٥ .
(٢) الحجرات : ١٣ .
(٣) هود : ٨٥ .
(٤) البقرة : ٢٥١ .

أن تكون لها حضارة، إذ أن لكل أمة في هذه الحالة مدنية ما، ولكل أمة ثقافة بصرف النظر عن مضمون هذه الثقافة، إذا كان حقاً أو باطلاً، كان مقبولاً أو غير مقبول، ومن الابتداء نقول: الأمة ذات الحضارة المتقدمة هي التي اجتمع لها تقدم مدني وتقدم ثقافي، والأمة المتخلفة حضارياً هي الأمة التي اجتمع لها تخلف مدني وتخلف ثقافي، وقد نجد أمة متقدمة مدنياً وهي متخلفة ثقافياً، وقد نجد أمة متخلفة ثقافياً ومتخلفة مدنياً» الشيخ سعيد حوى- رحمه الله- ص ٧٣٦- الإسلام والحضارات- الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ونحن هنا لا نريد أن نبخس الناس أشياءهم، فننفي عن جهدهم المادي وإثارتهم الأرض واستثمار مكنوناتها وتوظيف طاقاتها ومسخراتها صفة الحضارة، فهذا- إن وقع منا فهو من البخس المنهي عنه في المنهج الرباني الحضاري **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**(١).

حتى ولو كانت هذه الشيئية من إنتاج وملكية أقوام بيننا وبينهم تناقض عقدي وثقافي، لأن هذه الشيئية من حقهم في الحياة الدنيا، وجاءت بفعل كدحهم وجهدهم ومهاراتهم ومشيهم في الأرض وإثارتها، وقد أنصفهم ربهم وخالقهم سبحانه، ولم يبخسهم سعيهم، وذلك في قوله تعالى: **﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾**(٢).

فكل عمل يبذل لتوظيف واستثمار مسخرات السموات والأرض

---

(١) هود ٨٥.
(٢) هود: ١٥.

فهو جهد حضاري وثماره المادية ثمار حضارية، لأن هذا الجهد وهذا الإنتاج، هو تحقيق لأمر الله تعالى في الدعوة لاستثمار ماسخره سبحانه للناس جميعاً: **﴿وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾**[1]، ونحن هنا لابد أن نفرق بين الجهد البشري في الإنتاج المادي والإبداع التكنولوجي، وبين المنهاج القيمي الذي يتم وفقه هذا الإنتاج، وتتم على أساسه معايير توظيف هذا الإنتاج، وأدبيات تسخيره الحضاري العالمي.. وهذا المنهاج القيمي.. هو الذي يقرر صفة هذا الإنتاج المادي وخصائصه الحضارية.. فنقول مثلاً حضارة إنسانية متوازنة آمنة، أو حضارة مضطربة التوازن مضطربة الأمن فيها ضرر وخطر، أو حضارة منعدمة التوازن منعدمة الأمن ضارة خطرة.. وإن خاصية التوازن وخاصية الأمان والنفع الإنساني.. يقرره واقع الحال ومنهجية التعامل مع الإنسان، وتحقيق مصالحه الحيوية والمعنوية من مأكل ومشرب وكساء ودواء ومسكن، وعدل وأمن وحرية واستقرار ورفاه وسلام، ، «إن غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الإنسانية، والحياة الإنسانية معقدة كثيرة الجوانب، فإن فيها حياة فكرية عقلية، وحياة مادية وعلمية معايشة، وحياة نفسية خلقية، وحياة اجتماعية، إلى جانب الحياة الفردية، والحضارة الصالحة الخيرة هي التي ترتفع بهذه الجوانب كلها وتعدل بينها، فلا يظلم جانب فيها جانباً آخر ولا ينمو واحد ولا يضمر آخر» (الأستاذ محمد المبارك- رحمه الله تعالى- في كتابه الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية).

فالإسلام مثلاً باعتباره منهج حضاري، قد جعل مقاصده

---

(١) الجاثية: ١٣.

الحضارية المادية والقيمية من أجل تحقيق كليات مقاصد الشريعة الإسلامية المتمثلة في الضرورات الإنسانية التالية وحاجياتها ومحسناتها وهي :

١- حفظ النفس .

٢- حفظ الدين .

٣- حفظ العقل .

٤- حفظ العرض .

٥- حفظ المال .

فأي منهج حضاري يعتدي على هذه الكليات أو يعجز عن تحقيقها وتوفيرها وإقامة التوازن بينها وتحقيق مقتضياتها وحاجياتها ومحسناتها فهو منهج حضاري عاجز أو معتدٍ أو ظالم، يحتاج لتصحيح وترشيد ليكون عطاؤه الحضاري المادي في خدمة الإنسان ومصالحه، لا عدواً للإنسان ومتطلباته وطموحاته. . لذا فنحن المسلمين في سيرنا الحضاري، مع التصحيح والتسديد ولسنا مع الإلغاء والقهر الحضاري للآخرين. . ويؤسفنا يوم تنهدم الحضارات وتنهار بسبب من انحدار القيم وعجز المباديء وتخلف الأدبيات والسلوكيات، لأننا ننظر إلى الحضارات المادية، على أنها ثمرة جهود الأجيال البشرية المتتالية عبر الزمان والمكان، فهي ملك الإنسانية، ينبغي الحفاظ عليها وتطويرها وترشيدها لتكون في خدمة الإنسان وإسعاده. . لا وبالاً عليه، وحرباً على وجوده وأمنه ورفاهه.

وإن الواقع التاريخي المعاصر قد قدم الشهادة الواضحة لخصائص كل حضارة ومقوماتها وأثر ذلك على حياة الإنسان، إيجاباً وسلباً، فقد

وضح كيف أن الحضارة الإلحادية قد فشلت فشلاً ذريعاً في تلبية متطلبات فكرة الإنسان وعقمت عن الاستجابة لنداءات تكوينه الداخلي وطموحاته الحياتية في عالمه الخارجي، فأقامت وجودها وارتقاءها المادي على حساب وجوده وارتقائه الروحي والمعنوي، وشيدت صروح صناعات الدمار الشامل على حساب صروح البناء والكفاية والرفاه، وأسرفت في اتخاذ أسباب حماية المنهج الظالم والنظام الطاغي على حساب حماية كرامة الإنسان وحقوقه في الحياة الإنسانية بحدها الأدنى المتمثلة في حريته وأمنه وغذائه وصحته وتعليمه، وكبتت كل حوافز الإبداع والمنافسة وحولته إلى آلة تتحرك بإرادة النظام وأهواء النظام ومصلحة النظام، بل حولته إلى نسخة بهائمية عليها أن تعمل كل مايطلب منها، وليس مقابل ذلك إلا لقمة غذاء وشربة ماء وقطعة كساء ومأوى يقيها بتواضع حر الشمس وقهر البرد، هذا في أحسن الأحوال وأكملها حيث أن كثيراً من العمال والعاملات لا يتحقق لهم حتى هذا الأدنى من متطلبات البهيمة، وبعودة إلى أقوال الرئيس جورباتشوف فيما سلف ذكره وكذلك إلى ما ذكرته زوجته «رايسيا» في مذكراتها، وعودة كذلك إلى الواقع الذي فضح أمره وانكشفت عورته، بعد أن انهارت صروح حضارة صناعات الحروب والدمار أمام ثورة الحرية والعدل وثورة الرغيف والكساء والدواء، ليتأكد للعالم وبالدليل القاطع، بأن فاعلية الحرية والعدل وفاعلية الرغيف والكساء والدواء أقوى وأشد وأمضى في إشادة الأمن والاستقرار، وتشييد الحضارات والارتقاء بعطائها وحمايتها من فاعلية المدفع والدبابة والصاروخ والطائرة ومن كل المفاعلات النووية ومحطات الفضاء وغزوه، أليس من العبثية

القاتلة أن تسخر طاقات الإنسان وكفاءاته وطاقات الأرض ومكنوناتها ومسخراتها ومسخرات السموات من بعدها في غير مسارها الصحيح؟ وفي غير متطلبات الحياة الإنسانية الكريمة، وتطلعاتها الحضارية لإقامة مجتمع آمن مستقر تحكمه قيم العدل والسلام وحوافز الإرتقاء والرخاء؟ أليس من الضلال والطغيان أن يحمل الإنسان على إنفاذ وتحقيق و إقامة كل مايتعارض ويتناقض مع مصالحه الحيوية والمعنوية والروحية؟ وتمر عشرات العقود من السنين وتتعاقب الأجيال دون مراجعة أو تدارك لما يجري، وفجأة تنهار دول الضلال والطغيان وتندثر امبراطورية الوسائل، لتجد الأجيال نفسها أمام رسوم وأطلال تحكي بكل الألم والحزن والندم مأساة الآباء والأجداد ومسيرة العذاب الطويلة وقصة المعاناة المؤلمة والجهود المضنية بما انتهت إليه من إفلاس مخزٍ واندحار شنيع وتمزق وتبعثر ذليل. !!

أجل هذا ماكان من شأن الحضارة الإلحادية المنهارة في الاتحاد السوفييتي، سابقاً وها هي أصوات العقلاء والحكماء ترتفع في الغرب تحذيراً وتخويفاً من أن يصيبهم ما أصاب نظراءهم في الاتحاد السوفييتي المنهار، وقد قرأنا شهادة رئيسهم الأسبق وواحد من أبرز حكمائهم ومنظريهم في الثقافة والسياسة- ريتشارد نيكسون- وهو يتحدث عن ارتفاع الأمية وارتفاع معدلات الجريمة، وتدهور وانحدار مناهج التعليم، واتساع جريمة تعاطي المخدرات، والمسكرات، وتدهور ضوابط الأمن الاجتماعي.. إلخ، مما سبق ذكره في مقدمة هذا الباب ليختم حديثه بالدعوة لتدارك الأمر قبل فوات الأوان مركزاً في دعوته على التزام القيم ووضع العقوبات الرادعة بحق الإجرام والمجرمين.

* وعودة للمعادلة الحضارية أيضاً. . نقرر في ضوء كل ماتقدم. . بأن الحضارة الإلحادية غير صالحة للحياة وقد حكمت على نفسها في ذلك وانهت وجودها بما لا تحسد عليه. . كما أن الحضارة العلمانية وعلى مافيها من جوانب مشرقة إدارياً وتكنولوجياً وشموخها في ميادين التطبيق الصناعي والزراعي والطبي والبحوث العلمية في البر والبحر والجو وبحوث الفضاء، وهذا مما يجب أن يكون موضع تقدير واحترام ودعم وتأييد وتشجيع من كل ذي عقل إنساني ومنهج إنساني ونظرة إنسانية، ونحن المسلمين مع هذا كله تقديراً وتشجيعاً وحرصاً على استمراره وتطوره وارتقائه وتعميم خيره على الناس جميعاً، إلا أننا نتحفظ على الجانب القيمي والثقافي الذي نجد أنه يتناقض ويتصادم في كثير من جوانبه مع المنهج الرباني وقيمه ومبادئه في عمارة الأرض لذا فإننا نضم صوتنا إلى صوت العقلاء والحكماء في الغرب بعامة وفي الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة من أمثال الرئيس نيكسون. فيما حذر منه. . محذرين بدورنا من انتكاسة خطيرة بدأت مقدماتها تهدد بذلك وتنذرنا من ذلك ونطالب بإعادة النظر في المرتكزات القيمية والأخلاقية لتكون في خدمة المرتكزات المادية ووسائلها ومهاراتها ولتقيم التوازن الدقيق معها مما يبعد أسباب الخطر وأسباب الانتكاسة والانهيار. . ويحفظ هذه الحضارة المادية العملاقة، ويجعلها في المسار الصحيح والنهج الصحيح الذي يحول عطاءها باتجاه مصلحة الإنسان وخير الإنسان، وأمن الإنسان، ولتكون حضارة عدل لا حضارة ظلم وطغيان، وحضارة سلم لا حضارة حرب وعدوان. . وحضارة تعايش لا حضارة تصادم، وحضارة تكامل لا حضارة تضاد، وحضارة استمرار للتاريخ بكل حوافزه وتنافس أهله

وإبداعاتهم لا حضارة نهاية التاريخ، على حد مقولة- فوكوهاما - ومن هم على نهجه ونظرته وعنصريته وتعصبه وغروره.. ولتكون حضارة تعاون إنساني وتكامل إنساني وتنافس إنساني- لا حضارة استعلاء وقهر وغلبة واستئثار، ونحن لا نقول هذا بدافع اتصافنا بالكرم العربي.. بعيداً عن الموضوعية والعلمية والمسؤولية بل نقول ذلك ونتحمل مسؤولية ذلك على أساس من معتقداتنا وقيمنا ومبادئنا الإسلامية، التي تدعو إلى ذلك وترغب في ذلك كما في قوله تعالى: ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم..**﴾ وقوله تعالى: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً**﴾ وقوله تعالى: ﴿**ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾ ولقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**خير الناس من نفع الناس**». ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم**».

فالحضارة عندنا وفي معتقدنا ليست حضارة قوم بعينهم ولا جنس بعينه ولا حضارة عرق بعينه.. ولا حضارة لون معين.. بل حضارة ربانية، إنسانية عالمية، غايتها وهدفها التعايش العالمي، والعدل العالمي والأمن العالمي، والحرية العالمية والاستقرار العالمي، والرفاه العالمي والسلام العالمي.. على أساس من التصور المحايد لمفهوم الحضارة.

والحضارة «هي ثمرة التوازن الدقيق بين مرتكز القيم والمبادىء والأخلاقيات ومرتكز الماديات والوسائل والمهارات في حركة الجهد الإنساني لعمارة الأرض وفق منهج الاستخلاف الرباني»[1] ومنهج

---

(١) انظر كتابنا «الأمة الإسلامية وأزمة الاستئناف الحضاري».

الاستخلاف الرباني ليس منسوباً لأحد وليس هو من وضع أحد فهو منهج رب الناس جميعاً وخالقهم ومدبر أمرهم.. منهج اللطيف الخبير. اللطيف بعباده.. الخبير بأحوالهم ومايصلح لهم.. فهو منهج محايد بشرياً.. لا يحابي أحداً.. ولا ينتصر لأحد على أحد إلا بالحق.. ومنهج محايد جغرافياً.. فهو ليس مع الشمال ضد الجنوب.. ولا ينحاز للجنوب في مواجهة الشمال.. وليس لغرب الأرض على حساب شرقها.. ولا لشرقها في معاداة غربها.. فهو منهج للناس في شمال الأرض وجنوبها ولمشارق الأرض ومغاربها.. وهو منهج محايد اقتصادياً.. لا ينتصر للأغنياء ضد الفقراء.. ولا يتعاطف مع الفقراء على حساب حقوق الأغنياء.. ولا يشجع الصناع ويبخس الزراع.. ولا يبارك الزراع ويمحق الصناع.. فهو للجميع تشجيعاً وتحفيزاً.. وللجميع عدلاً وإنصافاً.. وللجميع مؤاخاة وتكاملاً.. وهو منهج محايد سياسياً لا يمنح حق (الفيتو) للكبار في وجه مصالح الصغار.. ولا يدلل الصغار على حساب حقوق الكبار وإبداعاتهم ومهاراتهم بل هو للكبار والصغار.. وللأقوياء والضعفاء.. والقوي عنده ضعيف حتى يرده عن الظلم والطغيان.. والضعيف عنده قوي حتى يأخذ له الحق ممن ظلمه وطغى عليه.. وهو منهج محايد جنسياً لا يتزلف الرجال على حساب النساء.. ولا يتعاطف ويرق للنساء على حساب الرجال.. فهو للذكورة والأنوثة على السواء.. ينصفهم ويكرمهم بالقسطاس المستقيم.. وهو منهج محايد بيئياً.. فكما أن للإنسان حقوقاً وواجبات فللحيوان حقوقه وواجباته وللنبات حقوقه وواجباته فهم جميعاً في معياره خلائق مسخرة بعضها لبعض والجميع مسخر لعمارة الأرض ﴿وإن من

شيء إلا يسبح بحمده . .﴾ هذا هو منهج الاستخلاف الرباني . . منهج الحضارة الإنسانية الآمنة . . منهج الإسلام . . منهج الناس جميعاً **﴿ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**

وختاماً نقول وللموضوعية نقرر بأنّ مسيرة عمارة الأرض اليوم تعاني من خلل كبير. . خلل في القيم والمباديء والأخلاقيات وخلل في الماديات والوسائل والمهارات. . فجهات من الأرض أجاد أهلها المشي في الأرض وإثارة مسخراتها واستثمار طاقاتها ومكنوناتها، وارتقوا في ذلك وأبدعوا إبداعاً عملاقاً في الإنتاج الصناعي والتكنولوجي والبحث العلمي وتطبيقاته العامة إلا أنهم أخفقوا إخفاقاً ذريعاً في عالم القيم والمباديء والأخلاقيات، مما أحاط نتاجهم الحضاري المادي بكثير من السلبيات والمخاطر. . وجهات أخرى من الأرض لدى أهلها مخزون عظيم من القيم والمباديء والأخلاق، وتراث ثقافي إنساني غزير وثروة عملاقة لتطبيقات ميدانية تاريخية ومعاصرة مع هذه القيم والمباديء جديرة بالاحترام والتقدير، وجديرة بالتعامل معها والأخذ بفضائلها والاستفادة من تجاربها العلمية، والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والعسكرية والأمنية والصناعية والزراعية والتجارية وغيرها إلا أنهم في الغالب تخلفوا عن مواصلة السير الحضاري المادي- إلا من رحم ربي- لأسباب من داخلهم ولأسباب من خارجهم تكالبت عليهم فأحدثت خللاً كبيراً في مسيرتهم، فهم يعانون من خلل في ميادين الماديات والوسائل والمهارات كما أن غيرهم يعاني خللاً في القيم والمباديء والأخلاقيات، فهناك خلل لدى الفريقين. . ونداؤنا للجميع أن يتداركوا الخلل ويصلحوا مناهج السير الحضاري لديهم لتكون في توازن

وتكامل . . توازن الأخلاق والمهارات وفق منهج الاستخلاف الرباني لعمارة الأرض . . ليستقيم من بعد السير الحضاري العالمي . . وتتحقق ثماره الطيبة المنشودة للناس جميعاً على السواء مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**﴾[1] .

---

(١) سورة ابراهيم : ٢٤ .

الفصل السادس :

● المملكة العربية السعودية والنهج الحضاري.

الفصل السادس:

المملكة العربية السعودية
.. والنهج الحضاري

نحن المسلمين.. نتحدث كثيراً وبصوت عالٍ عن الحضارة الإسلامية ونفخر بنهجنا الحضاري.. ونعتقد بأنه يحق لنا ذلك.. لأمرين.. أولاهما: أن حضارتنا الإسلامية قامت وتقوم على أساس من قيم ومباديء وضوابط ديننا الإسلامي.. الذي نعتقد ونؤمن بأنه منهاج ربنا ورب الناس جميعاً ورب السموات والأرض ومابينهما.. المنهج الرباني الذي ارتضاه سبحانه لنا وللناس في الأرض.. وثانيهما: أن واقعنا التاريخي، وواقعنا المعاصر يشهدان بجدارتنا الحضارية، وعطائنا الحضاري، وإبداعاتنا الحضارية، حيث تؤكد آثارنا الحضارية القيمية والمادية، بكل تنوعاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والبيئية بصدق مانقول وحقيقة مانفخر به، ولا نحسب منصفاً أو محايداً أو موضوعياً ينكر شيئاً من ذلك أو يجادلنا في ذلك.. ماعدا استثناءة واحدة ومن بعض الناس لا جلّهم.. ألا وهي واقعنا المعاصر. فإن البعض يتوقف عندها، ليقول: إننا على استعداد لأن نجاريكم ونقبل منكم التحدث عن ماضٍ حضاري لكم.. ونشهد اعتماداً منا على كتب التاريخ وبعض الآثار المحفوظة بأنه كان

لكم حضارة، وقدم أجدادكم إضافات حضارية. . ولكن تاريخكم المعاصر والفترة التي سبقته بقليل، يؤكد أنكم عجزتم عن مواكبة السير الحضاري ومتطلباته ووسائله، فقعدتم وقعدت بكم ثقافتكم ومنهاجكم عن متابعة مابدأتموه من مساهمة حضارية تحمد لكم في فترة من الزمن. . فتخلفتم وتجاوزتكم مسيرة الحضارة إلى غيركم. . وذلك بسبب أنكم ألزمتم أنفسكم بمنهج معين- الإسلام- وحبستم أنفسكم في قيود تعاليمه ومبادئه، وأوقفتم أنفسكم على ذلك، وأقنعتم أنفسكم بأن هذا المنهج يصلح لكل زمان ومكان. . مع أن منطق الأشياء ومعايير الحداثة والتطوير، تقول. . بضرورة التحديث والتغيير والتجديد مع تغير الزمان والمكان. . هذه مقولة . . يقولها لنا غير المسلمين. . ويقولها أيضاً أناس من أبناء جلدتنا يدينون بديننا ويُسمَّون بمسمياتنا، اقتنعوا بمقولة الآخرين وآمنوا بها وتحمسوا لها، وراحوا يناضلون ويصارعون من أجل إشاعتها وحمل أجيالنا على الإقتناع بها واعتقادها والعمل بها على حساب قيمهم ومبادئهم ومنهجهم الرباني الخالد. . وهناك فريق آخر يجادلنا في مقولة واقعنا المعاصر وشهادته على نهجنا الحضاري. . فيرفض ذلك ويكذبه، ويقول إن تاريخنا الحضاري انتهى في أحسن الأحوال بالخلافة العثمانية، وتفكك دولة الخلافة وتشرذم مجتمعاتها إلى دويلات قطرية هي التي تمثل واقعنا الحالي تخلفاً وضعفاً وغياباً حضارياً مخزياً. .
وهذا الفريق يميزه عن الفريق الأول أنه يؤمن بالإسلام إيماناً قاطعاً يؤكده بالقول والعمل، بل يعتبر نفسه متميزاً في إسلامه وإيمانه ومتميزاً في إخلاصه وتجرده، ومتميزاً في صدق عاطفته وغيرته على الإسلام والمسلمين، بل متميزاً في منهجه ووضوح رؤيته وصحة تصوراته ،

وينطلق في إقتناعه بغياب الشاهد الحضاري المعاصر للإسلام.. من مقولة التفسير التآمري لكل مايجري في واقع أمتنا المعاصر. وأن المؤامرة الصهيونية الصليبية التي أسقطت الخلافة.. هي صاحبة الأمر والنهي في كل تفصيلات الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي أحدثته المؤامرة بعد سقوط الخلافة دون استثناء.. وهم بذلك يعتقدون بأن الخيرية الإسلامية قد غابت عن الواقع البشري سياسياً وثقافياً، إلا مايمثلونه هم من هذا الواقع.. ونحن هنا لا نشير إلى فئة معينة أو جهة معينة أو حزب معين أو تنظيم معين، أو تيار معين لأن كل واحد منهم إلا من رحم ربي وهم قليل، يقول هذه المقولة وينسب تمام الخيرية إليه، ويتهم غيره بما ينقص منهجه ويتهم صلاحيته للنهوض بمهمة التصحيح والترشيد وتحقيق الخيرية الغائبة.. أقول لا نتحدث عن فئة معينة ولكن نتحدث عن ظاهرة تساهم بها جهات كثيرة كل حسب فهمه وجهده.. ولكن يجمعهم جامع واحد وقاسم مشترك واحد وهو إيمانهم بغياب الشاهد الحضاري المعاصر للإسلام والمسلمين على مستوى الدولة.. ويفسرون قول رسول الله ﷺ **«لاتزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»**[1] وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام **«إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للمسلمين أمر دينهم»**[2] إن المقصود بذلك، الأشخاص والجماعات فحسب، فهم الذين يمثلون هذه الخيرية في واقع حياة المسلمين المعاصر، وأنه لا وجود لهذه الخيرية على مستوى الساسة والقادة والدول بلا استثناء، وحتى هذه الرايات السياسية والدول التي تتحدث عن

---

(١) سنن ابن ماجة، وفي صحيح مسلم: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

(٢) أخرجه أبوداود في سننه عن أبي هريرة- انظر كتاب الملاحم- باب مايذكر في قرن المائة.

الإسلام والأخذ به والتزامه أو الراغبة في التزامه، أو التي تؤكد أنها قامت بالإسلام وعلى أساس الإسلام، وأنها تصر على تطبيق شريعة الإسلام فهي بنظرهم متهمة ابتداء، وماتفعله بنظرهم إنما هو بتصورهم من باب التمثيل ومخادعة الشعوب، بل أن مقولتها بالإسلام هي لون من ألوان المؤامرة الدائمة المستمرة في واقعنا المعاصر. . وياليتها لم تفعل فإنه أفضل للإسلام والمسلمين. . ؟! -على حد قول بعضهم- وجواباً على مقولة الفريقين الأول منهما وهو الفريق المخدوع المفتون بمقولة الآخر وظلمه وحقده والفريق الثاني الموهوم المغرور المغالي المتجني على نفسه وأهله. . نقول رويدكما. . ماهكذا ياسعد تورد الإبل. . ونقول للفريق الأول الذي يرى أن الإسلام قد استنفذ طاقته وكفاءته وانتهت صلاحيته مع انتهاء زمانه. . نقول لهم. . لا حرج عليكم وقد قيدتم عقولكم وتفكيركم بمنطق الموضات وكيمياء المعلبات وصرعات التغيير للتغيير. . وشفقة بكم في إرشادكم وواجباً منا في النصح والمناصحة نقول. . الإسلام الذي تحسبونه قد انقضى زمانه هو نفسه الإسلام الذي يناديكم وينادي الناس جميعاً مطالباً بـ:

١- التعارف والتعايش العالمي:

﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(١).

٢- إقامة العدل بين الناس :

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾(٢).

---

(١) الحجرات آية ١٣ .

(٢) الحجرات آية ٥٨ .

٣- عدم الإكراه في الاعتقاد :

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[(١)]، **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**[(٢)].

٤- كفالة اليتيم ورعايته :

﴿ولاتقربوا مال اليتيم حتى يبلغ أشده﴾[(٣)].

٥- تكريم الإنسان لآدميته :

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[(٤)].

٦- النهي عن الفاحشة والرذيلة :

﴿ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن﴾[(٥)]

٧- ترشيد الإنفاق وذم التقتير :

﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[(٦)].

٨- التحفيز على الزراعة :

﴿إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع الا يقوم حتى يغرسهافليفعل﴾[(٧)].

٩- النهي عن قتل الإنسان والتعظيم من شأن الأنفس :

﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾[(٨)].

---

(١) البقرة آية ٢٥٦ .
(٢) يونس آية ٩٩ .
(٣) الأنعام آية ١٥٢ .
(٤) الإسراء آية ٧٠ .
(٥) الأنعام آية ١٥١ .
(٦) الفرقان آية ٦٧ .
(٧) أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك .
(٨) المائدة آية ٣٢ .

١٠ - المطالبة والتحفيز على حفظ الأنفس وحياتها :

﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾[١]

١١ - الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق :

﴿ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[٢] .

﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾[٣] .

١٢ - الأمانة التجارية :

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . . ﴾[٤]

١٣ - الدعوة إلى التواضع والترفع عن المهاترات والرد بالحسنى .

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[٥] .

١٤ - عدم الاعتداء على أعراض الآخرين :

﴿ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[٦]

١٥ - النهي عن الظلم بشهادة الزور :

﴿والذين لايشهدون الزور . . ﴾[٧] .

١٦ - الدعوة للسعي في الأرض وتسخير مكنوناتها :

﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[٨] .

---

(١) المائدة آية ٣٢ .
(٢) المائدة آية ١ .
(٣) الأنفال آية ٧٢ .
(٤) الأنعام آية ١٥٢ .
(٥) الفرقان آية ٦٣ .
(٦) الإسراء آية ٣٢ .
(٧) الفرقان آية ٧٢ .
(٨) الملك آية ١٥ .

١٧- الدعوة إلى العلم :

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[١] .

١٨- الدعوة إلى التفتيش عن الثروات في السموات والأرض :

﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض . . ﴾[٢] .

﴿وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه﴾[٣] .

١٩- دعوة إلى الملاحة البحرية :

﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره﴾[٤] .

٢٠- الدعوة إلى استثمار الثروات السمكية :

﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾[٥] .

٢١- الدعوة إلى استثمار الثروة المائية :

﴿وسخر لكم الأنهار . . ﴾[٦] .

٢٢- المحافظة على البيئة :

﴿ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾[٧] .

٢٣- محاربة الفساد :

﴿ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾[٨] .

٢٤- محاربة الاحتكار :

«من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس»[٩] .

---

(١) الزمر آية ٩ .
(٢) يونس آية ١٠١ .
(٣) الجاثية آية ١٣ .
(٤) الجاثية آية ١٢ .
(٥) النحل آية ١٤ .
(٦) إبراهيم آية ٣٢ .
(٧) الأعراف آية ٥٦ .
(٨) هود آية ٨٥ .
(٩) سنن ابن ماجة .

٢٥- الدعوة إلى النفع العام :

«خير الناس من ينفع الناس»(١) .

٢٦- الترغيب في التجارة :

«وتسعة أعشار الرزق في التجارة(٢) .

٢٧- الدعوة إلى الدفاع عن النفس والنهي عن الاعتداء :

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾(٣) .

٢٨- عدم الاعتداء على الأموال :

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾(٤)

٢٩- محاربة المسكرات والشعوذات :

﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان . . ﴾(٥)

٣٠- محاربة المخدرات :

«كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام»(٦)

٣١- الاهتمام بالأمن الاجتماعي :

﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به . ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم . . ﴾(٧) .

---

(١) انظر كنز العمال فيما ذكره المتقي الهندي .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور عن نعيم بن عبدالرحمن الأزدي ويحيى بن جابر.
(٣) البقرة آية ١٩٠ . (٤) البقرة آية ١٨٨ . (٥) المائدة آية ٩٠ .
(٦) أخرجه أبوداود في سننه - كتاب الأشربة - باب النهي عن المسكر (٧) النساء آية ٨٣ .

٣٢- التضامن الاجتماعي:

«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم»[١].

٣٣- محاربة الرق والمجاعات:

﴿وما أدراك مالعقبة * فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾[٢].

فهذا غيض من فيض لا تنتهي كلماته ولا تحد خيراته، وبعد نقول لكم.. إذا لم يكن العدل والأمن والرخاء والسلام والمساواة والحرية والتكافل الاجتماعي والتجارة والصناعة والزراعة والتكنولوجيا والعلم والاقتصاد والاستثمار والمحافظة على البيئة ومحاربة الفساد ومحاربة الرذائل والفواحش.. وغيرها مما يدعو إليه الإسلام، إذا لم يكن هذا كله مما يلبي حاجات المعاصرة ومتطلباتها، فما هي حاجات المعاصرة عندكم ياترى..؟ هل هي إباحة اللواط ووضع تشريعاته الدستورية..؟ أم إباحة الزنا وفوضى الجنس؟.. أم دعواتكم لحرية الجنس للمراهقين والأطفال..؟ أم مطالبتكم بانتهاك حرمة الأسرة وترابطها ودعوتكم لإباحة الاتصال الجنسي الأسري..؟ أم هي جرائم القتل والسطو التي أصبحت سمة العصر في أكبر مدن العالم..؟ أم شرعة التصفيات والإبادة العرقية والدينية على امتداد الأرض؟.. إن كانت هذه ومثيلاتها عندكم من المعاصرة الحضارية التي لا يصلح الإسلام لها ولا يقرها.. فنحن معكم نقول ونؤكد بأن الإسلام لا يصلح لها ولا يقرها بل جاء لتطهير الأرض والعباد منها ومن رجسها، وهاهم عقلاء العالم يعلنون حربهم معنا عليها، وستبقون وحدكم معها في خنادق الشيطان، إلا إذا

---

(١) حديث شريف.

(٢) البلد الآيات: ١٢، ١٣، ١٤.

آب إليكم رشدكم وهذا مانرجوه لكم مخلصين.. أما جوابنا للفريق الآخر، الذي تملك التفسير التآمري المطلق من عقله وشل تفكيره وزين له غلوّه وبرر له التجني على إخوانه وانتهاك حرمة إيمانهم واعتقادهم، واتهام نواياهم وسرائرهم، نقول لهم ابتداء.. (نحن لا ننكر المؤامرة ولانريد أن نتجاهل فعلها.. ونعتقد مثلكم ومثل الآخرين بوجودها.. وبوجود من يخدمها ويسهل مهمتها من داخل أمتنا أفراداً وجماعات وحكومات ولكننا لسنا مع هوس التفسير التآمري المطلق لكل حدث أو ظاهرة أو مرحلة أو عمل حتى لو كان شعاره ولغته وصفته الإسلام كما هو منهجكم..؟؟!!! فحسن الظن مقدم عندنا على سوء الظن التزاماً بمنهج الإسلام وآدابه كما يأمرنا ربنا جلّ شأنه في قوله تعالى ﴿.. **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بماتعملون خبيراً**﴾[1] وكما في قوله جلّ شأنه ﴿**وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾[2] أما عن مقولتكم بأن الخيرية المقصودة في حديث رسول الله ﷺ «**لاتزال طائفة من أمتي...**»[3] إنما هم الأفراد والجماعات الدينية فحسب فهذا تخصيص فيه اعتداء على رسول الله ﷺ، واعتداء على فهم صحبه رضوان الله عليهم والسلف الصالح من أمتنا واعتداء على منهجية الإسلام، التي لاتتسع لهذا الفهم الغريب العقيم الذي يتناقض مع قول الله تعالى: ﴿**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾[4].

---

(١) النساء: ٩٤

(٢) الشعراء: ١٨٢-١٨٣.

(٣) سنن ابن ماجة.

(٤) الأعراف ١٨١.

إن هذه الآية الكريمة تؤكد سعة معنى «طائفة» لترتقي إلى مستوى الأمة بمعناها العام لا بمعناها الخاص ﴿**إن إبراهيم كان أمة**﴾[1] أو ﴿. . **ووجد عليه أمة من الناس يسقون**﴾[2] بل لتصل إلى معنى الدولة والحاكمية بالتحديد لأن إقامة العدل وإنفاذ مقتضاه إنما هو من شأن الدولة والإمامة ويحتاج لسلطان الدولة والإمامة. وهذا هو الأساس الذي فهم به سلف هذه الأمة كتاب الله وسنة رسوله في آيات الأحكام، لقد فهموا مثلاً قول رسول الله ﷺ «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[3] إن جمهور العلماء فهموا هذا الحديث على التخصيص لا على التعميم أي معنى تخصيص الصلاحيات لا تعميمها فقالوا إن التغيير باليد من شأن الإمام أو الدولة والتغيير باللسان من شأن الدعاة والمصلحين. . والتغيير بالقلب من شأن العامة أو حسب مقتضى الحال. . وبالعودة إلى تفسير ابن كثير للوقوف على تفسير قوله تعالى: ﴿**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾[4] نجد مايلي[5]:

يقول تعالى: ﴿**وممن خلقنا**﴾ أي بعض الأمة (أمة) قائمة بالحق قولاً وعملاً يهدون بالحق، يقولونه ويدعون إليه ﴿**وبه يعدلون**﴾ يعملون ويقضون، وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية، قال سعيد عن قتادة في تفسير هذه الآية بلغنا أن النبي

(١) النحل: ١٢٠.
(٢) القصص: ٢٣.
(٣) صحيح مسلم ج٢ - ص٢٢.
(٤) الأعراف: ١٨١.
(٥) ابن كثير - المجلد الثاني - ص٢٦٩ ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها»، ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[1]. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال: قال رسول الله ﷺ «إن من أمتي قوماً على الحق حتى يتنزل عيسى بن مريم متى انزل» وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال: رسول الله ﷺ «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى تقوم الساعة»[2] وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وفي رواية (وهم بالشام) انتهى ماجاء في تفسير ابن كثير. وواضح من قوله في معنى (يهدون بالحق) يقولونه ويدعون إليه، وفي معنى (وبه يعدلون) يعملون ويقضون، وفي قول رسول الله ﷺ «هذه لكم» إنما يؤكد المعنى الذي يطال الدولة والإمامة فالقضاء من شأن الدولة والإمامة، و«هذه لكم» والرسول بين ظهرانيهم فهو دولة وخلاصة الفهم والقول في معنى «لاتزال طائفة من أمتي قائمة على الحق..» أنها تشمل الأفراد والجماعات والدولة، وبهذا الفهم نقول باستمرارية سلطان الله تعالى في الأرض وأن دولة الإسلام لا تغيب عن الوجود حتى يأتي أمر الله.. نعم إنه ينتابها الضعف والدخن كما هو في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلا أن ذلك لا يغيّبها ولا يلغي وجودها وحالها من حال أمرائها ضعفاً وقوة وإخلاصاً وتجرداً وعدلاً وظلماً وصلاحاً وفسقاً، إلا أنها تبقى دولة مسلمة تمثل شوكة الإسلام وراية الإسلام وإستمرارية إمامة الإسلام، وحضور أمة الإسلام وحقوق المسلمين وواجباتهم وإرثهم وتاريخهم، وحصانة حقوقهم

(١) الأعراف ١٥٩.

(٢) صحيح الإمام مسلم. وفي رواية لابن ماجه في سننه «لاتزال طائفة من أمتي منصورين لايضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».

الجغرافية بين الأمم. . التي لا تكون إلا بالدولة والإمامة. . وعلى هذا الأساس تسقط مقولة عدم إمكانية قيام الشهود الحضاري للدولة المسلمة، وتسقط معه مقولة حتمية وغياب الواقع الحضاري المعاصر للأمة الإسلامية، ولكن يبقى السؤال يواجهنا به فريق ثالث ممن يريد أن ينصفنا بعد أن اقتنع معنا نظرياً بحديثنا عن الإسلام ومنهجه الحضاري فيقول. . إنكم تتحدثون عن قيم الإسلام ومباديء الإسلام ومقاصد الإسلام وتعاليم الإسلام وتقدمون لنا نصوصاً من القرآن والسنة، ونماذج ميدانية تاريخية للعدل الإسلامي والمساواة والحرية والشورى والأمن، والتكافل الاجتماعي، والبحث العلمي وتطبيقاته المتنوعة وغيرها من الإيجابيات والفضائل، مما يؤكد ويصدق حديثكم عن الإسلام وكفاءته الحضارية مما يحملنا على الاقتناع بما تقولون، ويحفزنا على رؤية هذا النموذج في حياتكم لنزداد إيماناً به ويقيناً بجدارته الحضارية، ولكننا نتلفت يمنة ويسرة فلا نجد واقعاً حياً ومعاصراً يشهد بذلك ويبرهن عليه ويقدمه للناس كنموذج ميداني يُقتدى به ويؤخذ بتجربته، أو يقيم الحجة التجريبية الميدانية على عناد الرافضين والمعادين لقيمه وتعاليمه ويحولون بين الناس وبين هذا المنهج العظيم. . وجواباً نقول. . إننا ابتداءً يصدمنا هذا التساؤل. . فيثير في أنفسنا تساؤلاً مقابلاً. . من أين تولدت هذه الغربة أو هذه الجهالة عند هؤلاء المتسائلين. . ؟ عن معرفة أوضاع بلدان المسلمين القريبة منهم والبعيدة، ومعرفة طبيعة النظم القائمة فيها، والواقع الميداني لكل نظام وتطبيقاته الإيجابية والسلبية، وآثارها على أرضه وبين أبناء شعبه. . وهل هذه ياترى غربة واقعية مصدرها التمحيص والتدقيق والتصور الموضوعي لأحوال البلاد

الإسلامية؟ أم مصدرها التجاهل المتعمد والجحود لما هو معلوم ومدرك لديهم؟ أم أنها من باب الجدل المغرض المكابر أو المماحكة الجاحدة المعاندة أو التعامي الحاسد الحاقد..؟ ولنحسن الظن فإنه أولى بالمسلم وأولى بموضوعية الحوار، ولنعتبر أن مصدر هذا التساؤل.. هو عدم معرفة الواقع أو عدم الاطلاع الميداني على واقع بعض المجتمعات الإسلامية أو أن هذا التساؤل جاء نتيجة لفعل إعلامي مضاد أو تقصير إعلامي من أهل الواقع ابتداءً أو تعتيم إعلامي من جهات يحرجها أن تتعرف الأجيال على واقع ميداني يمثل قيم الإسلام ومباديء الإسلام ومنهج الإسلام، لأغراض تريدها أو مقاصد تسعى لتحقيقها.. ولإزالة هذا اللبس أياً كانت أسبابه، ولتوضيح هذا الغموض أياً كانت دوافعه، واستجابة لهذا التساؤل بصرف النظر عن اقتناعنا بأسباب انبعاثه على الأقل في نفوس الفريق الذي يعيش على أرض الواقع الذي سأقدمه جواباً على هذا التساؤل ألا وهو **المملكة العربية السعودية**، باعتبارها واقعاً أعيشه، وألمس آثار منهجيته، في حياة الناس الفردية والأسرية والاجتماعية والثقافية والسياسية والأمنية، والزراعية والصناعية والتجارية، وارتباط ذلك كله بالإسلام عقيدة وفكرة ومنهاجاً ونظام حياة، فهي إن شاء الله شهادة من داخل المملكة وخارجها ممن عبروا البلاد وأقاموا فيها، ولديهم نوازع الإنصاف والموضوعية والعلمية والتجرد في تقويم مايلمسون ويعيشون.. وهم بفضل الله كثير وكثير. فالمملكة العربية السعودية بفضل الله تعالى وبتحقيق وعده الذي قطعه سبحانه على نفسه هي في الواقع محضن هذا الإسلام المحفوظ بأمر الله حتى قيام الساعة ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ولحكمته البالغة ومراده

الغالب سبحانه **﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾** ولقول رسول الله ﷺ : «**لاتزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[1] ولقوله عليه الصلاة والسلام : «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»[2] ولقوله عليه أفضل الصلاة والتسليم «**الجزيرة العربية لا يجتمع فيها دينان**» قد اختار الله سبحانه وتعالى أرضها وقلبها المقدس مكة المكرمة لتكون مهبط وحيه المطهر سبحانه، ومبعث نور رسالته العظيمة، رسالة الإسلام، ومنارة الهدي الرباني في الأرض، وقيض لها على مدار الزمان رجالاً اصطفاهم سبحانه لتلقي هذا النور العظيم المبارك، وليصدعوا به عبودية لربهم وخالقهم، يقيمونه في حياتهم وحياة أجيالهم، ويدعون الناس إليه من حولهم . . ابتداء بسيد الخلق وخاتم الأنبياء والرسل سيدنا ونبينا ورسولنا وإمامنا محمد بن عبدالله الرسول النبي الأمي المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، ومروراً بخلفائه الأبرار أئمة الرشد والهدى (أبوبكر وعمر وعثمان وعلي) عليهم جميعاً رضوان الله وسلامه . . وسار على منهجهم أئمة المسلمين على مر العصور والدهور والعهود الأموية والعباسية والأندلسية والعثمانية . . وحدث خلل وتمزق أمر أمة الإسلام وتبعثر كيانها، وضعف شأن المسلمين وازداد كيد الأعداء واشتد مكرهم وحقدهم، وتزعزعت هيبة المسلمين في نفوسهم، فسيطروا على معظم بلدانهم، ونهبوا خيراتهم، وعبثوا في تربية أجيالهم . . محاولين إفساد عقائدهم ومسخوا ثقافاتهم ولكن هذا العبث الحاقد، كان يواجه دائماً بثبات هذه الأمة على معتقداتها، وصلابة إيمانها بهويتها وأصالتها،

---

(١) سنن ابن ماجة .

(٢) أخرجه أبوداود في سننه - كتاب الملاحم - باب مايذكر في قرن المائة .

وانبعثت حركات التحرر والإصلاح والمقاومة في كل مكان أصيب به المسلمون فتحررت كثير من بلاد المسلمين واستعادت حريتها واستقلالها وسيادتها، وفي الجزيرة العربية التي أصابها ما أصاب جسم الأمة الإسلامية، أصابها خلل في العقائد والعبادات وخلل في الالتزام الجاد بالإسلام ومنهجه، وأصابتها الفرقة والتمزق.. فقيض الله تعالى لها إمامين جليلين مخلصين نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وهما الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله والإمام محمد بن سعود رحمه الله فتعاهدا على الإصلاح والترشيد لتصحيح ما أصاب البلاد والعباد من شر وبعد عن دين الله وإقامة شريعة الإسلام.. وقد حالفهم التوفيق والنجاح بفضل الله وعونه، وبدأت الأمة تستعيد عافيتها في عقائدها وعبادتها وسلوكياتها ومسؤولياتها ونما هذا الخير واتسعت آثاره الطيبة المباركة، وانتهى أمر هذه الحركة الاصلاحية من بعد إلى الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله فتابع المسيرة مجدداً العهد على المضي بطريق الإصلاح على أساس من عقيدة الإسلام وشريعته فوحد كيان هذه المملكة العربية السعودية، وأرسى بذلك من جديد قواعد وأسس الدولة الإسلامية المعاصرة، وأكد ثوابتها ومنطلقاتها، وأصل قيمها ومثلها على أساس الإسلام وشريعة الإسلام، في ميادين بنائها الداخلي وعلاقاتها الخارجية، مترجماً بذلك منهجية الإسلام بتكاملها وشمولها في الحكم والسياسة، المنهجية القائمة على التوازن الموضوعي بين عالم القيم والمباديء والسلوكيات على أساس من عقيدة الإسلام وبين عالم الماديات والوسائل والمهارات، على أساس من تعاليم الإسلام، المنهجية القائمة على تأكيد وصيانة الخصوصية الإسلامية المتزنة الهادئة، مع التأكيد على التزام

مباديء الإسلام في التعايش مع الناس جميعاً، والتدافع والتعاون معهم في كل مايحقق أسباب صرف الفساد عن الأرض ومجتمعاتها البشرية، في إطار من الاحترام والتقدير المتبادل، وفي إطار من التعاون الإيجابي لتحقيق المصالح المشتركة لخير المجتمعات البشرية وأمنها واستقرارها، وتنمية كل ما من شأنه تحقيق كرامة الإنسان وحريته، وإقامة العدل بين الناس، أجل على أساس من هذه الثوابت، والمنطلقات والقيم، رسخت دعائم وأسس بناء المجتمع الإسلامي في المملكة العربية السعودية، وأصلت أدبيات وضوابط العلاقة بين شرائحه وفعالياته الاجتماعية، في إطار من بلورة لأصول الإيمان وعقيدة التوحيد، مع بلورة واضحة لقيم السمع والطاعة لقيادة البلاد في إطار الولاء الكامل والخالص من الراعي والرعية لشريعة الإسلام وعقيدة الإسلام وقيمه ومبادئه، وحب الوطن والذود عن سيادة الأمة ومقدساتها، وهكذا وعلى أساس من هذه المنهجية الإسلامية الشاملة الكاملة المتزنة، شمخت صروح هذه الدولة الإسلامية الرائدة، ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وتنموياً وأمنياً. . ولتكون كما وصفها أحد أبرز رجالات الإصلاح في التاريخ المعاصر الأستاذ العلامة الشيخ المجاهد حسن البنا رحمه الله إذ يقول (من كان يظن أن الملك عبدالعزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً، ثم يكون بعد ذلك أملاً من آمال العالم الإسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته؟ من رسالته إلى أي شيء ندعو الناس- ص٥٤ .

وتمضي المسيرة في تحقيق هذا الأمل الإسلامي الكبير، ويتلقف أبناء الملك عبدالعزيز الراية من بعده، مؤكدين التزامهم بالمسيرة المباركة، مجددين العهد على السير وفق منهجها الرباني الخالد، وتأكيد العمل والحكم بشريعة الإسلام، وامتثال قيمه ومبادئه وتعاليمه في كل شأن من

شؤون بلادهم، وبارك الله سبحانه وتعالى في السير وتطورت المملكة تطوراً قياسياً في زمن قياسي في جميع المجالات، التعليمية والتربوية والعمرانية والصحية والصناعية والزراعية والتجارية، وتكاملت البنية التحتية للبلاد بكل مقوماتها الحضارية وعلى أحسن مستوى وبأجودها كماً وكيفاً.

وذات مرة ابتدرني أخ كريم يعيش في الغرب منذ أمد بعيد وقد كنت أتحدث في ندوة عن موضوع تحت عنوان «الأمة الإسلامية وأزمة الاستئناف الحضاري»، وتعرضت في حديثي للتجربة السعودية كنموذج إسلامي يشق طريقها متخطياً هذه الأزمة وأسبابها وسقت أمثلة ميدانية توضح ما أقول حول المملكة العربية السعودية ومنهجها الحضاري.. أقول ابتدرني ذلك الأخ قائلاً «يادكتور» إنك تحدثنا عن أشياء لاتزال عندنا أحلاماً، والمعلومات التي لدينا بما يكتب وينقل تؤكد بأنه لايوجد في العالم العربي والإسلامي اليوم دولة واحدة تريد الإسلام ابتداءً فضلاً عن أنها تقيمه وتلتزمه بالشكل الذي تقول، ومع ثقتي بكم أخشى أن يكون هذا الذي تقول من المبالغات التي تعودناها والتي سرعان مايثبت الواقع خلافها وينقضها فيحرج القائلون بها ونحرج معهم عندما نتحدث بها نقلاً عنهم ثقة بهم وبما يحدثون.. لذا أردت آسفاً أن أسمعكم مافي نفسي راجياً أن تقدموا الدليل على حقيقة ماتقولون وشكراً لكم مع اعتذاري لكم إن كنت أسأت.. فقلت لذاك الأخ الكريم.. والله ياأخي ماأسأت ولكنك أفصحت كما قلت عما في نفسك.. وهذا من الرجولة والموضوعية والصدق على الحقيقة.. أما عن الدليل فإن كنت تقصد بالدليل النظري النصي بالمصطلح الفقهي أي من الكتاب والسنة؟ فأعترف وأعلن ابتداءً أنه ليس لدي نصٌ من الكتاب والسنة

يتحدث عن التجربة السعودية باسمها، لأن الوحي كما تعلمون انقطع مع موت رسول الله ﷺ ، أما إن كنت تقصد بذلك دليلاً ميدانياً ووقائع شاخصة مشهودة للداني والقاصي (وأرجح أنك تقصد ذلك) فأنا لا أملك هنا إلا النقل لأمور ووقائع لا أحسب أحداً من الحضور ممن زار المملكة أو مكث فيها أو عمل فيها وهم كما أشاهد عدد ليس بقليل، يستطيع أن ينكر أو يتجاهل ماسأحدثكم عنه، إلا إذا كان جاحداً أو حاقداً وابتداءً أنزه هذا الحضور المبارك من أن يكون منهم أو معهم جاحد أو حاقد ولا أزكي على الله أحد ولكن هكذا أحسبكم والله سبحانه حسيبكم. . اسمع ياأخي والحديث لكم جميعاً أيها الأحباب في الله تعالى. . تعلمون جميعاً أن المقاصد الحضارية في منهج الإسلام قد حددها فقهاء الأمة وعلماؤها بكليات مقاصد الشريعة وضروراتها ومحسناتها وهي:

١- حفظ الدين.

٢- حفظ النفس.

٣- حفظ العقل.

٤- حفظ العرض.

٥- حفظ المال.

فهذه المنظومة الخماسية ومقتضياتها ومحسناتها، تمثل منهج الإسلام في السير الحضاري فالإيمان بها والتزامها والأخذ بها والتكامل وإقامة التوازنية بينها، هو المعيار الذي نحكم به على صحة السير الحضاري عند الناس، ونقوّم على أساسه والتزامه أي تجربة حضارية في واقع أمتنا الإسلامية في ماضيها وحاضرها يستثنى من ذلك قرون الخيرية المقطوع بأمر خيريتها والتي حدثنا عنها رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه

لقوله «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . .**» وكذلك عهود الخيرية التي أجمع علماء الأمة على خيريتها مثل عهد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه . . أما ما عدا ذلك فيخضع بالتقويم لهذه المنظومة الحضارية ومقوماتها وضروراتها ومحسناتها . . فأي واقع حضاري لأمتنا في أي بلد من بلدانها يرتقي بنظرنا أو يهبط بمقدار التزامه بهذه المنظومة والارتقاء بنفسه على أساس منها أو بمقدار هجرانها والبعد عنها والتنكب عنها لغيرها من المنظومات الحضارية الأخرى والمملكة العربية السعودية مثل غيرها تخضع في التقويم لهذا المعيار وبه وعلى أساسه يحاكم واقعها ويحكم عليه وتحدد درجة خيريته بكل موضوعية وعلمية وتجرد . . ولنبدأ بالمقوم الأول من هذه المنظومة وهو «حفظ الدين» والدين كما تعلمون وباختصار أجسبه موضع إجماع عند العلماء (عقيدة وعبادة ومعاملة) ولنبدأ بسؤال بشأن العقيدة، فهل لدى أحد منكم معلومة منقولة أو مشهودة أي شاهدها بنفسه تنبيء بأن عقيدة الناس هناك في خطر أو أن النهج القائم يعمل على انتهاك عقائد الناس أو تشويهها أو الانحراف بها أو إضعافها؟ فهل مناهج التعليم فيها توصي بذلك ياترى من قريب أو بعيد . . ؟ وهي كما تعلمون أخطر ميدان من ميادين التربية إيجاباً وسلباً، أما شهادتي باعتباري أحد العاملين في حقل التعليم وعلى صلة مباشرة بمناهج التعليم بالمملكة منذ نيّف وربع قرن، وأمامي هنا زملاء كرام في هذا الميدان كانوا سابقاً في المملكة، فأقول أمامهم وبكل الثقة والمسؤولية إن شاء الله لا أعرف لفظة واحدة تتنافى أو تتصادم مع عقيدة أهل السنة والجماعة في كل مناهج التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي في المملكة العربية السعودية، بل أعرف وأعلم أن بعض الإخوة من الزملاء من المتعاقدين ممن يمارسون

التعليم يقولون من باب المداعبة (إن إخواننا السعوديين زودوها حبتين) أي بتأكيدهم الزائد على موضوع العقيدة والتوحيد، والذي أعلمه أيضاً أن بعض علماء المملكة وشبابها متهمون بالتشدد وبتوسيع دائرة الأصول لتطال بعض الفروع غيرة منهم وتأكيداً على قضية التوحيد والأصول، وهنا أقول تبرأة للنفس وشهادة للحق، إن علماء المملكة الكبار الذين يصدق بحقهم كلمة العلماء مبرأون من هذه التهمة وأن مثل هذا التشدد والتوسع إنما يمارسه بعض طلبة العلم وبعض الشباب المتحمس.. وهذا أحسبه مما هو مألوف في تاريخ الأمة بعامة.. أما العبادات والتي أساسها الصلاة عهد المؤمنين مع ربهم وإيمانهم كما قال رسول الله ﷺ **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين»**[1] فالذي أعلمه ويعلمه كل من عاش في المملكة وهو مدون رسمياً ومعمول به يومياً .. أن الصلاة في المملكة مدرجة في النظام الإداري في الدولة، داخلة في مسؤولية الواجب الوظيفي اليومي لكل فرد في الدولة لها وقتها المحدد رسمياً في الدوام تتوقف الدوائر الحكومية في كل مستوياتها ومؤسساتها الرسمية والشعبية لأدائها في وقتها، بل إن الأسواق تغلق لكل صلاة يلتزمها الناس جميعاً ومن شذ عرض نفسه للمساءلة الرسمية والعقوبة المحددة لذلك.. وقل مثل ذلك في فريضة الصيام حيث تتبدل معها ووفق ظروفها حركة الدولة وسيرها ودوامها لتكون في خدمة هذه العبادة السنوية وأحوالها الروحية المتميزة.. وهذا أيضاً شأن الحج الذي لايتسع التفصيل لما يقدم ويبذل من أجل تحقيقه على أرفع مستوى وأسلم سبيل.. أما الزكاة فهي جزء أساس من نظام الدولة أما حالتها

(١) وفي جامع الترمذي: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»- كتاب الإيمان- باب ماجاء في ترك الصلاة.

مع القادرين عليها وهم بفضل الله تعالى وبركته كثيرون في المملكة وإن بعضهم تصل زكواتهم إلى عشرات الملايين يبلغ نفعها المسلمين في الأرض عبر المؤسسات الإسلامية في المملكة وخارجها ومن أراد التفصيل فليطلع على برامج ونشاطات هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وغيرها من المؤسسات الخيرية في المملكة. .

أما المعاملات فإن المملكة منذ تأسيسها قامت على تطبيق الشريعة الإسلامية روحاً ونصاً بل مما يعاب ويؤخذ عليها في الدوائر العالمية، أنه ليس لديها دستورٌ مكتوبٌ بالطريقة والكيفية المتعارف عليها دولياً، وأنها تكتفي بالقرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ دستوراً وأساساً لكل لوائحها الإدارية والتنفيذية المتنوعة وهي تهمة مغلوطة ومرفوضة «وطبعاً هذا الحديث كان في زمن لم يكن بعد قد صدر النظام الأساسي في المملكة وكذلك نظام مجلس الشورى ونظام مجالس المناطق» فالمعاملات التجارية والصناعية والاستثمارية والقضاء والعقوبات وغيرها تسير وتنفذ وفق تعاليم الشريعة الإسلامية وتعاليم الإسلام بعامة. فالدين إذاً في ضوء ماتقدم والذي هو غيض من فيض لو فصلنا فيه لاحتجنا إلى زمن أوسع من زمن هذا اللقاء بكثير فلم نتحدث مثلاً لكم عن الحرمين الشريفين وشؤونهما ولم نتحدث عن مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم وعلومه وترجمته للغات العالم وتوزيعه مجاناً ولم نتحدث عن مدارس تحفيظ القرآن الكريم وجمعيات القرآن الكريم المنتشرة في عرض المملكة وطولها ولم نتحدث عن المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم التي تقام في مكة المكرمة سنوياً ولم نتحدث عن نشاطات الدعوة الإسلامية ومؤسساتها والنشاط المسجدي والندوات والمحاضرات

الدورية في المساجد في جميع أنحاء المملكة وآثارها الطيبة المباركة، لم نحدثكم عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ونشاطها في داخل المملكة وخارجها ومعاهدها المنبثة في أرجاء العالم الإسلامي وفي أوروبا وأمريكا، والدورات العلمية والدعوية التي تقام في قارات الأرض حول الإسلام وتعاليم وقيم الإسلام (وكذلك كان هذا الحديث في وقت لم يكن بعد تشكلت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ومسؤولياتها وبرامجها التي بدأ الجميع يقف على فوائدها وطموحاتها الإيجابية محلياً وعالمياً) وكذلك الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة التي خصصت لاستقبال أبناء العالم الإسلامي. . ونشاط وفعاليات رابطة العالم الإسلامي ومكاتبها المبثوثة في دول العالم[1]، وكذلك الندوة العالمية للشباب الإسلامي وغيرها. . وهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ومجمع الفقه الإسلامي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والآن وفيما بقي من الوقت سأعرض وباختصار لمشاهد ووقائع مقومات مقاصد الشريعة الخمسة والتي كما قلت تمثل بالتزامها والتوازنية بينها معيار السير الحضاري والارتقاء الحضاري. . ولنتحدث عن مقوم «حفظ النفس»

إن حفظ النفس كما هو معلوم لديكم في منهج الإسلام يقوم بالمحافظة على التوازنية بين جوانبها الروحية وجوانبها المادية «الجسم والروح» فالروح يحافظ على فطرتها بتهيئة المناخ الروحي لها وتنمية خصائصها وهذا لا يكون إلا بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وهذا ماتحدثنا عنه في مقوم «حفظ الدين» أما الجسم فيحافظ عليه من حيث

---

(١) للرابطة اثنان وثلاثون مكتباً عاملاً في العالم إضافة إلى عدد من المراكز الإسلامية التي تشرف عليها.

سلامته وعدم الاعتداء على بنائه بما يضره ويشل وظائفه التي خلقه الله تعالى لها، فلا يُغذى إلا بطيب، ولا يَشربُ إلا طيباً فلا يأكل الخبائث ولا يشرب المؤذيات المهلكات كالمخدرات والمسكرات وغيرها، هذا كله بفضل الله تعالى محرم في المملكة العربية السعودية رسمياً بل إن التدخين الذي كانت محاربته من قبل علماء المملكة يشكل موضع تندر واستغراب عند كثيرمن الجهات الإقليمية والعالمية، يأتي بفضل الله تعالى اليوم العالم كله ليقول بمقاله علماء المسلمين حول ضرر التدخين والدعوة إلى منعه ومحاربة آفته، وهاهي الأصوات تتعالى في كل مكان لقطع دابر التعامل معه وهاهي التحذيرات والاعلانات في كل مكان في الغرب (ممنوع التدخين) هذا ماتأخذ به المملكة من أسباب لحفظ النفس وتطهيرها من الآفات المضرة المهلكة أما مايؤخذ به من أسباب لحفظها من اعتداءات الآخرين وبغيهم، إنما يتمثل بإقامة حد القتل (القصاص) على القاتل المعتدي والمحارب المفسد عملاً بقول الله تعالى ﴿**ولكم في الحياة قصاص ياأولي الألباب**﴾ ولقوله تعالى ﴿**أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾ ولقوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾.

وإن إقامة هذا الحد في المملكة العربية السعودية يعتبرعبودية لله تعالى وتطبيقاً لشرعه أولاً ولحفظ الأمن وحماية الأنفس من اعتداءات المجرمين والمفسدين، وكان لذلك بفضل الله تعالى أثر وفضل ملموس في استتباب الأمن واطمئنان الناس على حياتهم ومصالحهم واستقرار

عيشهم، مما يضرب به المثل في كل مكان وعلى كل لسان منصف. . وأن هذه العقوبة التي تنال منها بعض الجهات الثقافية في العالم حيث تصف إقامة الحدود الشرعية بالقسوة والهمجية (على حد زعمهم) فإن عقلاءهم وقادتهم السياسيين يقولون ويؤكدون اليوم بأنه لا سبيل للحد من الجرائم إلا بوضع عقوبات حازمة وشديدة لخفض معدلات الجريمة التي أصبحت تقلقهم وتهدد أمنهم وحضارتهم كما هو واضح في تصريحات وكتابات كل من الرئيس جورباتشوف «في كتابه البيريستوريكا» والرئيس ريتشارد نيكسون «في كتابه الفرصة السانحة».

أما عن مقوم «حفظ العرض» فكما تعلمون وباختصار أيضاً فإن حفظ العرض يقوم على تدابير وقائية وتدابير جزائية، فمن تدابيره الوقائية، التربية الصالحة على أساس الإسلام وتعاليمه وقيمه وهذا بفضل الله تعالى معمول به بكل قوة وحزم في المملكة العربية السعودية، فمناهج التعليم كما بيّنا سابقاً تقوم بالإسلام وقيم الإسلام وآداب الإسلام، والتعليم في المملكة يأخذ بمنهجية عدم الاختلاط بين الذكور والإناث في جميع مراحله التعليمية (الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي) وهذا عبء تربوي ومالي وإداري لا يعرف أبعاده إلا الخبراء والمتخصصون، فإلى جانب كل مرفق تعليمي للذكور مرفق تعليمي للإناث فمثلاً المملكة لديها سبع جامعات بفروعها المتعددة ومعاهدها المخصصة للذكور والإناث وكلها منفصلة تماماً في البناء العمراني والتدريس لا تشترك إلا في الإدارة العليا. . بالإضافة إلى أن هناك مؤسسة مستقلة لتعليم الإناث تحت مسمى الرئاسة العامة لتعليم البنات لها معاهدها وكلياتها المتخصصة وإداراتها المقصورة على الإناث ماعدا هيئة

الرئاسة العليا المركزية في الرياض. . والحجاب بفضل الله تعالى مصان في المملكة في المؤسسات التعليمية وخارجها وفي الأسواق بل إن هناك مراكز تجارية في المملكة متخصصة في شؤون النساء تديرها النساء ولا يرتادها غير النساء، وهناك مصارف مالية متخصصة بالنساء تديرها وترتادها النساء فقط لقضاء شؤونهن المالية واستثماراتهن الاقتصادية. . بل إن هناك مستوصفات أيضاً متخصصة للنساء يقوم على خدمتها وإدارتها وتخصصاتها النساء فقط ولا يعالج فيها إلا النساء. . بل إن هناك مرافق للتسلية وملاعب للأطفال متخصصة للنساء تديرها النساء ولا يدخلها إلا النساء. . وقل مثل ذلك في كثير من مرافق الحياة، حيث أن المرأة في المملكة قد وفرت لها واتخذت كل أسباب الحشمة للمحافظة على قيمها ومثلها في الإسلام وعدم تعرضها للأذى لتبقى مصونة العرض والكرامة، أما عن التدابير الجزائية في المملكة فبفضل الله تعالى تطبق حدود العقوبات الأخلاقية مثل الزنا وغيرها مما يجعل المرأة تحاط بحصن متين في تربيتها وفي حمايتها بفضل الله. .

أما «حفظ العقل» فشأنه بذلك شأن كل مقوم غيره، يصان باحترام فعاليته ويصان بحفظ مادة بنائه ويصان بأن يعامل بالمنهج السليم، وهذا كله بفضل الله موفور مع تطبيق شريعة الإسلام وتعاليمها وقيمها، وهو مما تأخذ به المملكة وتعمل وفقه، فالإسلام قد أولى عناية كبيرة وأساسية في العقل والإشادة به وجعله مناط التكليف والأحكام وتنفيذها والعمل بها وتحمل مسؤولياتها، فالمسؤولية في الإسلام لا تعطى إلا لذي الرشد والعقل إن كان ذلك في السياسة أو القضاء أو الاقتصاد أو الولاية أو غيرها ويعفى من ذلك من هم دون ذلك ومن هم عاجزون

عقلاً ورشداً، والإسلام يقيم محاجته في تأكيد منهجه وتعاليمه على أولي العقول والألباب حيث تختم آيات القرآن في كل موضوع من موضوعاته بما يشيد بالعقل ووظائفه من (الإدراك، والفهم ، والتبصّر. . إلخ) وإلى جانب ذلك كله وضع منهج الإسلام التدابير الوقائية لحماية العقل وصيانة فعاليته حيث حرم تعاطي المخدرات والمسكرات والمفترات وكل خبيث يخالط العقل ويخامره ويشل وظائفه. . والمملكة من أجل ذلك التزمت بتطبيق حدّ القتل آخذة (بحد الحرابة) في مكافحة المخدرات والمسكرات والمفسدات عملاً بالإسلام وتعاليم الإسلام وقد حققت بذلك وبفضل الله والتزام شرعه خيراً كبيراً ونتائج حضارية متميزة في هذا المضمار يتطلع الآخرون إليها بتقدير وإعجاب وقد استطاعت أن تحاصر هذه الآفة الخطيرة وهي في الطريق إلى القضاء عليها وقطع دابرها من الأرض إن شاء الله. . والآن ومع اعتذاري للإطالة أختم بكلمات عن «حفظ المال» فحرمة المال في الإسلام مصانة مثل غيره من المقومات الحيوية للإنسان «**إن دماءكم عليكم حرام وأموالكم عليكم حرام وأعراضكم عليكم حرام. .** »[1] وحرمة المال تتمثل في مشروعية وجوده ومشروعية تنميته ومشروعية إنفاقه، وأحسب أن ذلك مأخوذ بتعاليمه وضوابطه الإسلامية في المملكة العربية السعودية. . وأن فلسفة الاقتصاد في المملكة تسير في إطار فلسفة الاقتصاد الإسلامي. . وقد أقامت المملكة عبر جامعة الملك عبدالعزيز بجدة أول مؤتمر عالمي للإقتصاد، وتوالت الندوات والمؤتمرات وفتحت المراكز الاقتصادية الإسلامية وأقسام الاقتصاد الإسلامي في الجامعات، تأصيلاً وتأكيداً على منهجية

(١) انظر البخاري ومسند أحمد فيما نقله عن أبي نضرة من خطبة الوداع : «إن الله قد حرّم بينكم دماءكم وأموالكم. . . » الخ الحديث. .

الإقتصاد الإسلامي، ومن المملكة انطلقت ونمت وترعرعت وعظمت فكرة البنوك الإسلامية وأصبح لها فعلها الميداني في داخل المملكة وخارجها وأقيم لها اتحاد تحت إسم الاتحاد العالمي للبنوك الإسلامية، حتى إن البنوك الوافدة إلى المملكة بدأت تطرح برامجها الإسلامية في الاستثمار والحسابات الجارية على أساس من الإسلام وتعاليم الإسلام تمشياً مع المناخ الإسلامي العام في المملكة ولله الحمد.. وأكتفي أيها الأخوة الأحبة في الله بهذا القدر، ولو دخلنا في التفصيلات لطال بنا المقام مما لا يحتمله وقتكم وراحتكم، وهنا قام أخ وسيم ذو لحية كثة قائلاً «يادكتور» لقد استمعنا لما تحدثت به وأنا ممن زار المملكة حيث مكثت فيها وتنقلت بين بعض مدنها الرئيسية (مكة المكرمة، المدينة المنورة، الرياض، الطائف) وجالست الخاصة والعامة فإنني بما عرفت ولمست أضيف شهادتي لشهادتك وأقول أمام إخواني الحضور بأن هناك أموراً وتفصيلات إيجابية لم تتناولها يمكن إضافتها لما قلت وأحسب أن الجميع الآن بما سمعوا قد أخذوا فكرة طيبة وبدأت تتكون عند كثير منهم حالة التصديق والقبول للفكرة وهي أن المملكة تمثل نموذجاً حضارياً أو تجربة حضارية معاصرة.. ولكن السؤال الذي يبقى قائماً هل هذا يعني أن المملكة خالية من العيوب والأخطاء؟ وهل تمثل عهد الصحابة والخلفاء الراشدين..؟

شكراً للأخ الكريم على شهادته بما عرف وشاهده من خيرية المملكة وشكراً له على سؤاله، وجواباً أقول: أيها الأخ الكريم أيها الأخوة الكرام.. لقد قلت في مطلع هذا اللقاء وفي مطلع إجابتي عن سؤال الأخ (فلان) أنه باستثناء قرون الخيرية وعهود الخيرية التي حددها رسول

الله ﷺ وأجمع علماء الأمة على خيريتها، فإن كل عهد أو دولة مسلمة إنما تخضع في تقويمها من حيث خيريتها وصلاحها وارتقاؤها أو تخلفها لمعيار ثابت يقوم على تكامل منهج الإسلام والتزامه وعلى هذا الأساس فإن المملكة نموذج إسلامي يخضع في تقويمه لهذا المعيار وهي من حيث المبدأ قامت ويقوم نظامها على أساس عقيدة الإسلام وتطبيق شريعة الإسلام، وإن مستويات التطبيق واتساع دوائرها وعمق أثرها في كل نفس في المجتمع ليصبح الإسلام صبغة كل فرد ومنهجه في الحياة في منزله وفي الشارع وفي وظيفته وفي مصنعه ومتجره أو في معسكره أو في عموم دوائر مسؤوليته الرسمية والشعبية، وأحسب أنه يحتاج إلى وقت وجهد إذا أخذنا بالاعتبار المعوقات المضادة سياسياً وثقافياً وإعلامياً واقتصادياً إقليمياً ودولياً، وهذا مما لا يجعل البلد خالياً من السلبيات أو بعض العيوب وأي عهد لم يخل من السلبيات والعيوب إذا استثنينا قرون الخيرية التي حددها رسول الله ﷺ. . وعموماً نحن لا ينبغي أن ننظر إلى المجتمع المسلم على أنه مجتمع ملائكة مبرأ من كل عيب ونقيصة. . نحن نعرف أن القرآن وضع أحكاماً وعقوبات للجرائم مثل «الزنا، السرقة، القتل، الفساد، الاعتداءات الفردية، انتهاكات الحقوق الشخصية والمالية وغيرها» مما يعني أن المجتمع المسلم سيكون فيه «قتله ولصوص، وزناة ومفسدون، وشاربو خمر. . الخ» لذا فإن العبرة ليس بوجود العيب ولكن بمقدار شيوع العيب والجريمة وتساهل الدولة في شيوعها أو تسهيل أسبابها فالذي أعلمه وهناك إحصاءات رسمية لا أحفظها وحقائق ملموسة تؤكد أن معدل الجريمة مثلاً في المملكة هو أقل معدل في العالم أجمع بل إنه لايكاد يذكر مقارنة مع اتساع المملكة وارتفاع

نسبة العمالة الوافدة بثقافات وسلوكيات متنوعة والتي لا تتناسب مع نسبة سكان المملكة الأصليين وذلك لأسباب تتطلبها المرحلة الراهنة من حيث خطط الإكتفاء الذاتي في المملكة. . لذا فإن أمن المملكة يعتبر أمناً فريداً في العالم أجمع وبشهادة القاصي والداني وإن ظواهر استتباب الأمن وحفظ الأموال وحقوق الآخرين تعتبر من الظواهر الخيالية بالقياس لما هو جارٍ في العالم القريب والبعيد منها، وهل يصدق أحد في الدنيا مثلاً أن بعض محلات الصرافة (تبديل الأوراق المالية أو شرائها) يعلق صاحب المحل الأوراق النقدية بمشابك الغسيل فوق رأسه على قارعة الطريق وقد اتخذ صاحب المحل لنفسه زاوية مرتفعة يجلس عليها هكذا في العراء ويبيع ويشتري ويجادل، مما يلهيه عن مراقبة مشابك الغسيل تتدلى منها الدولارات والماركات وغيرها من العملات المحلية والعالمية دون أن يفكر أحد بالاعتداء وإن فكر فلا يجرؤ على ذلك لما يعلم من الحزم القائم على تطبيق شريعةِ الإسلام وتعاليم الإسلام التي لا تحتمل ولا سبيل معها لتحايل المحامين وتمييع القضاء المعروف في غيرها من البلدان.

ولا أحسبكم تصدقون خبر «سوبر ماركت البساط» أتدرون ما حكاية هذا المحل التجاري المتنقل الآمن. . أنه بساط يفرشه صاحبه وهو غالباً من الوافدين أمام أحد المساجد مثلاً وقبل إقامة الصلاة بقليل يضع عليه بضاعته من الأدوات الكهربائية من مسجلات وراديوهات وساعات حائطية وكهربائيات منزلية خفيفة وأدوات زينة وغيرها ثم إذا قامت الصلاة فإنه يسترها بقطعة قماش معدة لذلك ويثبتها بقطع من الحجارة حتى لا يطيّرها الهواء فهو لا يخشى عليها إلا من الهواء والغبار ثم يدخل إلى الصلاة وبعد الصلاة يعود إليها ليجدها كاملة غير منقوصة،

بل أن صبيان الحي لا يعبثون بها، أليس هذا مما يعجب له المرء ياسادة أليس هذا من غرائب هذا الزمان؟ أليس هذا مما لا يصدق في هذا الزمان الذي تعرفون عيوبه ونقائصه..؟ ولكنه الإسلام يوم يقوم ويوم تقوم شوكته وتغرس هيبته في النفوس وتنشأ الأجيال على قيمه وآدابه وتعاليمه.. ولم اختتم إجابتي إلا وقد تعالى التكبير والتهليل من الحضور وختم اللقاء وأقبل الإخوة يستزيدون من أخبار هذا النموذج الحضاري المغبون بمواقف بعض أهله منه، والمظلوم بمكائد الحاقدين عليه والمحارب من قبل المعادين للإسلام ومنهجه الحضاري والمغمور في تواضع أهله ابتداءً وإحجامهم عن التحدث بتجربتهم الحضارية وتقديمها للناس ولا أدري لماذا توقف معرض «المملكة بين الأمس واليوم» فإن هذا المعرض بتقديري من أفضل الوسائل المعاصرة وأبلغها أثراً في التعريف بالواقع الحضاري في المملكة، ومن أنجحها وأوفرها مردوداً إذا قورنت بغيرها من الوسائل الأخرى.. إن هذا المعرض بفكرته الرائعة الذكية الرائدة هو الذي قدم المملكة بروائع ارتقائها الحضاري المتوازن الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة، رأى الناس من خلاله التوازي والتعانق بين مآذن الحرمين الشريفين وأبراج الصناعة والتكنولوجيا في الجبيل وينبع، والتكامل بين الجامعات والجوامع من غير تصادم ولا تنافر بل بالتكامل والتعاون، والتوازن بين الكدح والاسترواح، بين الكدح والإنتاج في ميادين الزراعة والتجارة والإبداع التقني وبين المناجاة الروحية في محاريب العبادة والتبتل وبين الاسترواح، إنه التوازن الدقيق بين الماديات والروحيات وبين الوسائليات والتسبيحات، لذا آمل أن يتابع معرض «المملكة بين الأمس واليوم» نشاطه وبرنامجه عربياً وإسلامياً

وعالمياً حتى لا تحجب هذه التجربة الحضارية بتكاملها وتوازنها عن الناس، وبعد هذه الجولة الاعتراضية التي قاد التفصيل فيها تساؤل ذاك الأخ الكريم في ذلك اللقاء في إحدى الدول الغربية. . نعود لنكمل حديثنا عن مقومات منهج الحياة في المملكة باعتباره منهجاً حضارياً معاصراً، نقدمه كواقع ميداني معاصر لحضارة الإسلام يجعل حديثنا عن الإسلام وقيمه ومبادئه وأدبياته وفعالياته الحضارية، لا ننطلق به من فراغ ولا يكون حديثنا نوعاً من التغني بما طواه الزمان وتجاوزته حركة التاريخ واستعصت عليه تكاليف المعاصرة ومتطلباتها وتفاعلاتها ومستجداتها. . إن المملكة العربية السعودية بفضل الله تعالى أولاً وآخراً وبفضل تطبيق الشريعة الإسلامية والتزام الإسلام وتعاليم الإسلام وقيمه تمثل صرحاً حضارياً شامخاً، يؤكد بما سبق ذكره خيرية النهج الحضاري الإسلامي وواقعيته ومواكبته واستجابته لمتطلبات الإنسان وحاجاته عبر تغيرات الزمان والمكان، ويؤكد أن قيم الإسلام ومباديء الإسلام وتعاليم الإسلام ومعايير الإسلام، ليست كما يزعم البعض ويتصور بأن فاعليتها وكفاءتها محدودة، انتهت بانتهاء زمانها، وأنها غير قادرة على المفاعلة الحضارية الدائمة كما يدعي هؤلاء. . أجل إن الواقع الحضاري للمملكة العربية السعودية يقف اليوم شامخاً ليسقط هذه المقولة الظالمة الجاحدة، وليثبت للناس جميعاً بأن منهج الإسلام الحضاري، هو منهج فعّال متجدد الفعالية متجدد العطاء، مبدع غزير المحتوى إيجابي المفاعلة مع المستجدات وكفاءة الاستيعاب لحاجات الزمان والمكان. .
كما أنه منهج يمتاز بتوازنيته ووسطيته وشموليته وعالميته، عالمية الإسلام التي تدعو إلى التكامل الحضاري، وتدعو إلى التعايش الحضاري، وتدعو

إلى التدافع والتنافس الحضاري، وتدعو إلى الشمولية الحضارية وتدعو إلى التصحيح والترشيد الحضاري وتطالب المسلمين بالحضور والشهود الحضاري عملاً بقول الله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** فالمملكة العربية السعودية في حضورها وشهودها الحضاري المعاصر، إنما ترفع الحرج عن المسلمين جميعاً، وتقيل عثرتهم وهي تقدم صورة مشرفة عن حضارة الإسلام، وواقعاً عملياً ميدانياً لقيم الإسلام ومبادئه، وواقعاً متوازناً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، والثابت والمتغير، والالتزام والاجتهاد، والماضي والحاضر، يعتز بماضيه من غير انحباس فيه، ويعيش حاضره من غير افتتان فيه، وفي ضوء الحاضر والماضي ومعطياتهما وطموحاتهما يرسم بهدوء وتوازنية وموضوعية وحكمة آفاق المستقبل، ويخطط ويستعد لمتطلباته ومستجداته في إطار من الخصوصية الحضارية المنضبطة، التي لم تحبسه وتعزله عن الآخر، وفي إطار من المرونة والانفتاح الحضاري العالمي الواعي التي لم تحرجه أو تنل من ثوابته وأصوله ومنطلقاته، يعايش الآخر بهوية واضحة وخصوصية صلبة ثابتة، وثقة عالية بمقوماته الثقافية، وقدراته السياسية وفعالياته ومهاراته الحضارية، رؤيته واضحة وخبرته عريقة، سياسته متزنة، دبلوماسيته مرنة، يعرف ماذا يرد ويعي ماذا يراد منه، يقبل المشاركة ويرفض التبعية، ويحترم ويحترم، يعطي ويأخذ، لا يعتدي ويأبى ولا يسمح بالاعتداء عليه، يفعل الخير ويتعاون مع الآخر فيه، ويحارب الشر والفساد وينتصر لمن يطلب العون عليه، هذه هي المملكة العربية السعودية، بالإسلام هي كذلك، وبشريعة الإسلام حققت ذلك، وبقيم الإسلام ترتقي كذلك، وجودها

بالإسلام، وأمنها بالإسلام، واستقرارها بالإسلام، ودوام عزها ومجدها بدوام التزامها بالإسلام وشريعة الإسلام، هذا مايعتقده أهلها وشعبها وهذا هو ميثاق عهدهم جميعاً مع الله تعالى وميثاق عهدهم فيما بينهم، إمامهم خادم للإسلام ومقدسات الإسلام وجميعهم جند مخلصون بين يدي شرف هذه الخدمة الشريفة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون..
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

إن مما يثلج صدر الإنسان أن يطلع على آثار جهده ورأي أصحاب الآراء الناصعة المتوازنة فيما قدمه للأمة، ويسعدني أن أضع بين يدي القاريء الكريم خلاصات من بعض الخطابات أو الآراء التي وصلتني بعد أن صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب الذي وفقني الله سبحانه لإعداده ابتغاء لوجهه الكريم.

أقول: لقد تلقيت كثيراً من الخطابات التي تشدّ على يدي مطالبة بمزيد من العطاء الفكري الإسلامي الدعوي ولاسيما وأن المكتبة العربية مازالت تفتقر إلى الكتب التي تعالج المشكلات المعاصرة للأمة.. ومعروف أن لكل عصر مشكلاته. كما أن بعض كبار أصحاب الرأي من أهل الدعوة الصادقين اقترحوا التوسع ببعض الفصول مثل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية حيث تمنّى لو تم توسيع الفصل السادس من هذا الكتاب وعنوانه: (المملكة العربية السعودية والنهج الحضاري) وقد وعدت معاليه أن أحقق ذلك إن شاء الله، فمنهج المملكة ثرٌّ وغزير في المسيرة الحضارية الإسلامية.

هذا ومن بين الرسائل والمخاطبات التي أثلجت صدري رسالة الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- الايسيسكو حيث طالب بترجمة الكتاب إلى

لغتين عالميتين على الأقل . . وقد قال في رسالته حفظه الله :

سعدت بقراءة كتابكم «الإسلام والنظام العالمي الجديد» الذي صدر عن رابطة العالم الإسلامي، فحمدت لكم هذه البراعة في معالجة موضوع بالغ الدقة والأهمية بهذا الأسلوب الرفيع، وبهذه الكفاءة العالية، وبهذه الروح المشرقة، ولقد وفقتم بالغ التوفيق في إبراز موقف الإسلام الثابت من قضايا دولية تثير كثيراً من الجدل في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ العالم، وقد جاء كتابكم في الوقت المناسب، وإني لأنصح بترجمته إلى لغتين عالميتين على الأقل، حتى ينتشر في الآفاق، ويقف العالم على موقف الإسلام وحقيقته ورسالته.

وممن أكرمني بمثل هذا الثناء على الكتاب معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب الأستاذ عبدالكبير العلوي ومعالي الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير رئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية ومعالي الدكتور صالح بن عبدالله ومعالي الدكتور حمود بن عبدالعزيز البدر الأمين العام لمجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، ومعالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد عضو مجلس الشورى في المملكة وإمام وخطيب المسجد الحرام، ومعالي الدكتور راشد الراجح عضو مجلس الشورى في المملكة- مدير جامعة أم القرى سابقاً. والداعية المعروف الأستاذ عصام العطار حفظهم الله جميعاً وشكراً لهم ولغيرهم ممن كتب إليّ بشأن الكتاب هذا الإهتمام، والله ولي التوفيق.

السيرة الذاتية والوظيفة والآثار العلمية والفكرية والمهام الإسلامية العالمية

الاسم : حامد بن أحمد الرفاعي .

تاريخ الميلاد : ٩/ ٢/ ١٩٤٠م .

مكان الميلاد : بصرالحرير/ سوريا .

المؤهلات العلمية :

١ ــ بكالوريوس في الكيمياء والجولوجيا

من جامعة دمشق/ سوريا .

٢ــ ماجستيرفي الكيمياء العضوية الصناعية

من جامعة الأزهر/ مصر

٣ــ دكتوراه في الكيمياء العضوية

من جامعة المنصورة/ مصر

العمل الوظيفي :

ــ أستاذ في الكيمياء في وزارة المعارف من عام ١٩٦٥م وحتى عام ١٩٧٧م .

ــ أستاذ في الكيمياء العضوية في جامعة الملك عبد العزيز في جدة من عام ١٩٧٨م وهو مستمرفي هذا العمل إلى ماشاء الله .

المهام الاسلامية :

١— عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي/ مكة المكرمة .

٢— عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في رابطة العالم الإسلامي/ مكة المكرمة .

٣— عضو لجنة التنسيق وخبير الدراسات الاستراتيجية للدعوة الاسلامية في منظمة المؤتمر الاسلامي/ جدة .

٤— عضو مراقب في مؤتمر وزراء خارجية دول العالم الإسلامى .

٥— عضو الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة/ القاهرة .

٦— عضو المجلس الاستشاري للمجلس الإسلامي العالمى للدعوة والإعلام/ لندن .

٧— الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي/ كراتشي باكستان .

٨— عضو لجنة المصالحة المنبثقة عن اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي الإسلامي لوقف الحرب الإيرانية العراقية .

٩— عضو اللجنة العالمية المنبثقة عن رابطة العالم الإسلامي لترشيد الجهاد الافغاني .

١٠— عضو لجنة المتابعة المنبثقة عن ندوة الاخوة الإسلامية في كوناكري لتأكيد الاخوة بين السنغال وموريتانيا .

١١- عضو سكرتيرية اللجنة الدائمة للحوار الإسلامي المسيحي مع الفاتيكان - روما .

الآثار العلمية والفكرية :

١— عدة بحوث في مجال التخصص الأكاديمي فى الكيمياء العضوية.

٢— عدة بحوث وإصدارات في مجال الفكر والدعوة الاسلامية منها :

— الأمة الاسلامية وأزمة الاستئناف الحضاري.

— الإسلام والتعددية السياسية.

— الصحوة الاسلامية تأصيلاً واستثماراً.

— المسلمون والغرب.

— أدب الحوار والخلاف في الإسلام.

— الإعلام في المنظور الإسلامي.

— دراسات استراتيجية لحاضر ومستقبل العمل الإسلامي.

— واقع الأمة الإسلامية لحاضر ومستقبل العمل الإسلامي.

— المسلمون ومسؤولية إنقاذ الحضارة الغربية.

— الاجيال البشرية وحاجتها للتعرف على المشروع الحضارى الاسلامى المعاصر؟

— التصور الإسلامي للقضية الفلسطينية.

— مشروع تغطية مناسك الحج تلفزيونياً.

— الصيغ المستقبلية للوحدة والتضامن الإسلامي.

— تقعيد حد الحرابة والارتقاء الحضاري.

— أفكار وآراء أولية بين يدى مشروع قراءة موضوعية لأزمة الخليج.

المؤتمرات والندوات: عدد كبير منها :

١ــ المؤتمر الإسلامي العام ــ رابطة العالم الإسلامي ــ مكة المكرمة/ ١٨ ــ ٢٢ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١١ ــ ١٥ أكتوبر ١٩٨٧م . .

٢ــ مؤتمر العالم الإسلامي ــ إسلام أباد/ باكستان/ ١٤٠٩هـ.

٣ــ المؤتمر العالمي الاول فى الإعجاز العلمى في القرآن والسنة ــ إسلام أباد/ باكستان/ ٢٣ ــ ٢٦ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ ــ ٢٠ أكتوبر ١٩٨٧م .

٤ــ المؤتمر العالمي لبيت المقدس ــ عمان/ ١٤١٠هـ.

٥ــ مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ــ القاهرة/ ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .

٦ــ المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الاوضاع الحاضرة فى الخليج/ ٢١ صفر ١٤١١هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٩٩٠م .

٧ــ المؤتمر الطلابى الإسلامي العالمي للتضامن مع الكويت/ ٨ــ١١ جمادى الاول ١٤١١هـ الموافق ٢٥ــ٢٨ نوفمبر ١٩٩٠م .

٨ــ مهرجان الجهاد الإسلامي ــ الرياض/ المملكة العربية السعودية/ ٤ــ٦ شعبان ١٤١١هـ.

٩ــ مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ــ استانبول/ تركيا/ ٢٤ــ٢٨ محرم ١٤١٢هـ الموافق ٤ــ٨ أغسطس ١٩٩١م .

١٠- الملتقى الثقافي (الجنادرية) — الرياض/ المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ.

١١- الندوة العالمية لمستقبل الإسلام في أفريقيا — تطوان/ المغرب ١٤٠٩هـ.

١٢- الندوة الإسلامية في اسبانيا — مدريد ١٤٠٩هـ.

١٣- الندوة الإسلامية للجهاد الأفغاني — إسلام أباد/ باكستان ١٤٠٩هـ.

١٤- الندوة الشرعية لدراسة مشاكل الجاليات الإسلامية في أوروبا — شانوشينون/ فرنسا ١٤١٣هـ.

١٥- المؤتمر الاستثنائي السادس لوزراء خارجية الدول الإسلامية - جدة - المملكة العربية السعودية من ٧-٨/ جمادى الآخرة/ ١٤١٣هـ الموافق ١-٢ / ديسمبر/ ١٩٩٢م.

١٦- مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية - كراتشي - باكستان من ٤-٨/ ذوالقعدة/ ١٤١٣هـ. الموافق ٢٥-٢٩ / إبريل / ١٩٩٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
١ – الإهـــداء :	٥
٢ – مقدمة الطبعة الثالثة :	٧
٣ – مقدمة الطبعة الثانية :	٩
٤ – مقدمة الطبعة الأولى :	١١
٥ – كلمة دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي :	١٥
٦ – كلمة معالي الدكتور عبدالله بن نصيف :	٢٥
٧ – كلمة معالي الشيخ عبدالله بن بيّه :	٢٩
٨ – تمهيد :	٣٣
٩ – **الفصل الأول** : الواقع السياسي للمجتمع الدولي	٣٩
١٠– **الفصل الثاني** : واقع الأمة الإسلامة وأهداف الدعوة وميادينها :	٥٧
١١– **الفصل الثالث** : ملامح وخطوط عريضة في استراتيجية الدعوة الإسلامية	١٠٣
١٢– **الفصل الرابع** : الإسلام والنظام العالمي الجديد	١٢٣
١٣– **الفصل الخامس** : الإسلام والحضارات	١٤٧
١٤– **الفصل السادس** : المملكة العربية السعودية والنهج الحضاري :	١٩٩
١٥– الخاتمة :	٢٣٣
١٦– السيرة الذاتية :	٢٣٥

صدر من هذه السلسلة

	العنوان	المؤلف
١	تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢	الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣	الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤	الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد حسان
٦	السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧	التخطيط للدعوة الإسلامية	د. علي محمد جريشة
٨	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩	التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠	الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسني محمد
١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢	السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣	مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤	دور المسجد في الإسلام	أ. علي محمد مختار
١٥	تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦	البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧	المرأة وحقوقها في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨	القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩	القراءات : أحكامها ومصدرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠	المعاملات في الإسلام	د. عبد الستار سعيد
٢١	الزكاة : فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. أبو اليزيد العجمي
٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦	تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمود محمد عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨	وحي الله – حقائق وخصائص في الكتاب والسنة	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩	حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

الرقم	العنوان	المؤلف
٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الاعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبد الواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابللي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي [١]	د. رفعت العوضي
٤١-	أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبد الله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة الحق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابللي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣]	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن [١]	أ. محمد قطب عبد العال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	أ. أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة	أ. أحمد عبد الغفور عطار

الرقم	العنوان	المؤلف
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٤]	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن [٢]	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت [٢]	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادىء الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نورمن القرآن في طريق الدعوة والدعاة	د. محمد الحسين أبو سم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جمعان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد الحميضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التهجير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أُوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابللي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. الأمين الحاج محمد أحمد
١٠١-	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	أ. عبد الرحمن خليف

١٠٢- أخطا رحول الإسلام	السيد هاشم عقيل عزوز
١٠٣- صلاة الجماعة دراسة فقهية مقارنة	د. عبد الله محمد سعيد
١٠٤- المستشرقون والقرآن	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٠٥- مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	أ. أنور الجندي
١٠٦- الاقتصاد الإسلامي هو البديل الصالح	د. شوقي أحمد دنيا
١٠٧- توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	د. عبد المجيد أحمد منصور
١٠٨- في ظلال سيرة الرسول ﷺ	أ. السيد أحمد المخزنجي
١٠٩- المخدرات مضارها على الدين والدنيا	د. ياسين الخطيب
١١٠- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	أ. محمود محمد كمال عبد المطلب
١١١- زينة المرأة بين الإباحة والتحريم	د. حياة محمد علي خفاجي
١١٢- التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
١١٣- النموذج العصري للجهاد الإسلامي	أ. عبد رب الرسول سياف
١١٤- المسلمون حديث ذو شجون	أ. أحمد محمد جمال
١١٥- المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز
١١٦- آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	د. جابر المتولي قميحة
١١٧- اللباس في الإسلام	أ. أحمد بن محمد المهدي
١١٨- الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	أ. ناصر عبد الله العمار
١١٩- أسس النظام المالي والاقتصادي في القرآن	أ. محمد أبو الليث الخيرآبادي
١٢٠- المستشرقون والقرآن [٢]	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٢١- الإسلام هو الحل	أ. محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن [٣]	أ. محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الإسلامي	د. محمد بهي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	أ. ساري محمد الزهراني
١٢٥- الإسلام ومكافحة المخدرات	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	أ. صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [٢]	أ. أحمد محمد جمال
١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى	أ. عبد الباسط عز الدين
١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج محمد وزان
١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة	أ. ابراهيم اسماعيل
١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥- منهاج الداعية	أ. أحمد أبو زيد
١٣٦- في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي

١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة ـــــ د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل ـ د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ أ. أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام ـــــ أ. محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها ـ أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي ـــــ د. حياة محمد علي خفاجي
١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا ـــــ د. السيد محمد يونس
١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله) ـــــ مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥- الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية ـــــ أ. أحمد أبو زيد
١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد ـــــ د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم ـــــ أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي ـــــ أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩- الماسونية والمرأة ـــــ أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام ـــــ أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١- الأسرة المسلمة في ضوء القرآن ـــــ د. حسن محمد باجودة
١٥٢- حرب القوقاز الأولى ـــــ د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣- المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية ـــــ أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤- المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي ـــــ د. السيد محمد يونس
١٥٥- القدس في ضمير العالم الإسلامي ـــــ اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦- الطريق إلى الوحدة الإسلامية ـــــ اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧- المركز القانوني الدولي لمدينة القدس ـــــ د. جعفر عبد السلام
١٥٨- الحوار النافع بين أصحاب الشرائع ـــــ د. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩- الإنسان والبيئة ـــــ أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠- الإسلام وأثره في الثقافة العالمية ـــــ أ. محمود الشرقاوي
١٦١- الموت .. ماذا أعددنا له ؟ ـــــ أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢- زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه ـــــ د. محمود محمد بابللي
١٦٣- عطاء الإسلام الحضاري ـــــ أ. أنور الجندي
١٦٤- إحياء الأراضي الموات في الإسلام ـــــ أ. عاطف أبو زيد سليمان علي
١٦٥- أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة ـــــ أ. محمد بن سليمان الأهدل
١٦٦- البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام ـــــ أ. خالد الأصور
١٦٧- المسلمون في لاوس وكمبوديا ـــــ أ. محمد بن ناصر العبودي
١٦٨- المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين في المجتمع الهولندي ـــــ أ. ابراهيم الدرعاوي

١٦٩- مفاهيم يجب أن تُصحح ——— أ. بغداد سيدي محمد أمين
١٧٠- السنة النبوية المطهرة ——— الشيخ محمد علي الصابوني
١٧١- نحو مشروع حضاري للإسلام ——— د. أحمد القديدي
١٧٢- الإعلام الإسلامي رسالة وهدف ——— أ. سمير بن جميل راضي
١٧٣- الشريعة والتشريع ——— أ. فاطمة السيد علي سباك
١٧٤- ترجمات معاني القرآن الكريم ——— د. عبد الله عباس الندوي
١٧٥- خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام — أ. زيد بن محمد الرماني
١٧٦- الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ ——— د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني
١٧٧- المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني أ. عثمان بن جمعة ضميرية
١٧٨- التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية ——— د. محمد إبراهيم منصور
١٧٩- شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي ——— أ. حسني شيخ عثمان
١٨٠- في غرب الهند ——— أ. محمد بن ناصر العبودي
١٨١- في بلاغة الدعاء النبوي ——— د. عبد الرازق محمد محمود فضل
١٨٢- الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا ——— د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر
١٨٣- منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام د. حلمي عبد المنعم صابر
١٨٤- معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين أ.د. أحمد محمد الخراط

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة

كتاب شهري محكم يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
يتناول نشر الدراسات والأبحاث التي
تخدم الإسلام في كافة المجالات

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي في سلسلة (دعوة الحق)

لمدة (..........) ابتداء من ....

الاسم ....

العنوان ....

قيمة الاشتراك ....

طريقة الدفع ☐ شيك ☐ حوالة بنكية ☐ حوالة بريدية

رقم .... التاريخ ....

التوقيع .... التاريخ ....

تملأ هذه القسيمة وترسل مع قيمة الاشتراك إلى العنوان التالي :

إدارة التوزيع والاشتراكات برابطة العالم الإسلامي

ص . ب ٥٣٧ مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

قيمة الاشتراك السنوي ١٠٠ ريال